المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى بمكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع الكتاب والسنة
شعبة التفسير

عطاء بن أبي رباح وجهوده في التفسير

رسالة مقدمة
لنيل درجة الماجستير

إعداد الطالب

عبد الواحد بكر ابراهيم أحمد عابد

إشراف الدكتور

وصي الله بن محمد عباس

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على

إمام المتقين

• رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ

البقرة ٢٠١

• رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ

آل عمران ٥٣

• أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝

يونس ٦٢ - ٦٤

• يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ

سورة إبراهيم ٢٧

اسم الرسالة : عطاء بن رباح وجهوده في التفسير

إســم الطالب : **عبد الواحد بكر ابراهيم عابد**
الدرجة العلمية : **الماجستير في الكتاب والسنة**

خطة البحث وهي تشتمل علي تمهيد وبابين : التمهيد ويتناول التفسير في اللغة والإصطلاح . أسباب الحاجة إلى التفسير وشروط أهلية المفسر – المفسرون من الصحابة والتابعين والتفسير في عهد التابعين ومدارسه .

الباب الأول حياة عطاء وفيه ثلاثه فصول :

الفصل الأول : وفي أربعة مباحث تتعلق بعصر عطاء وأهم الأحداث السياسية وأثرها والحياة الإجتماعية في عصر عطاء .

الفصل الثاني : حياة عطاء بن رباح وفيه خمسة مباحث وتتعلق باسم عطاء ومولده ونشأته ومعاشة وخلق عطاء وعبادته وزهده .

الفصل الثالث : مكانة عطاء العلمية وفيه خمسة مباحث وتتعلق بطلب عطاء العلم وشيوخ عطاء وتلاميذه وتوثيق العلماء لعطاء ومكانة عطاء العلمية في الفقه والحديث والتفسير .

الباب الثاني : جهود عطاء بن أبي رباح في التفسير وفيه تمهيد وثلاثة فصول : التمهيد : عطاء بن أبي رباح مفسراً .

الفصل الأول : منهج عطاء في التفسير وفيه أربعة مباحث وتتعلق بتفسير عطاء القرآن بالقرآن وتفسير القرآن بالسنة ورواية عطاء عن الصحابة وتفسير عطاء القرآن باللغة .

الفصل الثاني : جهود عطاء في مباحث من علوم القرآن وفيه سبعة مباحث تتعلق بأسباب النزول والمكي والمدني والقراءات والنسخ والحروف المقطعة التي في أوائل السور وإستنباط عطاء في التفسير.

الفصل الثالث : أمثلة من تفسير عطاء لآيات العقيدة ، والأحكام وأمثلة متنوعة من تفسير عطاء وتفسير عطاء لأخبار القرآن وقصصه وموقفه من الاسرائيليات .

خلاصه الرسالة :

– توثيق العلماء لعطاء بن أبي رباح وثناؤهم بالخير والصلاح وأنه من أعلام التابعين علمًا وورعًا .

– يفسر عطاء القرآن بالقرآن ويفسره بالحديث ويفسره باللغه وعلم عطاء بالعلوم التي يحتاج إليها المفسر.

– إستقلالية عطاء في العلوم التي نبغ فيها حيث أنه لم يكن راوية لعلوم الصحابة الذين أخذ عنهم فحسب فقد أصبحت فيه أهليه الاستنباط في التفسير وخاصة في آيات الاحكام وذلك لسعة علمه بالفقه والحديث .

– وافق عطاء مذهب شيخه عبد الله عباس رضي الله عنهما في مسائل كثيرة من تفسيره من آيات القرآن الكريم عامه وفي تفسيره لآيات العقيدة خاصه وفي موقفه من الاسرائيليات .

– يعتبر تفسير عطاء من الموارد الأصلية في التفسير وتوافق آراؤه أغلب المفسرين من معاصريه من التابعين وأخذ بها المفسرون الذين جاؤا من بعده فذكروها في تفاسيرهم باعتناء وإهتمام .

اسم الطالب	اسم المشرف على الرسالة	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
عبد الواحد بكر ابراهم عابد	د. وصي الله بن محمد بن عباس	د . علي نفيع العلياني
التوقيع :	التوقيع :	التوقيع :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلال وجهه وجماله وكماله كما يحب ربنا ويرضى . والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين .

بحول الله وقوته أعتصم وبعونه وبفضله واحسانه أفتتح وأختتم وماتوفيقى الا بالله العلي العظيم عليه توكلت واليه أنيب .

الحمد لله الذى أنزل القرآن نورا يستضيء به المتقون وعلى منهجه وهداه يسير المحسنون . قال تعالى : (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ماكانوا يعملون) [1]

السعيد من صرف همته وهمه الى كتاب الله تعالى فعكف على دراسته وحفظه فى صدره وعمل به،قرأه بعينيه وسمعه بأذنيه ووعاه قلبه ففهم معانى خطاب المتكلم ولا يكون ذلك الا لمن عامل الله بتقواه فى السر والعلن .

قال الله تعالى : (... فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون). [2] وقال تعالى: (ياأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) . [3] وقال تعالى : (... بل هو آيات

---

(١) الأنعام: ١٢٢ .

(٢) الأعراف: ١٥٧ .

(٣) يونس: ٥٧ — ٥٨ .

بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون) [1] .

وقال تعالى : (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ماالكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم) [2] .

ومحاسن أنوار القرآن لاتراها الا بصائر جليه ومنافع شفائه لاتنالها الا النفوس التقية وأطايب ثمره لا تقطفها الا أيد زكية ، صدق الله تعالى اذ يقول : (انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون) [3] .

فهنيئا لمن طلبه حجة له فكحل عينيه بقراءة القرآن فأمسى وأصبح بترتيل الفرقان . فأبصر بقلبه حقائق أسراره فعبد الله حتى أتاه اليقين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وآل بيته الطيبين الطاهرين .

اللهم احشرنا فى زمرتهم وارزقنا مرافقتهم وصحبتهم فى الجنة اللهم آمين يارب العالمين .

---

(١) العنكبوت : ٤٩ .
(٢) الشورى : ٥٢ .
(٣) الواقعة : ٧٧ — ٧٩ .

أسباب اختيار الموضوع

لما كان من متطلبات اكمال الدراسات العليا كتابة رسالة ماجستير فى التخصص وهو التفسير قمت بالبحث والتنقيب عن موضوع يصلح لذلك .

واستشرت الأفاضل من أساتذتى فى الدراسات العليا . فأشار بعضهم على بدراسة جانب مهم من جوانب اسام من أئمة التابعين .

وهو عطاء بن أبى رباح وذلك لكثرة نقول المفسرين لأقواله وفتواه .

ولقد كان التوفيق من الله تعالى فى اختيار موضوع الرسالة (عطاء بن أبى رباح وجهوده فى التفسير) حيث أنه لم يطرق بالبحث والنظر .

شكر وتقدير

أتوجه بالشكر الى الله تعالى واهب النعم، والذى بإحسانه وفضله تتم الصالحات . ثم أوجه شكرى وتقديرى - بعد شكر الله عز وجل - الى جامعة أم القرى التى أتاحت لي فرصة الدراسة لتحضير رسالة الماجستير ممثلة فى مديرها معالي الدكتور/راشد الراجح حفظه الله. وعميد كلية الدعوة وأصول الدين الدكتور/على نفيع العلياني وفقه الله.

كما أتقدم بالشكر والتقدير الى أستاذى الفاضل الدكتور وصى الله بن محمد عباس الذى تفضل بقبول الاشراف على الرسالة وكان نعم الموجه والمرشد ونعم المعين فى انجاز هذا البحث. فجزاه الله خير الجزاء وأسأل الله تعالى أن يوفقه لما يحبه ويرضاه.

كما أ ذكر فضل والدىّ الحبيبين العزيزين اللذين كانا حريصين على توجيهى لدراسة علوم الشريعة ولم يألوا جهدا فى تهيئة طريق العلم والمعرفة. وأخص بالذكر والدى يرحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته. اللهم آمين يارب العالمين.

كما أتقدم بالشكر والتقدير لكل من ساعدنى وقدم لى خدمة فى الرسالة.

وفى الختام أسأل الله سبحانه وتعالى الكريم أن يجعل عملى مقبولا خالصا لوجهه الكريم وأن ينتفع بهذا البحث جميع طلبة العلم انه سميع قريب مجيب.

قال تعالى: (... رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتى

اني تبت اليك واني من المسلمين . أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ماعملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون)[1] .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

---

(1) الأحقاف : 15 ، 16 .

منهج البحث

- مهدت لموضوع الرسالة بذكر أسباب الحاجة الى التفسير والمفسرين من الصحابة والتابعين وشروط المفسر وتعريف التفسير وأقسامه ومدارسه .

- أعطيت صورة من حياة عطاء بن أبي رباح من خلال كتب التراجم والسير والتاريخ .

- جمعت أقوال عطاء من كتب التفسير وبعض كتب السنة.

- بينت منهج عطاء وجهده في التفسير بعرض أمثلة من أقواله في مباحث من علوم القرآن مثل - أسباب النزول والقرآءات والنسخ في آيات القرآن الكريم مع تمهيد مختصر لكل مبحث من تلك المباحث.

- كما عرضت أمثلة من تفسير عطاء طرحتها للمناقشة مع مقارنتها بأقوال المفسرين وذكر خلاصة القول في تفسير الآية في كل مثال .

- واستدللت لأقوال عطاء من القرآن والسنة.

- ذكرت خلاصة للرسالة .

في مصنف ابن أبي شيبه .

- فهرست لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

- وترجمت لبعض الأعلام الذين ورد ذكرهم في الرسالة.

واليك خطة البحث

خطة البحث

تشتمل هذه الخطة على تمهيد وبابين :

تمهيد : ويتناول ما يأتي :

١) الحاجة الى التفسير والحث على تلاوة القرآن مع الاعتبار بما فيه .
٢) شروط أهلية المفسر والمستنبط .
٣) التفسير في اللغة والاصطلاح .
٤) أقسام التفسير .
٥) المفسرون من الصحابة رضوان الله عليهم .
٦) التفسير فى عهد التابعين ومدارسه .

الباب الأول : حياة عطاء وعصره ، وفيه ثلاثة فصول :

* **الفصل الأول : عصر عطاء وفيه أربعة مباحث:**

المبحث الأول : عصر عطاء .
المبحث الثاني : أهم الأحداث السياسية فى عصر عطاء .
المبحث الثالث : الخلافات السياسية فى عصر عطاء وأثرها .
المبحث الرابع : الحياة الاجتماعية فى عصر عطاء .

* **الفصل الثاني : حياة عطاء بن أبى رباح ، وفيه خمسة مباحث:**

المبحث الأول: اسمه وكنيته ومولده ونشأته .
المبحث الثاني : معاش عطاء .

١

التمهيد

ويتناول ما يأتي

١ - الحاجة إلى التفسير والحث على تلاوة القرآن مع الاعتبار بما فيه .

٢ - شروط أهلية المفسر والمستنبط

٣ - التفسير في اللغة والاصطلاح

٤ - أقسام التفسير .

٥ - المفسرون من الصحابة رضوان الله عليهم

٦ - التفسير في عهد التابعين ومدارسه .



١ - الحاجة الى التفسير والحث على تلاوة القرآن مع تدبره والاعتبار بما فى آياته :

نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين ولفصاحة العرب وبلاغتهم كانوا يعلمون ظواهره وأحكامه. وما خفى عليهم من المعانى كان يظهر لهم بالبحث والنظر ومن سؤالهم النبى صلى الله عليه وسلم مثل لما نزل قوله تعالى: (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم).[1] فقالوا : أينا لم يظلم نفسه ! ففسره النبى صلى الله عليه وسلم بالشرك. واستدل عليه بقوله تعالى : (ان الشرك لظلم عظيم).[2] وعلى هذا فسر النبى صلى الله عليه وسلم القرآن بقوله[3] . ونحن نحتاج الى ماكانت يحتاج اليه الصحابة من التفسير وزيادة على مالم يكونوا محتاجين اليه لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم[4] لاتساع رقعة الاسلام ودخول كثير من العجم فى دين الله تعالى وليس لهم معرفة بخصائص اللغة العربية[5] وتفسير القرآن على وجه القطع لا يعلم الا بأن يسمع من الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك متعذر الا فى آيات قلائل . والعلم

---

(١) الأنعام : ٨٢.

(٢) لقمان : ١٣. وانظر نص الحديث كاملا فى صحيح البخارى كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله - إلى قوله - إن الله لا يحب كل مختال فخور) ٤: ١٣٧

(٣) انظر: الصحيح المسند من التفسير النبوى للقرآن الكريم، أبو محمد السيد ابراهيم.

(٤) البرهان: ١ : ١٤ باختصار. وانظر: الأتقان ٢- ٤٩٢

(٥) البحر المحيط ١: ١٤. وانظر التفسير والمفسرون ١: ١٠١. والإسرائيليات والموضوعات ص: ٢٨

بالمراد يستنبط بأمارات ودلائل والحكمة فيه أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يتفكر عباده في كتابه لفهم معانيه[1] يؤيد هذا القول ماروى عن علي رضي الله عنه عند ما سأله أبو جحيفة[2] قال قلت لعلى هل عندكم كتاب ؟ قال لا الا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم....[3]

قال الله تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)[4]. وتدبر القرآن وتلاوته من أعظم التجارة مع الله تعالى حيث قال : (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور)[5].

---

(١) البرهان : ١: ١٦١.

(٢) هو وهب بن عبد الله ويقال ابن وهب أبو جحيفة . بضم الجيم وفتح حاء مهملة وسكون ياء وفاء السوائي : بمضمومه وخفه واو فألف. فكسر همزه نسبة الى سواءة بن عامر.

ويقال إن عليا هو الذي سماه وهب الخير واستعمله علي رضي الله عنه على خمس المتاع . مات النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبلغ الحلم. روى عن النبي صلى الله عليه وسلم. تهذيب التهذيب لابن حجر: ١١: ١٦٤.

(٣) صحيح البخاري كتاب العلم باب كتابة العلم ١: ٣٦
ورواه البخاري في كتاب الديات بلفظ ماعندنا إلا مافي القرآن الا فهما يعطى رجل في لكتابه. قال ابن المنير: فيه دليل على أنه كان عنده أشياء مكتوبة من الفقه المستنبط من كتاب الله وهو المراد بقوله : (أو فهم أعطيه رجل). الفتح ١٢: ٢٤٦

(٤) سورة ص: ٢٩.

(٥) فاطر: ٢٩ — ٣٠.

فيجب على المسلم القادر المتمكن تلاوة القرآن الكريم قال الله تعالى : (إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ وأمرت أن أكون من المسلمين وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل انما أنا من المنذرين)[١]. ومن ترك تلاوة القرآن فقد ابتعد عن منبع الخير وأصله. وأصبح من جملة من هجر كتاب الله تعالى مقصرا فى طاعة الله قال تعالى : (وقال الرسول يارب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا)[٢]، [٣].

فمن هجره هجر تلاوته وهجر العمل بما فيه. وقراءة القرآن تستحب أن تكون مرتلة[٤] مع التدبر ومع استحضار عظمة المتكلم قال الله تعالى : (ورتل القرآن ترتيلا)[٥]، [٦] وقال تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب)[٧]. وقال تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا)[٨].

---

(١) النمل : ٩١، ٩٢.
(٢) الفرقان : ٣٠.
(٣) ومن أعظم هجران القرآن هو الاعراض عن الايمان به وعن سماعه وترك العمل به. انظر: تفسير ابن جرير الطبرى : ١٩ : ٨ وفتح القدير للشوكانى : ٤ : ٧٣.
(٤) أى بتؤدة واطمئنان مع اخراج كل حرف من مخرجه. انظر التبيان ص ٨٥-٨٧
(٥) المزمل : ٤.
(٦) أنظر كتاب أخلاق أهل القرآن . ص: ٧٧ والإتقان ١ : ٢٩٨
(٧) سورة ص: ٢٩.
(٨) النساء: ٨٢.

ويتحقق فهم معاني القرآن الكريم:

١ - بتقوى الله والاخلاص له في السر والعلن . قال الله تعالى : (واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم)[١] . وقال الله تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)[٢] .

٢ - استشعار عظمة من يناجي والابتعاد عن كل مايشغل القلب عن تدبر القرآن وفهمه . قال تعالى : (أفلا يتدبروا القرآن أم على قلوب أقفالها)[٣] . قال تعالى : (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور)[٤]، [٥] .

ومن العوامل التي تساعد على فهم معاني القرآن الكريم

١) أكل الحلال من الطعام والشراب

قال الله تعالى : (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون)[٦] . وقال الله تعالى : (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون)[٧] .

---

(١) البقرة : ٢٨٢ .
(٢) البينة : ٥ .
(٣) محمد : ٢٤ .
(٤) الحديد : ٢٠ .
(٥) انظر البرهان : ج ١ : ٤٤٩ ، ٤٥٤ - ٢ : ١٥٣ . وأعلام الموقعين ٢ : ١٧٨ .
(٦) المائدة : ٨٨ .
(٧) النحل : ١١٤ .

٢) قيام الليل بالصلاة وبالتلاوة والتضرع عند السحر مع خلاء البطن:[١]

قال الله تعالى: (ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا)[٢] وقال الله تعالى: (..... من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون).[٣] وقال الله تعالى: (كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالأسحار هم يستغفرون).[٤] وقال الله تعالى: (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما).[٥]

وقال الله تعالى: (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولو الألباب).[٦] وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعونى فأستجيب له. من يسألنى فأعطيه. من يستغفرنى فأغفر له".[٧]

---

(١) انظر: التبيان ص: ٨١

(٢) المزمل: ٦.
(٣) آل عمران: ١١٣.
(٤) الذاريات: ١٧ - ١٨.
(٥) الفرقان: ٦٤.
(٦) الزمر: ٩.
(٧) صحيح البخارى، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ٢: ٤٧

٣) مجالسة الصالحين لدراسة القرآن الكريم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (...... وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه).[1]

شروط أهلية المفسر والمستنبط

استنباط المعاني من القرآن الكريم أشار إليه المولى سبحانه حيث قال : (واذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا).[2]

واستنباط الأحكام من القرآن وتفسيره وتأويله له شروط يجب توفرها حتى تكتمل أهليته لهذا الشأن العظيم. وإليك هذه الشروط التي ذكرها علماء التفسير :-

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن والذكر. ٤ : ٢٠٧٤

(٢) النساء : ٨٣.

١) أن يكون المفسر صحيح الاعتقاد محققا مذهب أهل السنة والجماعة وعلى جانب كبير من التقوى .

٢) معرفة المفسر بعلم أصول الدين . وبه يستطيع المفسر أن يستدل على مايجب فى حق الله تعالى ومايجوز ومايستحيل ومايجب الاعتقاد به من مسائل النبوة والدار الآخرة مما يخشى أن تزل فيه القدم .

٣) أن يكون المفسر على بصيرة بعلوم اللسان العربى من اللغة والنحو والصرف والبلاغة .

٤) معرفة المفسر علوم القرآن ومنها الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول والمكى والمدنى والقراءات والمحكم والمتشابه وقصص القرآن والمجمل والمفصل .

٥) أن يكون المفسر على سعة فى الفهم والادراك ومعرفة الأحكام الفقهية وأدلتها التفصيلية والمسائل المجمع عليها والأصول العامة لقواعد الأحكام .

٦) معرفته بأصول التفسير وهى تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة رضى الله عنهم ثم بأقوال التابعين ثم يرجع لعلم اللسان العربى .(1)

---

(1) انظر : مقدمة جامع التفاسير ص٩٣
ودقائق التفسير ١ : ١١٠ ، والبرهان ١ : ١٣ ، والإتقان ٢ : ٤٩٧ - ٥٠٠ . والتفسير والمفسرون ١ : ٢٦٥ بتصرف .

وأضاف الزرقاني : أن يكون المفسر عالما بأحوال المجتمعات الانسانية وتاريخ الانسان البشرى .[١]

وقد أجمع العلماء على أن التفسير من فروض الكفايات وهو من أجل العلوم.[٢]

وبعد الانتهاء من ذكر شروط المفسر والمستنبط سوف نذكر تعريف التفسير والتأويل فى اللغة والاصطلاح والفرق بين التفسير والتأويل . والتأويل فى اصطلاح غير المفسرين .

٣ - التفسير فى اللغة والاصطلاح

١ - التفسير فى اللغة :

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله (وأحسن تفسيرا)[٣] يقول :أحسن تفصيلا وبيانا وقاله مجاهد .[٤]

قال ابن فارس: (فسر) الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان الشئ وايضاحه .[٥]

وقال ابن منظور: الفسر: البيان والتفسير مثله . والتفسرة .[٦] قال الجوهرى : وأظنه مولدا .[٧]

---

(١) مناهل العرفان : ١ : ٥١٩ .
(٢) الاتقان : ج ٢ : ٤٩٥ . (٣) الفرقان : ٣٣
(٤) تفسير ابن جرير الطبرى : ١٩ : ١١ .
(٥) معجم مقاييس اللغة : فسر ، ٤ : ٤ - ٥ .
(٦) لسان العرب :(فسر) ، ج ٦ ، ٣٦١ .
(٧) الصحاح : (فسر) ج ٢ ، ٧٨١

قال الزمخشرى : وكل شئ ترجم عن حال شئ فهو تفسرته .[١]

وقال الزبيدى : الفسر : الابانه أو كشف المغطى أو كشف المعنى المعقول .[٢]

وفى المصباح المنير : فسرت الشئ بينته وأوضحته والتثقيل مبالغة .[٣]

والتفسير : كشف المغلق من المراد بلفظه واطلاق للمحتبس عن الفهم به .

و (السفر والفسر) يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما . لكن جعل الفسر لاظهار المعنى المعقول . وجعل السفر لابراز الأعيان للأبصار تقول : اسفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها وألقت خمارها وهى سافرة اذا كشفت النقاب عن وجهها .[٤]

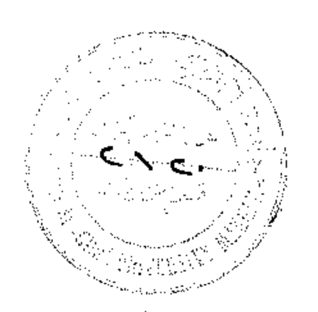
والقول بأن (التفسير) مقلوب السفر مما لا يسفر له وجه .[٥]

وخلاصة القول :

أن التفسير فى اللغة هو البيان والتفصيل والايضاح فى المعانى المعقولة والكشف والاظهار فى المحسوسات والله أعلم .

---

(١) اساس البلاغة : (فسر) ص ٤٧٣ .
(٢) تاج العروس : (فسر) ٣ : ٤٧٠ .
(٣) المصباح المنير : (فسر) ٢ : ١٢٧ .
(٤) البرهان : ج ٢ ، ١٤٧ . ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهانى ٣٨٠ . وانظر الاتقان : النوع السابع والسبعون فى معرفة تفسيره ٢ : ٤٨٩ .
(٥) روح المعانى : ١ : ٤ .



٢ ـ التفسير فى الاصطلاح :

قال الزركشى فى البرهان :

التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه . واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ .(١)

قال أبو حيان :

(التفسير) علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك (علم) هو جنس يشمل سائر العلوم .

وقولنا : (يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن) هو علم القراءات وعلم التجويد .

وقولنا : (مدلولاتها) . أى مدلولات تلك الألفاظ وهذا هو اللغة الذى يحتاج اليه هذا العلم .

وقولنا :(وأحكامها الافرادية والتركيبية) هذا يشمل علم التصريف وعلم الاعراب وعلم البيان وعلم البديع .

وقولنا : (ومعانيها التى تحمل عليها حالة التركيب) يشمل مادلالته عليه بالحقيقة .

---

(١) البرهان : ١ : ١٣ .

وقولنا : (وماد لالته عليه بالمجاز) فان التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صاد . فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر وهو المجاز .

وقولنا : (وتتمات لذلك) هو معرفة النسخ وسبب النزول ونحو ذلك أ هـ [١] وقال: سليمان بن عمر الشهير بالجمل .

و (علم التفسير) يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث د لالته على مراد الله تعالى بحسب الطاقة البشرية . [٢]

ولقد عرف العلماء (التفسير) سوى ماذكر بعدة تعاريف تتفق فى جملتها على أن (التفسير) هو الكشف والبيان عن معانى القرآن من حيث د لالته على مايعلم أو يظن أنه مراد الله تعالى بحسب الطاقة البشرية [٣] والله أعلم .

٣ ـ التأويل فى اللغة :

التأويل مصدر أول . مأخوذ من (آل) يؤول الى كذا أى صار اليه . وأول الكلام تأوله د بره وقد ره . وتأوله فسره . والتأويل عبارة الرؤيا و (التأويل) تفعيل ـ من أول يؤول تأويلا وثلاثيه ـ آل ـ يؤل ـ أى رجع وعاد ومنه آل اليه أمر القوم وصار اليه وقولهم ـ آل ـ يؤول ـ أى عاد الى كذا

---

(١) تفسير البحر المحيط : ج ١، ص ١٣ .
(٢) الفتوحات الآلهية : ١ : ١ .
(٣) أنظر حاشية الصاوى على الجلالين ، ج ١ ، ص ٢ . ومجمع البيان فى تفسير القرآن ١ : ١ . ومناهل العرفان ١ : ٤٧١ .

ورجع ومنه المآل وهو مايؤول اليه الشئ . والكلام انما يرجع ويعود ويستقر ويؤول الى حقيقته التى هى عين المقصود به[1]

والقول بأن (التأويل) من (الايالة) وهى السياسة ليس بشئ .

فالتأويل فى اللغة بمعنى المرجع والمصير والتفسير .[2]

معنى التأويل فى القرآن الكريم

أشار ابن تيمية رحمه الله تعالى الى أن (التأويل) فى اللغة لفظ مشترك .[2]

---

(١) الإكليل في المتشابه من مجموع الفتاوى ١٣ : ٢٩٣

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى : ٣ : ١٨٤ .

وانظر : لسان العرب : ١ : ٢٥ .

وتاج العروس : ٧ : ٣١٤ .

(٢) قال ابن تيمية .... وأصل ذلك أن لفظ (التأويل) فيه اشتراك بين ماعناه الله تعالى فى القرآن وبين ماكان يطلقه طوائف من السلف وبين اصطلاح طوائف من المتأخرين . فسبب الاشتراك فى لفظ التأويل اعتقد كل من فهم منه معنى بلغته أن ذلك هو المذكور فى القرآن . ومجاهد إمام التفسير : قال الثورى : إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك .

وأما التأويل فشأن آخر . ويبين ذلك أن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله ولا قال هذه من المتشابه الذى لا يعلم معناه . ولا قال قط أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين :

"إن فى القرآن آيات لا يعلم معناها ولا يفهمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أهل العلم والإيمان . وإنما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس وهذا لا ريب فيه ....."

الاكليل فى المتشابه من مجموع الفتاوى ١٣ : ٢٨٤

ولقد ورد التأويل في القرآن بمعان منها :[١]

١) طلب تفسير المتشابه وعلمه. قال الله تعالى : (فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنه وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله إلا الله).[٢]

٢) الرجوع الى المآل والعاقبة.[٣] قال الله تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا).[٤]

٣) تعبير الرؤيا :[٥] قال الله تعالى : (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث).[٦]

٤) التفسير ببيان الحكمة والسبب.[٧] قال الله تعالى : (سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا).[٨]

---

(١) انظر: نزهة الأعين النواظر ص:٢١٦

(٢) آل عمران : ٧ .
(٣) انظر: حاشية الشهاب على البيضاوى ٣ : ١٤٩ .
(٤) النساء : ٥٩ .
(٥) انظر: تفسير البيضاوى : ج ١ : ٢٦٠ .
وتفسير ابن كثير: ج ٢ : ٤٦٩ .
(٦) يوسف : ٦ .
(٧) حاشية الشهاب على البيضاوى: ج ٦ : ١٢٧ .
(٨) الكهف : ٧٨ .

٤ ـ التأويل والتفسير في اصطلاح المفسرين

اختلف العلماء في التفرقة بين التأويل والتفسير الى أقوال عدة . فمنهم من قال إنهما بمعنى واحد ومنهم من فرق بينهما .

١ ـ قال ابن الجوزي :

التفسير والتأويل بمعنى واحد . وهذا عند جمهور المفسرين المتقدمين .[١] وهذا هو الذي عناه مجاهد وغيره والله أعلم . أن العلماء يعلمون تأويله[٢] ومنه قول ابن جرير الطبري في تفسيره (القول في تأويل كذا) (مراده التفسير) .[٣]

٢ ـ وقال الراغب الأصفهاني :

(التفسير) أعم من التأويل وأكثر مايستعمل في الألفاظ وأكثر مايستعمل (التأويل) في المعاني والجمل . آ هـ[٤]

٣ ـ وقال البغوي :

التأويل : هو صرف الآية الى معنى محتمل يوافق ماقبلها ومابعدها غير مخالف للكتاب والسنة . من طريق الاستنباط . وقد رخص فيه أهل العلم .[٥]

---

(١) تفسير ابن الجوزي ١ : ٤ .
(٢) في قوله تعالى : (ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به . . . .) . آل عمران : ٧ .
(٣) دقائق التفسير ، ١ : ١٣٠ .
(٤) مقدمة للتفسير ، للراغب الأصفهاني ، ص ٤٠٢ .
(٥) تفسير البغوي ، ١ : ١٤ . وانظر فتح الباري ١٣ : ٥٢٦ .

٤ ـ وقال الخازن :

التأويل : بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية . والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح .[١]

والذي غلب وشاع في عرف المفسرين المتأخرين استعمال (التأويل) (في استنباط المعاني الخفية) أي اظهار المعاني الخفية التي لا تتبادر من ظاهر اللفظ. قال الشهاب في حاشيته معنى (التأويل) الرجوع الى المآل والعاقبة. ثم استعمل في بيان المعنى المراد من اللفظ الغير[٢] الظاهر منه. وكلاهما حقيقة وارد في القرآن. وان غلب التأويل في العرف ولهذا يقابل التفسير[٣] وعلى هذا القول بينهما عموم وخصوص. كما أشار الألوسي الى هذا الاستعمال في مقدمة تفسيره[٤] فالتأويل هو استنباط المعاني الخفية التي لا تتبادر من ظاهر اللفظ[٥] والتفسير خاص بظاهر اللفظ والله سبحانه وتعالى أعلم.

٥ ـ التأويل في اصطلاح غير المفسرين :

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى : (التأويل في عرف المتأخرين

---

(١) تفسير الخازن ، ١ : ١٤ (بهامشة تفسير البغوى) .
(٢) هكذا وردت في النص.
(٣) حاشية الشهاب على البيضاوى ٣ : ١٤٩ .
(٤) روح المعاني ١ : ٥ .
(٥) فكأن المؤول أرجع الكلام الى مايحتمله من المعاني . التفسير والمفسرون ١ : ١٨ .

من المتفقهة والمتكلمة والمحدثة والمتصوفة ونحوهم - هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح (المتبادر) الى المعنى المرجوح (غير المتبادر) لدليل يقترن به. وهذا هو التأويل الذى يتكلمون عليه فى أصول الفقه ومسائل الخلاف.

والمتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذى ادعاه، وبيان الدليل الموجب للصرف اليه عن المعنى الظاهر. وهذا هو التأويل الذى يتنازعون فيه فى مسائل الصفات. أ هـ.[١]

٤ - أقسام التفسير

قسم العلماء التفسير الى أقسام أوردها هنا بايجاز:

التفسير بالرواية:

وهو المسمى بالتفسير المنقول أو التفسير بالمأثور وهو ماجاء فى القرآن أو السنة أو أقوال الصحابة أو التابعين بيانا لمراد الله تعالى.[٢] وهذا النوع من التفسير مقدم على غيره. قال ابن تيمية: فان قال قائل فما أحسن طرق التفسير فالجواب ان أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن. فما أجمل فى مكان فانه قد فسر فى موضع آخر وما أختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر. فان أعياك ذلك فعليك بالسنة فانها شارحة للقرآن

---

(١) الاكليل فى المتشابه والتأويل فى مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣ : ٢٨٨ باختصار.

(٢) انظر البرهان ٢ : ١٥١ ، الاتقان ٢ : ١٩١ ، مناهل العرفان ١ : ٤٨٠.

وموضحة لـه.[1] واذا لم يوجد التفسير فى القرآن ولا فى السنة يرجع الى أقوال الصحابة رضوان الله عليهم لأنهم أفضل منا والله أعلم.

---

(١) دقائق التفسير: ١ : ١١٠.

التفسير بالدراية :

وهو المسمى بالتفسير بالرأى أى بالاجتهاد والمراد هنا التفسير بالرأى الصحيح المبنى على موافقة الكتاب والسنة ومعرفة علوم اللسان العربى والمستند الى العلم والبرهان (الاستنباط والاستدلال) والبعيد عن الجهالة والضلالة. فقد أجازه العلماء لمن كانت له أهلية لهذا الشأن العظيم. وهو الذى يغلب عليه اطلاق التأويل(١) وهو التفسير بالرأى المحمود وخلافه يكون التفسير بالرأى المذموم.

٥ - المفسرون من الصحابة رضوان الله عليهم

اشتهر بالتفسير من الصحابة الخلفاء الأربعة الا أن الرواية عنهم قليلة ويرجع ذلك الى اشتغالهم بمهام الخلافة والفتوحات. أضف الى ذلك أنهم فى وسط أغلب أهله علماء بكتاب الله الكريم. أما على رضى الله عنه فالرواية عنه أكثر ويرجع السبب فى ذلك الى تفرغه من مهام الخلافة مدة طويلة الى نهاية خلافة عثمان وتأخر وفاته رضى الله عنهما الى زمن كثرت فيه حاجة الناس الى من يفسر لهم ما خفى عليهم من معانى القرآن الكريم وذلك ناشئ عن اتساع رقعة الاسلام

---

(١) انظر: البرهان ٢ : ١٦٦ ، مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية ص١١٤ ، الاتقان ٢ : ٥١٧ - ٥١٨ ، مناهل العرفان ١ : ٥١ .

ود خول كثير من الأعاجم فى د ين الله وليس لهم معرفة بخصائص اللغة العربية والأحوال التى يفسر بها القرآن . كما تكلم فى التفسير من الصحابة عبد الله بن عباس شيخ عطاء ، وعبد الله ابن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم .

كما وردت الرواية عن أنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وعبد الله ابن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وأبو موسى الأشعرى ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص . الا أن الرواية قليلة جدا.[1] كما أشار السيوطى الى ذكر الأسانيد عن بعض الصحابة مما ذكر فى التفسير.[2]

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يستعينون فى تفسير القرآن بما يأتى :

١ - معرفة اللغة وأسرارها .

٢ - معرفة عادات العرب.

٣ - معرفة أحوال أهل الكتاب وقت نزول القرآن .

٤ - قوة الفهم وسعة الادراك .[3]

وفوق كل ذلك ماأخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومافهموه من النصوص القرآنية .

---

(١) انظر : البرهان ٢ ، ١٥٧ . والاتقان ج ٢ ، ٥٢٩ ، ٥٣٦ ، ومناهل العرفان ١ : ٤٨٢ . والتفسير والمفسرون ١ : ٦٥ .

(٢) الاتقان ٢ : ٥٣٠ ، والتفسير والمفسرون ١ : ٧٦ - ٨٦ .

(٣) التفسير والمفسرون ← ١ : ٥٩ .

الاختلاف في التفسير

ذكر ابن تيمية أن الاختلاف بين الصحابة فى تفسير القرآن قليل جدا وان كان فى التابعين أكثر منه فى الصحابة رضوان الله عليهم . وترجع أسباب الاختلاف الى :

١) اختلاف تنوع لااختلاف تضاد وذلك صنفان : تعدد اللفظ والمراد واحد . فيعبر المفسر عن المراد بعبارة غير عبارة صاحبه تدل على معنى فى المسمى غير المعنى الآخر مع اتحاد المسمى .

وهذا تنوع الأسماء والصفات مثال ذلك تفسيرهم فى قوله تعالى : (الصراط المستقيم)[١] فقال بعضهم هو القرآن . أى اتباعه وقال بعضهم هو الاسلام . فهذان القولان متفقان لأن دين الاسلام هو اتباع القرآن . ولكن كلاً منهما نبه على وصف غير الوصف الآخر[٢] وكذلك قول من قال (الصراط المستقيم)[٢] طريق العبودية وهو السنة والجماعة (أى اتباع طريق أهل السنة والجماعة) وقول من قال هو طاعة الله ورسوله . وأمثال ذلك فهؤلاء أشاروا الى ذات واحدة وصفها كل بصفة من صفاتها .

٢) ذكر بعض أنواع المسمى : وهو أن يذكر المفسر من الاسم العام بعض أنواعه على سبيل التمثيل وتنبيه المستمع على النوع لا على سبيل الحد المطابق للمحدود فى عمومه

---

(١) الفاتحة : ٦ (٢) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية : ٤٢

(٢) يفسره قوله تعالى : (وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم) يس : ٦١ .

وخصوصية مثل ذلك مانقل فى قوله تعالى : (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات).[1]

فيمكن ذكر بعض الأنواع للاسم العام بما يأتى :

السابق بالخيرات	هو المتقرب بالحسنات مع فعل الواجبات . هو محسن بالصدقة ومؤدى للزكاة . هو مؤدى للصلاة فى أول وقتها فى المسجد مع الجماعة فى الصف الأول قريبا من الامام.
المقتصد	هو الذى يتناول فعل الواجبات تاركا المحرمات مؤدى الصلاة فى وسط وقتها . هو من أصحاب اليمين يؤدى الزكاة المفروضة .
الظالم	هو المضيع للواجبات المنتهك المحرمات . هو المانع للزكاة آكل الربا مؤخر الصلاة الى آخر وقتها .أو تاركها .

فكل قول فيه نوع داخل فى الآية ، وانما ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية وتنبيهه به على نظيره ، فان التعريف بالمثال قد يسهل

---

(١) فاطر : ٣٢ .

أكثر من التعريف بالحد المطابق .[١]

٣) ومن أسباب اختلاف النوع احتمال اللفظ للأمرين : اما لكون اللفظ مشتركا في اللغة كلفظ (قسورة)[٢] الذى يراد به (الأسد) ولفظ (عسعس)[٣] الذى يراد به اقبال الليل وادباره ، وإما لكونه متواطئاً في الأصل ، لكن المراد به أحد النوعين أو أحد الشيئين كالضمائر في قوله "ثم دنا فتدلى ، فكان قاب قوسين أو أدنى"[٤][٥]

٤) استعمال الألفاظ المتقاربة للتعبير عن المعنى : فاذا قال أحدهم في قوله تعالى : (أن تبسل)[٦] أى محتبس وقال

---

(١) دقائق التفسير ← ١ : ٩٤ .

(٢) الآية الكريمة (فرت من قسورة) . المدثر : ٥١ .

(٣) الآية الكريمة (والليل اذا عسعس) . التكوير: ١٧ .

(٤) النجم (٧-٨) (٥) دقائق التفسير ١ : ٩٥

(٦) من الآية الكريمة (... وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ...) الأنعام : ٧٠ .

الآخر ترتهن ونحو ذلك . وان كان المحبوس قد يكون مرتهنا وقد لا يكون .[1]

حكم تفسير الصحابي :

يؤخذ بقول الصحابي اذا لم يوجد نص يخالف قوله و لم يخالفه فيه أحد من الصحابة . أما قول الصحابي في سبب النزول وغيره مما ليس للرأي فيه مجال فله حكم المرفوع[2] وأما سائر تفاسير الصحابة ، مما يتعلق باللغة والأحكام الاجتهادية وغيرها فلها حكم الموقوف.[3] قال السيوطي والذي قال بالرفع الحاكم.[4] قال ابن حجر :

قول الصحابي الذي لم يأخذ عن الاسرائيليات ولا مجال للاجتهاد فيه وليس له تعلق ببيان لغة أو شرح غريب له حكم

---

(١) دقائق التفسير ١ : ٩١ - ٩٧ . وانظر البرهان ١ : ١٥٩ .

(٢) الحديث المرفوع - هو ما أضيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ولا يقع مطلقه على غيره . أنظر : التقييد والايضاح ص ٦٥ .

(٣) الحديث الموقوف - هو ما يروى عن الصحابة رضي الله عنهم من أقوالهم أو أفعالهم ونحوها . فيوقف عليهم ولا يتجاوز به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . واذا ذكر الموقوف مطلقا خص به الصحابي وان استعمل الموقوف فيما جاء عن التابعين فمن بعدهم فقيد به فقيل موقوف على عطاء أو على طاوس أو أوقفه فلان على مجاهد ونحو ذلك .

انظر : التقييد والايضاح : ص ٦٦ . والتبصرة والتذكرة ١ ، ١٢٣ : ١٣٣ .

(٤) انظر معرفة علوم الحديث للحاكم : ص ٢٠ ، والاتقان ١ : ٩٠ .

المرفوع[1] وهذا عام فى التفسير وغيره وبعد الانتهاء من ذكر أسماء المفسرين من الصحابة رضوان الله عليهم .

اليك التفسير فى عهد التابعين ومدارسه :

٦ - التفسير فى عهد التابعين

مانقل فى تفسير القرآن الكريم عن النبى صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم لم يتناول جميع آيات الكتاب العزيز وانما الذى خفى على الصحابة واحتاجوا إليه فسره النبى صلى الله عليه وسلم وغيره كان واضحا لصفاء فطرتهم ومعرفتهم بدقائق اللغة وأسرارها ، فقد نزل القرآن بلغتهم .

وفى عهد التابعين زادت الحاجة الى تفسير القرآن الكريم عندما فتحت كثير من البلدان ودخل كثير من العجم فى دين الاسلام وأنواع من الأمم المختلفة الألسنة[2] ولهذا احتاج الناس الى اظهار ماانطوى عليه كتاب الله تعالى من وجوه المعانى وجواهر الحِكَم .

ولقد تلقى التابعون التفسير عن الصحابة كما تلقوا عنهم

---

(١) نزهة النظر : ٥٣ .

(٢) أنظر البحر المحيط ١ : ١٦ .

السنة المطهرة .

حكم تفسير التابعي :

قال شعبة بن الحجاج[1] وغيره : أقوال التابعين ليست حجة في الفروع فكيف تكون حجة في التفسير ؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح . أما اذا اجتمعوا على الشئ فلا يرتاب في كونه حجة . فان اختلفوا فلا يكون بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم . ويرجع ذلك الى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب أو أقوال الصحابة في ذلك .[1]

تدريس التفسير في عصر التابعين

لما فتح الله سبحانه وتعالى كثيرا من البلدان على أيدى المسلمين لم يستقر جميع الصحابة في المدينة ، وانما انتشر كثير منهم في أقطار العالم الاسلامي ، وكان منهم الولاة ، وكثير منهم خرج للجهاد ومنهم القضاة ومنهم المعلمون .

---

(١) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص١٠٥ . وانظر : أسباب الخلاف في التفسير بين السلف في الاتقان ٢ : ٥٠٠ .

وقد جلس اليهم كثير من التابعين يأخذون عنهم العلم. ولذا قامت في تلك الأمصار المختلفة مراكز علمية أساتذتها الصحابة وتلاميذها التابعون رضوان الله عليهم أجمعين.[1]

وأشهر مدارس تدريس التفسير في عصر التابعين مدرسة التفسير بمكة، ومدرسة التفسير بالمدينة، ومدرسة التفسير بالعراق.[2] وسنتحدث عن كل مدرسة بايجاز.

مدرسة التفسير بالمدينة المنورة:[3]

كان بالمدينة كثير من الصحابة الذين أقاموا بها ولم يتحولوا عنها كما تحول كثير منهم الى غيرها من بلاد المسلمين. وكان من أشهر أساتذة هذه المدرسة أبي بن كعب: وهو أبو المنذر أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي شهد العقبة وبدرا وهو سيد القراء. وأحد كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وله فضائل كثيرة ذكر مناقبه الامام البخاري[4] وقد أمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يقرأ عليه سورة (لم يكن الذين كفروا)[5]، قال فيه عمر بن الخطاب سيد المسلمين أبي بن كعب توفي سنة تسع عشرة وقيل اثنتين وثلاثين. وفي موته اختلاف كثير.[6] ومن أشهر تلاميذ هذه المدرسة:

---

(١) التفسير والمفسرون ١: ١٠٢.

(٢) انظر: مقدمة التفسير لابن تيمية: ص١٦ ط٢ التفسير والمفسرون ١: ١٠٢.

(٤) صحيح الامام البخاري. كتاب مناقب الأنصار باب مناقب أبي ابن كعب ٤: ٢٨٨ . (٥) البينة: ١

(٦) انظر التاريخ الكبير ٢: ٢٩، وميزان الاعتدال ٢: ٦٨، وأسد الغابة ١: ٢٩، وتهذيب التهذيب ١: ١٨٧.

١ - أبو العالية :

هو أبو العَالِية الرِّيَاحِي . رَفِيع بن مَهْرَان البصرى الفقيه المقرئ المفسر كان من كبار التابعين أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، قرأ على عمر بن الخطاب وعلى أبى ابن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس وهو من ثقات التابعين قيل انه حج ستاً وستين حجه ، مات سنة تسعين هـ.(١)

٢ - محمد بن كعب القرظي :

يكنى أبا حمزة قال ابن حجر: كان رجلا صالحا عالما بتأويل القرآن سمع من ابن عباس وزيد بن أرقم وابن مسعود وعلى بن أبى طالب وأبى هريرة كان فى المسجد يقص على تلاميذه فى حلقة درس فسقط السقف عليهم فتوفى عام ثمانية وثمانية هجرية بالمدينة المنورة.(٢)

٣ - زيد بن أسلم:

زيد بن أسلم العدوى المدنى مولى عمر بن الخطاب المفسر كانت له حلقة فى المسجد النبوى لتدريس القرآن الكريم

---

(١) انظر: طبقات المفسرين للداودى ١: ٢٧٢ ، وطبقات القراء لابن الجزرى ١: ٢٨٤ ، المعارف ص٢ ، وتذكرة الحفاظ ١: ٦١ ، وتهذيب التهذيب ٣: ٢٨٤ .

(٢) انظر: التاريخ الكبير ١: ٢١٦ ، ومشاهير علماء الأمصار ص٦٥ وطبقات القراء لابن الجزرى ١: ٢٣٣ .

وهو من الثقات. مات سنة ست وثلاثين ومائة.[١]

مدرسة التفسير بالعراق :

شيخها ومعلمها الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود[٢] هو أبو عبد الرحمن بن مسعود بن حبيب الهذلي مات أبوه في الجاهلية وأسلمت أمه وصحبت فلذلك نسب اليها أحيانا

وكان من السابقين في الاسلام هاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها كان أقرب الناس سمتا وهديا[٣] بالنبي صلى الله عليه وسلم. وكان صاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال له النبي صلى الله عليه وسلم في أول الاسلام (انك غلام معلم)[٤]. قال ابن مسعود : (أخذت من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة)، لما ولَّى عمر بن الخطاب عمار بن يسار على الكوفة سير معه ابن مسعود معلما. رجع في أواخر عمره الى المدينة ومات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين وقد جاوز الستين سنة.[٥]

وفي هذه المدرسة توسعت دائرة الاستنباط تبعا لمنهج عبد الله بن مسعود ، فقد انتشر علمه لشهرته بالتفسير ولكثرة

---

(١) انظر مايأتي : طبقات المفسرين للداودي ١ : ١٧٦ ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٢٩٦ ، وتذكرة الحفاظ ١ : ١٣٢ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٣٩٥ .
(٢) ذكر الامام البخاري في صحيحه مناقبه في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عبد الله بن مسعود . ٤ : ١٨٢
(٣) أي خشوعا وطريقة وهيئة . الفتح ٧ : ١٠٢ .
(٤) رواه الامام أحمد في مسنده ١ : ٣٧٩ وقال الذهبي صحيح الاسناد سير أعلام النبلاء ١ : ٤٦٥ .
(٥) انظر : التاريخ الكبير ٣ : ٢ والفتح ٧ : ١٠٢ وتهذيب التهذيب ٦ : ٢٧

أصحابه والآخذين عنه[1] ومن أشهر تلاميذ هذه المدرسة الذين يفتون ويقرأون بقراءته[2]

١ - علقمة بن قيس:

ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وهو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الكوفي فقيه العراق سمع من عمر وعثمان وأبي الدرداء ، جود القرآن على ابن مسعود كان صاحب خير وورع يشبه ابن مسعود في هديه وسمته ، جميل الصوت بالقرآن ، وكان ابن مسعود اذا سمعه يقول له لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسر بك . يستقرؤه ابن مسعود ويقول له فداك أبي وأمي ، مات سنة ٦١ هـ.[3]

٢ - مسروق بن الأجدع:

مسروق بن الاجدع الامام الهمداني ، من الكوفة فقيه . أحد الأعلام كان كثير الصلاة خلف أبي بكر روى عن الخلفاء الأربعة وثقه العلماء ، مات سنة ثلاث وستين .[4]

---

(١) العلل لابن المديني ص ٤٤ ، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٥١٦ ، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٧٦ .

(٢) ومن أشهر الطرق عن ابن مسعود طريق الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود وطريق مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود وكذلك طريق الأعمش عن أبي وائل عن ابن مسعود وقد اعتمد عليهما البخاري في صحيحه للتوسع .الاتقان : ٢ : ٥٣٠ ، والتفسير والمفسرون ١ : ٨٦ .

(٣) انظر العلل لابن المديني ص ٢٢ ، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٤٨ ، تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٧٦ .

(٤) أنظر : المعارف ص ١٩١ . وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٢٦ . وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٠٩ .

٣ - الأسود بن يزيد :

هو الأسود بن يزيد بن قيس . أبو عمرو النخعي الفقيه الزاهد الامام ، عالم الكوفة ، كان من العباد ، أخذ عن ابن مسعود ومعاذ وحذيفة بن اليمان وبلال وكبار الصحابة ، أطلق عليه (الأسود من أهل الجنة) لتقواه وصلاحه ، توفى سنة خمس وسبعين وقيل أربع وسبعين .[1]

٤ - مرة الهمداني :

أبو اسماعيل مرة بن شراحيل الهمداني بسكون الميم . ويقال له مرة الخير الكوفي العابد ، روى عن أبي بكر وعمر وأبي ذر الغفاري . كان كثير الصلاة عالما بالتفسير ، مات سنة ست وسبعين هـ .[2]

٥ - عامر الشعبي :

هو أبو عمر عامر بن شراحيل الشعبي الحميري الكوفي تابعي جليل قاضي الكوفة ، أدرك جمعا من الصحابة وسمع بعضا منهم وثقه العلماء ، توفى سنة مائة وتسع هـ .[3]

---

(١) انظر : غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري ج ١ ص ١٧١ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٥٠ ، تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٤٢ ، طبقات الحفاظ للسيوطي ج ١ ص ١٥ .

(٢) طبقات المفسرين للداودي ج ٢ ص ٣١٧ ، التاريخ الكبير ج ٨ ص ٥ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٦٧ . تهذيب التهذيب ج ١ ص ٣٤٢ .

(٣) انظر المعارف ص ١٩٨ . وتهذيب التهذيب ٥ : ٦٥ .

٦ - الحســـن البصـــرى :

الحسن بن أبى الحسن . واسم أبيه يسار مولى الأنصار كان جميل الخلقة حجة ، كان عابدا كثير العلم ، كان يجلس للدرس والناس جلوس حوله فى مسجد البصره . سئل عنه عطاء فقال : ذاك امام يقتدى به يضرب به المثل فى الوعظ والارشاد ، سقط عن دابته فحدث بأنفه شئ . توفى وعمره ثمان وثمانون عام ١١٠ هـ.(١) ، (٢)

٧ - قتـــــادة :

أبو الخطاب قَتَادَة بن دعَامَة السّدُوسِي : أحد الأعلام ولد أكمه يضرب به المثل فى الحفظ ، من أعلم الناس بالقرآن كان يسكن البصره ، ثقة ، أتهم بكلامه فى القدر ، توفى عام مائة وسبعة عشر هـ.(٣)

---

(١) المعارف ص ١٩٤ ، والطبقات الكبرى : ٧ : ١١٤ ، تذكرة الحفاظ : ١ : ٧١ ، وحلية الأولياء : ٢ : ١٣١ - ١٦١ ، وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٢) انظر : الحسن البصرى مفسرا . أحمد اسماعيل البسيط . وأنظر : رجال الفكر والدعوة فى الاسلام لأبى الحسن الندوى ص ٩٠ .

(٣) انظر غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٢ ، ٢٥ . وتذكرة الحفاظ ١ ، ١٢٢ . تهذيب التهذيب ٨٠ ، ٣٥١ . طبقات الحفاظ للسيوطى ١ ، ٤٧ .

مدرسة التفسير بأم القرى مكة :

تميزت هذه المدرسة عن بقية المدارس بما يأتي :

١ - أنها مدرسة الصحابي الجليل عبد الله بن عباس المفسر الأول لكتاب الله تعالى . لما حصل له من الفهم والمعرفة بالقرآن الكريم ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله : (اللهم علمه الكتاب) .[1] وفي رواية أخرى : (اللهم فقهه في الدين) .[2]

٢ - مكة المكرمة مهبط الوحي ، ومنها انطلقت رسالة الاسلام وسطع نور الحق . فقد عاشت مكة المكرمة ظروفاً وبيئة تنزل القرآن فيها أول عهده ، وأواخر تنزلاته . وهذا أعون على فهم القرآن وأساس في تفسيره[3] قال ابن تيمية (. . . . وأما التفسير فان أعلم الناس به أهل مكة لأنهم أصحاب ابن عباس) .[4]

أعلام مدرسة التفسير بمكة المكرمة

١ - الصحابي الجليل عبد الله بن عباس :[5]

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن عبد مناف . . . .

---

(١) صحيح البخاري . كتاب العلم . باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم علمه الكتاب) ١ : ٢٧ .
(٢) صحيح البخاري . كتاب الوضوء . باب وضع الماء عند الخلاء ١ : ٤٥ .
(٣) انظر : أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن . مناهل العرفان ١ : ٨٥ .
(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٦١ .
(٥) انظر : فضائل الصحابة ٢ : ٨٤٤ ، والمستدرك للحاكم : ٣ : ٥٣٣ ، والاصابة ٢ : ٣٣٠ ، وتهذيب التهذيب ٥ : ٢٧٦ .

القرشي الهاشمي . يكنى أبا العباس ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم. أمه أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين . ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات وبنو هاشم في الشعب.

مكانتـه العلميـة :

عبد الله بن العباس من علماء الصحابة ومفسر كتاب الله تعالى[1] وترجمانه. يقال له الحبر والبحر لسعة علمه ، له مفردات ليست لغيره[2] لاتساع علمه وكثرة فهمه وكمال عقله ونبل أصله. فقد أخرج البخاري في الصحيح بسنده عن ابن عباس قال : (ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : اللهم علمه الكتاب) وفي رواية أخرى : (ضمني النبي صلى الله عليه وسلم الى صدره وقال : اللهم علمه الحكمة)[3]. قال ابن حجر أخرج النسائي والترمذي من طريق عطاء عن ابن عباس قال : (دعا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أوتى الحكمة مرتين فيحتمل تعدد الواقعة فيكون المراد بالكتاب القرآن وبالحكمة السنة). وفي رواية عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر : التاريخ الكبير ـ البخاري ٥ : ٣ ، صحيح البخاري . كتاب فضائل الصحابة . باب ذكر فضائل ابن عباس . ٤ : ٢١٧ ، والبداية والنهاية : ابن كثير ٨ : ٢٩٥ .

(٢) مثل غريب القرآن . رواية ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس ، انظر : ص من هذه الرسالة .

(٣) صحيح البخاري . كتاب فضائل الصحابة باب ذكر فضائل ابن عباس رضي الله عنهما . ٤ : ٢١٧

.... فقال : (اللهم فقهه فى الدين) .

قال ابن حجر اشتهرت على الألسنة (اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل)[1] حتى نسبها بعضهم للصحيحين ولم يصب.[2]

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر ابن عباس خمس عشرة سنة ، وقيل ثلاث عشرة سنة. كان يسأل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فحفظ الأقوال والأفعال والأحوال وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يجلسه مع مشايخ الصحابة وهو شاب[3] لعلمه وفهمه ويدعوه للمعضلات[4] قال عطاء بن أبى رباح تلميذه الأول : (مارأيت مجلسا أكرم من مجلس ابن عباس ولا أكثر فقها ولا أعظم هيبة. أصحاب القرآن يسألونه ، وأصحاب الشعر عنه يسألونه كلهم يصدرهم فى واد واسع.[5] وقيل لطاوس بن كيسان تركت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وانتهيت الى قول غلام . قال أدركت سبعين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. اذا أختلفوا فى شئ انتهوا الى قول ابن عباس/ووصف جماله تلميذه

---

(١) هذه الرواية بلفظ (علمه التأويل) اسنادها ضعيف. انظر كتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل بتحقيق الأستاذ وصى الله محمد عباس ٢ ، ٨٤٦.

(٢) الفتح : ٧ ، ١٠٠.

(٣) صحيح البخارى . كتاب المغازى . باب حدثنى محمد بن بشار .. عن عائشة قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم .....) ٥ : ٩٤

(٤) أى للمسائل الصعبة .

(٥) أى يتسع علمه وفهمه لكل من يسأله. وانظر: كتاب المعرفة والتاريخ ١ :٥١٢ ، ٥٢٠.

عطاء بن أبى رباح فقال: (مارأيت القمر ليلة أربع عشرة وأنا فى المسجد الحرام طالعا من جبل أبى قبيس الا ذكرت وجه ابن عباس رضى الله عنهما[1] امتنع عن مبايعة ابن الزبير. فأقام فى الطائف. كف بصره فى آخر عمره ، توفى رضى الله عنه سنة ثمان وستين بالطائف وعمره على الأصح إحدى وسبعون سنة.[2] وبهذه الترجمة المختصرة تبين لنا مكانة ابن عباس رضى الله عنه العلمية ، الذى يعتبر المعلم الأول لعطاء بن أبي رباح موضع الدراسة في هذا البحث.

أعلام تلاميذ مدرسة التفسير بمكة المكرمة

١ - مجاهد بن جبر:

أبو الحجاج القرشى مولى السائب بن السائب المخزومى. أحد أئمة التابعين والمفسرين المقرئ آخذ التفسير عن ابن عباس وأبى هريرة وأبى سعيد الخدرى. وروى عنه خلق من التابعين وأتباعهم. قال الذهبى أجمعت الأمة على امامة مجاهد. واعتمد قوله الامام الشافعى والبخارى فى التفسير.

---

(١) تاريخ مكة للأزرقى ٢ ، ٣١٤ .

(٢) انظر : التاريخ الكبير ٥ - ٣ . الإصابة فى تمييز الصحابة ٢ ، ٣٢٢ . صحيح البخارى. كتاب فضائل الصحابة. باب ذكر فضائل ابن عباس. ٤: ٢١٧ . البداية والنهاية ٨ ، ٢٩٥ .

(٣) انظر المعرفة والتاريخ (١: ٢٥٤) ، ٢: ٧ .

ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه. توفي وهو ساجد سنة أربع ومائة هـ.[(١)]

٢ - طاووس بن كيسان :

وهو أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان اليماني الجندي كان أبوه من أهل فارس تابعي كبير مشهور وردت عنه الرواية في حروف القرآن. أخذ القراءة عن ابن عباس وغيره. حج أربعين حجة وكان مستجاب الدعوة. ورد عن ابن عباس أنه قال: (اني لأظن أن طاوسا من أهل الجنة)[(٢)] لشدة ورعه.

٣ - سعيد بن جبير :

أبو عبد الله مولى بني والبة من بني أسد، حبشي الأصل. أحد كبار التابعين أخذ القراءة والتفسير عن ابن عباس وله أقوال في التفسير سمع ابن مسعود وابن عمر وابن الزبير وأنس بن مالك وأبا هريرة. حجة في العلم. ذكر أن له ابنين عبد الله وعبد الملك. كانت له مناظرة مع الحجاج قبل

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى ٢ : ٣٠٥. التاريخ الكبير ٧ : ١٢ : ٤. طبقات المفسرين - الداودي ٢ : ٥. المعارف ص ٢٠٠. مشاهير علماء الأمصار ص ٨٢. تذكرة الحفاظ ١ : ٩٢. طبقات القراء لابن الجزري ٢ : ٤١. تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٢.

(٢) التاريخ الكبير ٤ : ٣٦٥. الطبقات الكبرى ٧ : ٥٣٧. تذكرة الحفاظ ١ : ٩٠. تهذيب التهذيب ٥ : ٨ - ١٠.

موته تدل على قوة يقينه وايمانه بالله تعالى . قتله الحجاج وهو ابن تسع وأربعين/سنة خمس وتسعين هـ ولم يدم الحجاج بعده مدة طويلة .[1]

٤ - عكرمة البربري مولى ابن عباس:

أبو عبد الله المدني أصله من البربر بالمغرب سمع ابن عباس وأبا سعيد الخدري وعائشة أم المؤمنين وكان ممن يرجع اليه في العلم لحفظه واتقانه . كان ورعا . أخرج له البخاري ومسلم وثقه النسائي والامام أحمد . أتهم برأى الخوارج . قال ابن حجر: (لم تثبت عليه) . مات سنة أربع ومائة هـ.[2]

ونذكر فيما يلي ترجمة مفصلة عن عطاء بن أبي رباح أحد أعلام مدرسة التفسير بمكة المكرمة وهو موضوع الرسالة :-

---

(١) التاريخ الكبير ٧ : ٤٩ . وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٣٠٥ . تذكرة الحفاظ ١ : ٧٦ . تهذيب التهذيب ٤ : ١٣ - ١٤ .

(٢) التاريخ الكبير ٧ : ٤٩ . وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ١ : ٥١٥ . مشاهير علماء الأمصار ص ٨٢ . هدى الساري لابن حجر ص ٤٢٥ . تهذيب التهذيب ٧ - ٢٦٣

الباب الأول
حياة عطاء وعصره

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : عصر عطاء

الفصل الثاني : حياته

الفصل الثالث : مكانته العلمية



الفصل الأول

عصر عطاء

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : عصر عطاء

المبحث الثاني : أهم الأحداث السياسية في عصر عطاء

المبحث الثالث : الخلافات السياسية في عصر عطاء وأثرها

المبحث الرابع : الحياة الاجتماعية في عصر عطاء



المبحث الأول : عصر عطاء

ولد عطاء بن أبي رباح في خلافة عثمان بن عفان سنة ست وعشرين للهجرة.[1]

قال عطاء: (ولدت لعامين خلوا من خلافة عثمان). وقال (أذكر قتل عثمان)[2] رضي الله عنه حين جاء الرسول وأنا أشتد مع الصبيان). وقال: أدركت مائتي نفس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المسجد اذا قال الامام (ولا الضالين)[3] سمعت لهم رجة[4] بآمين.[5]

وعاش عطاء ثمانٍ وثمانين سنة[6] أدرك فيها أكثر خلفاء

---

(١) العقد الثمين ٦ : ٨٦. وقال ابن حبان في الثقات مولده بالجند سنة سبع وعشرين. وقال مثله غيره أيضا. أنظر: تهذيب التهذيب ٧ : ١٩٩ - ٢٠٣.

(٢) وفي رواية التهذيب وغيره (أعقل مقتل عثمان). وانظر: المغازي النبوية لأبي شهاب الزهري ص ١٥٣. (٣) الفاتحة : ٧

(٤) وفي رواية (للجة) مصنف عبد الرزاق ٢ : ٩٧. وفي رواية. (كان لنا دوي). مصنف ابن أبي شيبة ٢ : ١٨٨.

(٥) التاريخ الكبير ٣ : ٤٦٤.

(٦) وقيل: تسعون سنة. العقد الثمين: ٦ : ٨٦.

بني أمية. وتوفي رحمه الله سنة أربع عشرة ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك.(١)

المبحث الثاني

أهم الأحداث في عصر عطاء

١ - مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه:

ولي الخلافة عثمان بن عفان في شهر محرم سنة أربع وعشرين. وقتل وهو أمير المؤمنين في سنة خمس وثلاثين للهجرة على الصحيح.(٢)

٢ - مقتل علي رضي الله عنه:

ضربه عبد الرحمن بن ملجم الخارجي ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة في شهر رمضان بسيف مسموم فأصاب جبهته. وكان ذلك عند خروجه لصلاة الصبح. وبقي علي رضي الله عنه حيا يومي

---

(١) ولي الخلافة سنة خمس ومائة. وكانت وفاته سنة خمس وعشرين ومائة.

(٢) الفتنة ووقعة الجمل رواية سيف بن عمر الضبي الاسدي ص٨٥. تاريخ الطبري ٢: ٥٨٩ - ٦٨٩. وسير أعلام النبلاء ٥: ٨٧، وانظر البداية والنهاية ٧: ١٥٠ - ٢٣٠. والعقد الثمين ٦: ٨٦.

الجمعة والسبت وتوفى ليلة الأحد سنة أربعين من الهجرة .[١]

٣ - مقتل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم :

لما مات معاوية رضي الله عنه بايع الناس ابنه يزيد فبعث الى أهل المدينة من يأخذ له البيعة . فأبى الحسين وابن الزبير وخرجا الى مكة المكرمة ، وبعد ذلك طلب أهل الكوفة الحسين بن علي ، وبينما هو سائر اليهم .... قتل في كربلاء رحمه الله تعالى في يوم عاشوراء من شهر المحرم سنة احدى وستين من الهجرة .[٢] وعمر عطاء بن أبي رباح حينذاك خمس وثلاثون سنة .

٤ - وقعة الحرة في زمن يزيد بن معاوية :

كان السبب في وقعة الحرة[٣] أن وفدا من أهل المدينة

---

(١) تاريخ الطبرى ٣ : ١٥٥ . وانظر : البداية والنهاية ٧ : ٣٢٨ .
(٢) تاريخ الطبرى ٣ : ٣٠٥ . وانظر : البداية والنهاية ٨ : ١٧٣ - ١٧٤ .
(٣) والمراد بالحرة . الحرة الشرقية واسمها حرة واقم : احدى حرتي المدينة . سميت برجل من العماليق اسمه واقم وكان قد نزلها في الدهر الأول .
والحرة الثانية : حرة : قباء : قبلي المدينة .
وهناك حرة الوبرة : بفتح الباء وتسكينها : وهي على ثلاثة أميال من المدينة .
وهناك حرة عباد وهي حرة دون المدينة .
والحرة : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار .
. معجم البلدان للحموى ٢ : ٢٤٥ - ٢٥٠ .

قدموا على يزيد بن معاوية بدمشق فأكرمهم وأحسن العطاء لأميرهم. وهو عبد الله بن حنظلة بن عامر ، فلما رجعوا ذكروا لأهل المدينة عن يزيد ماكان عليه من المعاصي مما جعلهم يجتمعون على خلعه عند المنبر النبوى. فلما بلغه ذلك أرسل اليهم سرية بقيادة مسلم[١] بن عقبة المزنى. فلما قدم المدينة أشار عليه عبد الملك بن مروان أن ينزل شرقى المدينة فى الحرة ... ثم أقتتلوا قتالا شديدا ثم انهزم أهل المدينة فأباح مسلم بن عقبة المسرف أ المدينة لجنده ثلاثة أيام فَقُتِل عدد كبير من أهل المدينة منهم حفظة لكتاب الله تعالى. وقيل فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكانت وقعة الحرة يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وستين من الهجرة.

ثم اتجه مسلم بن عقبة المسرف الى مكة المكرمة قاصدا عبد الله بن الزبير لأنه لم يبايع يزيد. وفى أثناء الطريق مات قائد الجيش مسلم بن عقبة فتولى قيادة الجيش حصين ابن نمير السكونى ، فحاصر ابن الزبير وأتباعه ورموه بالمنجنيق[٢] وأثناء الحصار جاء الخبر بوفاة يزيد بن معاوية لأربع عشرة ليلة مضت من ربيع الأول سنة أربع وستين.

فرجع ابن نمير بالجيش الى الشام. فدعا ابن الزبير

---

(١) لقبه بعضهم مسرفا لقبح أعماله.
(٢) المنجنيق بكسر الميم وفتحها آلة ترمى الحجارة: القاموس المحيط (جنق) ٣ : ٢١٨.

لنفسه بالخلافة فى الحجاز ثم أطاعه أهل العراق والشام وخراسان واليمن .... حتى جاء زمن عبد الملك بن مروان وظفر بابن الزبير. فجهز عبد الملك بن مروان جيشا قوامه أربعين ألفا بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى. فضرب الحصار على ابن الزبير وأتباعه ليلة هلال ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين من الهجرة وأثناء الحصار رموه بالمنجنيق فاحترقت أستار الكعبة وسقفها. كما انضم بعض أتباع ابن الزبير الى الحجاج، وبعد حصار دام خمسة أشهر وسبع عشرة ليلة قتل ابن الزبير وصلب يوم الثلاثاء لسبع عشرة ليلة مضت من جماد الأولى سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.[1] وكان عمر عطاء بن أبى رباح يقرب من السابعة والأربعين. وكان عطاء مع ابن الزبير فى الحصار. وضربت يده، ثم شلت.[2]

قال جرير بن حازم: (رأيت يد عطاء شلاء ضربت أيام ابن الزبير).[3] ويبدو أن عطاء لم يكن على استعداد للدفاع عن نفسه حين دخل بعض أفراد الجيش المسجد الحرام. فضربت يده. قيل لعطاء انك لخنشليل[4] فقال: انهم دخلوا علينا.[5]

---

(١) البداية والنهاية ٦: ٢٤٨، ٨: ٢٢٠ - ٣٣٤ - ٣٣٧ بتصرف.
(٢) سير أعلام النبلاء ٥: ٨٠.

(٣) تاريخ الاسلام ٤: ٢٧٩.
(٤) الخنشليل: الجيد الضرب بالسيف. لسان العرب. (خنشل) ١١: ٢٢٣.
(٥) سير أعلام النبلاء ٥: ٨١. وانظر: تهذيب التهذيب ٧: ٢٠٠.

شخصية عطاء السياسية

لم يذكر رأى لعطاء بعد ابن الزبير فى الأحداث السياسية التى عاصرها وربما يعود ذلك الى انشغاله بطلب العلم والعبادة . والى الاستقرار السياسى فى مكة المكرمة .[١] ووقوف عطاء مع ابن الزبير ربما يرجع الى تأثر عطاء بتقوى وصلاح ابن الزبير . عن عبد الرزاق قال أهل مكة : أخذ ابن جريج الصلاة عن عطاء وأخذها عطاء من ابن الزبير ، وأخذ ابن الزبير من أبى بكر ، وأخذها أبو بكر من النبى صلى الله عليه وسلم . مارأيت أحدا أحسن صلاة من ابن جريج .[٢]

---

(١) فقه عطاء كاسب عبد الكريم البدران ص ٢٦

(٢) اسناده صحيح . وأخرجه الخطيب فى تاريخه ١٠ : ٤٠٤ باسناده عن الامام أحمد وأبو بكر المروزى فى مسند أبى بكر ١٧١ بزيادة (ورسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل ، وجبريل عن الله عز وجل) . انظر فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل .

كما ذكر هذه الرواية ابن عساكر فى تاريخ دمشق . مخطوط تحت رقم ١٠١ . البحث العلمى . جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وذكر هذه الرواية أيضا ابن كثير فى البداية والنهاية ٨ : ٣٣٨ . وكلتا الروايتين بدون الزيادة المذكورة آنفا .

المبحث الثالث

أثر الخلافات السياسية في عصر عطاء

اذا نظرنا الى نشأة الفرق نجد أنها سياسية. لأن سبب نشأتها هو النزاع على الخلافة ثم أصبحت فرقا دينية محضة[1] ثم أختلفت كل فرقة فيما بينها وأصبحت فرقا[2] وان كان رأيها يرجع الى استدلالات خاطئة من نصوص الكتاب والسنة.

الا أن سبب ظهور هذه الفرق مخالفة ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وصد عن سبيل الله وذلك ناشئ عن الغلو والجهل واتباع للظن وما تهوى الأنفس[3] ونشير الى بعض الفرق باختصار.

١ - الشيعة:

الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضي الله عنه على الخصوص. وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية وأعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده. وقالوا ان الامامة قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل عليهم السلام اغفاله واهماله ولا تفويضه الى العامة وارساله.

---

(١) انظر تاريخ الفرق الاسلامية - على مصطفى - ص ٢٠.

(٢) للتوسع انظر: الفرق بين الفرق - لعبد القاهر البغدادي ص ٤

(٣) منهاج السنة النبوية - ١ : ٤ ، ٥ بتصرف.

وقالوا بعصمة الأئمة عن الكبائر والصغائر.[1] كما فضلوا عليا على جميع الصحابة رضوان الله عليهم. فيبغضون خيار الصحابة المشهود لبعضهم بالجنة[2] ولقد افترقت الشيعة الى فرق منها - كيسانية - وزيدية - وامامية - وغلاة - واسماعيلية. وكل فرقة من هذه الفرق أفترقت الى فرق. وبعضهم يميل في الأصول الى الاعتزال وبعضهم يميل الى التشبيه.[3]

٢ - الخوارج :

كل من خرج على علي رضي الله عنه يسمى خارجيا. ممن كان معه في حرب صفين[4] وقالوا : القوم يدعوننا الى كتاب الله وأنت تدعونا الى السيف! وهم الذين حملوه على التحكيم. ثم انهم قالوا : أخطأ علي في التحكيم. اذ حكم الرجال ولا حكم الا لله وقد كذبوا عليه. وتخطوا عن التخطئة الى التكفير ولعنوا

---

(١) الملل والنحل : ١: ١٤٦ - ١٤٧.

(٢) منهاج السنة النبوية : ١: ٩ ومجموع الفتاوى ٣: ٢٧٩.

(٣) الفصل في الملل والنحل : ٤: ١٧٩ ؛ وأنظر الفرق بين الفرق (٢ - ٢٩) و الشيعة والسنة احسان آلهي ظهير ، و الشيعة والتصحيح د. موسى الموسوى.

(٤) صفين. وهي موضع بقرب الرّقّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرّقّة وبالس. وكانت وقعة صفين بين علي رضي الله ومعاوية في سنة ٣٧هـ في غرة صفر. معجم البلدان الحموي ٣: ٤١٤ وأنظر: وقعة صفين لنصر بن مزاحم تحقيق عبد السلام هارون.

عليا رضي الله عنه فقاتلهم علي رضي الله عنه بالنهروان [١] مقاتلة شديدة فقتل بعضهم ورجع بعضهم عن رأيه ومابقى منهم الا القليل ثم ظهرت بدع الخوارج فقالوا بتكفير أصحاب الكبائر وكانوا يرون الخروج على الامام اذا خالف السنة حقا واجبا . (ثم اجتمعوا على أن من لا يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله وأهله) [٢] وكبار الفرق منهم المحكمة والأزارقة والنجدات والبيهسية والعجاردة والثعالبة والاباضية والصفرية والباقون فروعهم.[٣]

٣ - المرجئة :

لما كفرت الخوارج الحكمين ثم قالت بتكفير صاحب الكبيرة . نشأت هذه الفرقة وقالوا نرجئ من دخل الفتنة فنكل أمرهم الى الله فسميت المرجئة . ثم قالوا نرجئ صاحب الكبيرة الى يوم القيامة فلا يحكم له بجنة أو نار . ثم قالوا لا تضر مع الايمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة . والمرجئة أربعة أصناف: المرجئة الخالصة ، ومرجئة الخوارج ، ومرجئة

---

(١) نهروان : وهي ثلاثة نهروانات الأعلى والأوسط والأسفل . وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط من الجانب الشرقي حدها الأعلى متصل ببغداد وفيها بلاد متوسطة . منها اسكاف وجراجرايا والصافية ودير قني وغير ذلك . معجم البلدان - الحموي ٥ : ٣٢٤ .

(٢) الفتح ١٢ : ٢٨٤ - ٢٨٥ . وانظر: مجموع الفتاوى ٣ : ٢٧٩ .

(٣) انظر للتوسع :الملل والنحل ١ : ١١٤ - الفصل في الملل والنحل ٤ : ١٨٨ . تفسير الطبري ١ : ١٠٠ - ١٢٦ . الفرق بين الفرق ص ٢٠ - ٢٤ - ٧٢ . كتاب الخوارج ، د . عامر النجار ، المذاهب الاسلامية ، أ. محمد أبو زهرة ص ٩٧ .

القدرية ، ومرجئة الجبرية .[1]

" موقف عطاء من هذه الفرق "

أدرك عطاء بن أبي رباح أثر الخلافات السياسية وما نجم عنها من نشأة الفرق الدينية . مع ملاحظة لآرائهم واستدلالاتهم التي بنوا عليها مبادئهم . ولقد كان موقف عطاء من هذه الفرق موقف أهل السنة والجماعة . ومصدر اعتقاد أهل السنة والجماعة الكتاب والسنة ، قال عطاء في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ...)[2] قال : طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة .[3] وعطاء في قوله متبع للحديث الذي رواه أبو سلمة بن عبد الرحمن أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ...) .[4]

---

(١) الملل والنحل ١ : ١٣٩ .
وانظر : الفصل في الملل والنحل ٣ : ١٨٨ .
والفرق بين الفرق ٢٠٢ .
وتهذيب التهذيب ٢ : ٣٢٠ - ٣٢١ .

(٢) النساء : ٥٩ .

(٣) سنن الدارمي باب الاقتداء بالعلماء ١ : ٧٢ . وانظر : تفسير ابن جرير الطبري ٥ : ١٤٧ . وتفسير ابن كثير ١ : ٥١٨ . والدر المنثور ٢ : ٥٧٣ .

(٤) صحيح البخاري . كتاب الأحكام . باب قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) الفتح ٧ : ١٠٤ .

وهذا الموقف من عطاء ليس مستبعدا حيث أنه تلميذ حبر الأمة عبد الله بن العباس قال ابن المديني : (" وأصحاب ابن عباس الذين يذهبون مذهبه ويسلكون طريقه ويفتون فتواه . عطاء وطاووس ومجاهد وجابر بن زيد وعكرمة وسعيد بن جبير") [١] ويتضح لنا موقف عطاء عندما سأله أبو حنيفة النعمان (قال أبو حنيفة لقيت عطاء بمكة فسألته عن شيء فقال من أين أنت ؟ فقلت من أهل الكوفة . قال أنت من أهل القرية الذين فارقوا [٢] دينهم وكانوا شيعا . [٣] قلت نعم . قال فمن أي الأصناف أنت ؟ قلت ممن لا يسب السلف ، ويؤمن بالقدر ، ولا يكفر أحدا من أهل القبلة بذنب . فقال عطاء : عرفت فالزم . [٤] وعقد بيده ثلاثين [٥] وقال هكذا أدركنا السلف [٦] تأكيدا لقول أبي حنيفة وبيانا له بأن هذا هو اعتقاد السلف وطلب منه الثبات عليه .

---

(١) علل الحديث . لابن المديني ٤٣ - ٤٨ . وانظر المعرفة والتاريخ ٣ : ٣٨٩ - ٣٩٠ .

(٢) (فارقوا دينهم) قراءة واردة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ : (فارقوا دينهم) وهي قراءة صحيحة قرأ بها حمزة والكسائي . وقراءة الجمهور (فرقوا دينهم) الأنعام : ٥٩ (. انظر : النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٦٦ . والدر المنثور ٤ : ٤٠٢ .

(٣) من الآية الكريمة : (ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء) قال ابن عباس رضي الله عنهما : (اليهود والنصارى تركوا الاسلام والدين الذي أمروا به وكانوا فرقا وأحزابا مختلفة . الدر المنثور ٣ : ٤٠١ .

(٤) البداية والنهاية ٩ : ٣٠٧ .

(٥) اشارة الى طريقة معروفة تواطأت عليها العرب في عقود الحساب ..... وللثلاثين عقد رأس السبابة على رأس الابهام عكس العشرة . انظر : سبل السلام ١ : ١٨٩ .

(٦) مفتاح السعادة - طاش كبرى ٢ : ٢٠٤ .
وانظر البداية والنهاية ٩ : ٣٠٧ والعقد الثمين ٦ : ٩١

ومن هذا الحوار تبين لنا أن عطاء بن أبي رباح كان على علم بآراء هؤلاء الاعتقادية وصرح بأنهم من الذين فارقوا دينهم وأصبحوا فرقا وأحزابا وشبههم في ذلك باليهود والنصارى. ولقد أقر عطاء أبا حنيفة النعمان على جوابه. وطلب منه الالتزام بهذه العقيدة لأنها الحق والصواب وهي مذهب أهل السنة والجماعة ومنهم عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى.

ومما يؤكد منهج عطاء وموقفه ماورد عن ابن جريج قال: رأيت عطاء يطوف بالبيت فقال لقائده:[1] أمسكوا واحفظوا عني خمسا: القدر خيره وشره حلوه ومره من الله تعالى: ليس للعبد فيه مشيئة ولا تفويض، وأهل قبلتنا مؤمنون حرام دماؤهم وأموالهم الا بحقها، وقتال الفئة الباغية[*] بالأيدى والنعال لا بالسلاح[2] والشهادة على الخوارج بالضلالة .... ولم يذكر الخامسة.[3] وعن ابن جريج "قلت لعطاء مايحل في قتال الخوارج قال اذا قطعوا السبيل وأخافوا الأمن.

ويؤيد قول عطاء. قول ابن حجر: (..... وذهب جمهور الصحابة والتابعين الى وجوب نصر الحق وقتال الباغين)[4]

---

(١) لأن عطاء أصبح ضريرا في آخر عمره.
(٢) وفي رواية (والسلاح). البداية والنهاية ٩: ٣٠٨.
(٣) حلية الأولياء - لأبي نعيم ٣: ٣١١.
(٤) الفتح ١٣: ٣٤.

(*) البغاة هم من خرجوا على الإمام وخالفوا رأى الجماعة وشقوا عصا الطاعة. شرح النووي على صحيح مسلم ٧: ١٧٠

ونقل النووي (اجماع العلماء على أن الخوارج وأشباههم من أهل البدع والبغي متى خرجوا على الامام وخالفوا رأي الجماعة وشقوا العصا وجب قتالهم بعد انذارهم ...)[1].

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي . باب التحريض على قتل الخوارج ٧ : ١٧٠ . وانظر: الاجماع لابن المنذر . كتاب قتال أهل البغي . ص ٧٩ .

المبحث الرابع

الحياة الاجتماعية في عصر عطاء

الحياة الاجتماعية متشعبة الجوانب. فهي تشمل جميع مظاهر الحياة في المجتمع. وسأكتفى هنا بالكلام بايجاز عن رد المظالم. والرق.

١ - رد المظالم لأهلها :

قال ابن تيمية : الجهاد واقامة الحدود واستيفاء الحقوق واعطاء (المستحقين)(١) مما أمر الله به رسوله.

والواجب على الوالى أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكف الظلم عن الرعية بحسب القدرة وقضاء حوائجهم التى لا تتم مصلحة الناس الا بها. وتبليغ ذى السلطان حاجاتهم وتعريفه بأمورهم. ودلالته على مصالحهم بأنواع الطرق اللطيفة(٢) ولقد كان عصر عطاء فيه كثير من هذه السمات والمزايا.

في عصر الخلفاء الراشدين كانوا-رضي الله عنهم- يستمعون لذوى الحاجات عامة متى شاؤوا . ثم أفرد يوم خاص لرد المظالم. يخرج الخليفة الى المسجد ويجلس على الكرسى فيتقدم اليه الضعيف والأعرابى والصبى والمرأة ومن لا أحد له فيقول ظُلمت فيقول أعزوه ويقول عدى علىّ فيقول أبعثوا معه ويقول صنع بى فيقول

---

(١) أى من بيت مال المسلمين لمن كانت له حاجة.

(٢) السياسية الشرعية - ابن تيمية - ص ٥٠ ٣ ٥ باختصار.

انظروا في أمره. ثم يقول: ارفعوا الينا حوائج من لا يصل الينا. فيقول الرجل استشهد فلان فيقول افرضوا لولده. ويقول آخر. غاب فلان عن أهله. فيقول تعاهدوهم أعطوهم. اقضوا حوائجهم اخدموهم.[1] وبعد فترة من الزمن نصب القاضي للحكم بين الناس اذا نشأت بينهم الخلافات والخصومات وكان يلجأ اليه المتظلمون. مِمَّن اعتُدي عليهم من ذوي الجاه والحسب. أو من الولاة أو جباة الأموال أو كتاب الدواوين أو أبناء الخليفة أو الأمراء وغيرهم.[2] [3]

٢ - الـرق:

ان الرق عرف من أقدم عصور التاريخ وقد أجازته الديانات السماوية وكانت زوجة أبي الأنبياء ابراهيم عليه السلام هاجر أمة لزوجته سارة.

فمشروعية الرق في الاسلام كانت تقريرا لما كان موجودا قبل الإسلام[4] ولكن جعله الإسلام في حد ضيق ومن مصدر واحد. فلا يكون الا في حالة الحرب[5] ولقد حاربت بنو قريظة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأولادهم[6]

---

(١) تاريخ الاسلام / د. حسن ابراهيم - ص ٣٧ ه باختصار.
(٢) النظم الاسلامية / أنور الرفاعي - ص ١١٣ باختصار.
(٣) للتوسع انظر: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في نجد والحجاز في العصر الأموي / د. عبد الله محمد.
(٤) تاريخ الحضارة الاسلامية / د. أبو زيد شلبي - ص ٢٧٧ - ٢٧٩ بتصرف
(٥) الموسوعة في سماحة الاسلام / محمد الصادق عرجون - ص ٣٧ ه (باختصار)
(٦) صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير - باب اجلاء اليهود من الحجاز ٣ : ١٣٨٦

كذلك هوازن[١] وبنو المصطلق[٢] كما استرق الصحابة. نساء المرتدين من العرب وذراريهم[٣] ولقد رغب الله سبحانه وتعالى المسلمين في تحرير الرقاب ورتب على ذلك عظيم الثواب وجعل التحرير كفارة لبعض الذنوب.[٤]

ولما أخذ علماء الصحابة يعلمون في الأمصار المفتوحة اشترك المسلمون عربا وعجما في تلقي العلم حتى اذا كان عصر التابعين وأتباعهم كان حملة العلم أكثرهم من الموالي وأبناء الموالي الذين أتقنوا العربية وتلقوا العلوم الاسلامية. ومن نعم الله عزوجل أن هيأ أذكياء الشعوب لخدمة كتابه وسنة محمد صلى الله عليه وسلم[٥] وذلك تحقيقا لقول الله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون)[٦] ويشهد للآية الكريمة ما رواه

---

(١) بعد هزيمة هوازن: في حنين. رغبت في الاسلام وجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة. بعد غزوة الطائف فأسلمت فقبل النبي صلى الله عليه وسلم اسلامها وأكرمها برد السبي عليهم. ثم اسلم قائد هوازن. مالك بن عوف. فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم أهله وماله وأعطاه مائة من الابل. السيرة النبوية لابن هشام المجلد الثاني: ٤٨٨

(٢) ...وقسم النبي صلى الله عليه وسلم سباياهم وكان من بين السبايا. جويرية بنت الحارث.... وقضى النبي صلى الله عليه وسلم عنها كتابها وتزوجها وأعتق مائة من أهل بيت من بني المصطلق. ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم والدها الى الاسلام فأسلم. السيرة النبوية لابن هشام المجلد الثاني: ٢٨٩-٢٩٠

(٣) انظر: تاريخ الطبري ٢: ٢٩١ - ٢٩٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ والبداية والنهاية. لابن كثير ٦: ٣٢٠-٣٢٥.

(٤) انظر: صحيح البخاري (كتاب العتق) الذي اشتمل على أحكام العتق وحسن معاملة الرقيق. ٣: ١١٦

(٥) تاريخ الحضارة الاسلامية أ. أبو زيد شلبي - ص ٢٨١ باختصار.

(٦) الحجر: ٩.

أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو كان العلم بالثريا[١] لتناوله ناس من أبناء فارس.[٢] وفي قوله تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم)[٣] قال ابن عمر وسعيد بن جبير. هم العجم.[٤] وقال القرطبي : وقع ما قاله صلى الله عليه وسلم عيانا فانه وجد منهم من اشتهر ذكره من حفاظ الآثار والعناية بها مالم يشاركهم فيه كثير من أحد غيرهم[٥] كما أشار ابن تيمية رحمه الله تعالى الى هذا المعنى تحت عنوان (المبرزون في العلم من أبناء فارس).[٦]

ويرجع السبب في اتقان العربية من غير العرب كما يعلله ابن خلدون (أن العرب شغلتهم الرئاسة في الدولة وأولي سياستها مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم الذى أصبح من جملة الصنائع.

---

(١) الثريا نجم معروف عند العرب.
(٢) مسند الامام الأحمد ٢: ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٦٩.
والحديث أخرجه الامام البخارى ومسلم. بلفظ مقارب. (لو كان الدين) . وفي رواية مسلم. عن أبى هريرة قال كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال رجل من هؤلاء يارسول الله فلم يراجعه النبى صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا قال وفينا سلمان الفارسى قال فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لنا له رجال من هؤلاء صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضل فارس ٤: ١٩٧٢ وقال ابن حجر: وقع في بعض طرقه " وضع يده على فخذ سلمان " وفي رواية " حتى يتناولوه " وفي رواية " برقة قلوبهم " وفي رواية " يتبعون سنتى ويكثرون الصلاة عليّ .
الفتح ٨ : ٦٤١ ، ٦٤٣. (٣) الجمعة : ٣ (٤) تفسير القرطبي ١٨: ٩٢
(٥) الفتح ٨: ٦٤١ - ٦٤٣.
(٦) اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٤٤.

والرؤساء يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجر اليها ود فعوا ذلك الى من قام من العجم والمولدين[١] حتى صاروا من حملة العلوم الشرعية.[٢]

وقول ابن خلدون لا يؤخذ على اطلاقه: فقد شارك في طلب العلم كثير من العرب. منهم من أخذ بحظه من أمراء بني أمية مثل - مروان بن الحكم[٣] وعبد الملك بن مروان[٤] وغيرهم مثل سعيد بن المسيب[٥] وعروة بن الزبير[٦] وابراهيم النخعي.[٧] وعامر الشعبي[٨] وعبيد بن عبد الله بن عتبةبن مسعود الهذلي[٨] والامام الزهري[٩] كذلك من أئمة فقهاء الاسلام الامام مالك بن أنس والامام الشافعي والامام أحمد بن حنبل[١٠] وغيرهم كثير.[١١][١٢]

---

(١) مولد: تطلق على من كان عربيا غير محض، ولد بين العرب ونشأ مع أولادهم، وعلموه الأدب. لسان العرب (ولد) ٣: ٩٦٩٤

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٦٠٠ - ٦٠٢.

(٣) توفي سنة ٦٥هـ انظر: ذكر أسماء التابعين للدارقطني ١: ٣٥٥ وتهذيب التهذيب ١٠: ٩١.

(٤) توفي سنة ٨٦هـ : طبقات الفقهاء ص ٦٢.

(٥) اختلفت في وفاته قيل سنة ٩١، ٩٢، ٩٤، ١٠٥ طبقات الفقهاء - ص ٥٧.

(٦) توفي سنة ٩٤هـ طبقات الفقهاء ص ٥٨.

(٧) توفي سنة ٩٦. انظر موسوعة فقه ابراهيم النخعي د. محمد رواس قلعه جي. ص: ١٥

(٨) انظر: ذكر أسماء التابعين ومن بعدهم ١: ٢٢١.

(٩) اختلفت في وفاته قيل سنة ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٢٠هـ طبقات الفقهاء ص ٦٠.

(١٠) توفي سنة ٢٤١هـ.

(١١) انظر: كتاب ذكر أسماء التابعين للدارقطني وطبقات الفقهاء للشيرازي.

(١٢) انظر: مقدمة تحفة الأحوذي - الفصل السادس في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم ١: ٤٦.

وحيث أن الأرقاء جزء من المجتمع الاسلامي فلم يكونوا كالأرقاء في العصور الماضية في الأديان السابقة بل كان شأنهم أعلى وكانت لهم مكانة كبيرة في ظل الاسلام فهؤلاء الموالي جدوا بعد عتقهم وكدوا في طلب العلم فصاروا أئمة في العلوم والفنون [وليس أدل على ذلك من قول عمر رضي الله عنه في أبي بكر وبلال : سيدنا وأعتق سيدنا] كما أن استعراض التاريخ يدل على تصدرهم للفتوى والقضاء حتى بلغ بعضهم منصب الامامة[1]. ولقد كان سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين الأولين وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مسجد قباء فيهم أبو بكر وعمر وأبو سلمة وزيد وعامر ابن ربيعة[2] فهؤلاء الصفوة من الأمم وقفوا أعمارهم ومواهبهم لرفع لواء العلم والمعرفة حتى أصبح بعضهم من سادات التابعين علما وورعا ومنهم عطاء بن أبي رباح . وقد روى الحاكم النيسابوري عن الزهري قال قدمت على عبد الملك بن مروان فقال من أين قدمت يا زهري ؟ قلت من مكة قال فمن خلفت يسودها في أهلها قلت عطاء بن أبي رباح . قال فمن العرب أم من الموالي قلت من الموالي قال فبما سادهم؟ قلت بالديانة والرواية. قال ان أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا قال فمن يسود أهل اليمن قلت طاوس بن كيسان قال فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي قال فبما سادهم ؟ قلت بما سادهم به عطاء قال انه

---

(١) الموسوعة في سماحة الاسلام. محمد الصادق عرجون - ص ٣٧٠ ا بتصرف.

(٢) صحيح البخاري . كتاب الأحكام باب استقضاء الموالي واستعمالهم ٨ - ١١٥ وانظر: زاد المعاد ٢ : ١٧٦.

لنبغي ذلك. قال فمن يسود أهل مصر؟ قلت يزيد بن أبي حبيب. قال فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي قال فمن يسود أهل الشام؟ قلت مكحول. قال فمن العرب أم من الموالي قلت من الموالي عبد أعتقته امرأة من هذيل. قال فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت ميمون بن مهران. قال فمن العرب أم من الموالي قلت من الموالي قال فمن يسود أهل خراسان؟ قلت الضحاك بن مزاحم قال فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي. قال فمن يسود أهل البصرة؟ قلت الحسن البصري قال فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي. قال فمن يسود أهل الكوفة قلت إبراهيم النخعي قال من العرب أم من الموالي ؟ قلت من العرب قال ويلك يا زهري فرجت عني. والله ليسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها. قلت يا أمير المؤمنين انما هو دين فمن حفظه ساد ومن ضيعه سقط[1] وقول الزهري متبع لقول الله تعالى (..... يرفع الله الذين آمنوا

---

(١) قال الذهبي : الحكاية منكرة. فلعلها تمت للزهري مع أحد أولاد عبد الملك وأيضا ففيها : من يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب وهو من الموالي. فيزيد كان ذاك الوقت شابا لا يعرف بعد والضحاك. فلا يدري الزهري من هو في العالم وكذا مكحول يصغر عن ذاك. سير أعلام النبلاء ٥/ ٨٥. والقصة ذكرها الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ١٩٨ وابن كثير في الباحث الحثيث ص ١٤١. وانظر: العقد الثمين: ٦: ٨٦ - ٩٣. والقصة لعلها تمت للزهري مع أحد أولاد عبد الملك كما ذكر الذهبي والواقع يشهد لمعنى القصة وصحتها.

منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)[١] وفي هذه القصة دلالة على رفع الاسلام من شأن العلم ومنزلة العلماء بصرف النظر عن الجنس واللون والنسب لأن الاسلام عقيدة ونظام اجتماعي محكم لاعنصرية فيه. فالناس كلهم خلق الله تعالى جعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا لافضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى والعلم قال الله تعالى (ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير)[٢] وقال الله تعالى (.....انما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور)[٣].

وطريق العلم والمعرفة خشية الله وتقواه. ومن كان يخشى الله ويتقيه فهو فائز برضا الله وجنته قال الله تعالى (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون)[٤] وقال الله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه)[٥].

---

(١) المجادلة ١١.
(٢) الحجرات ١٣.
(٣) فاطر ٢٨.
(٤) النور ٥٢.
(٥) البينة ٧ - ٨.

الفصل الثاني
حياة عطاء بن أبي رباح

وفيه خمسة مباحث :

المبحث الأول : اسمه وكنيته ومولده ونشأته

المبحث الثاني : معاش عطاء

المبحث الثالث : خلق عطاء وأقواله وصفاته

المبحث الرابع : عبادة عطاء وتقواه

المبحث الخامس : زهد عطاء وورعه



المبحث الأول

اسمه وكنيته ومولده ونشأته*

عطاء بن أبي رباح . أحد أعلام التابعين . فقيه الحرم والحجاز ومحدثهم . واسم أبي رباح أسلم . وكان أبوه نوبيا [1] يعمل المكاتل . [2]

واسم امه بركة وكنيته أبو محمد . وعند اطلاق اسم عطاء يراد به عطاء بن أبي رباح .

مولده ونشأته :

ولد عطاء بن أبي رباح عام سبعة وعشرين في خلافة عثمان

---

(١) النوبة : بضم أوله وسكون ثانيه وباء موحدة ــ مدينة اسمها دُمْقُله ــ وبلاد النوبة واسعة عريضة في جنوبي مصر شرقي النيل وغربيه ومنها الى النيل أربعة أيام وعندهم يفترق النيل . وأول بلاد لهم بعد أسوان وبلادهم أشبه باليمن .

انظر : معجم البلدان للحموي ٥ : ٣٠٨ . انظر الروض المعطار في خبر الأقطار محمد بن عبد المنعم ص ٥٨٥ . وانظر : آثار البلاد وأخبار العباد : زكريا بن محمد القزويني ص ١٢٠٣ .

(٢) المكتل : الزنبيل . والجمع مكاتل . يحمل فيه التمر أو العنب الى الجرين . يسع خمسة عشر صاعا . تاج العروس : كتل ٨ : ٩٤ .

(*) انظر ترجمته :
الطبقات الكبرى ٥ : ٤٦٨ . التاريخ الكبير ٦ : ٤٦٤ . حلية الأولياء ٢ : ٣١٤ . الجرح والتعديل ٣ : ٣٣٠ . تاريخ الاسلام ٤ : ٢٧٩ . تهذيب التهذيب ٧ : ٢٠٣ . البداية والنهاية ٩ : ٣٠٨ .

ابن عفان رضي الله عنه وهو من مولدي الجند[1] باليمن كان أبواه أسود ين . قدم الى مكة المكرمة مع أبيه وهو صبي ونشأ بها وتوفي فيها . وكان عطاء بن أبي رباح مولى لامرأة من أهل مكة أسمها حبيبة بنت ميسرة بن أبي خيثم القرشي الفهري عامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مكة .

ولم أجد في ترجمة عطاء أخبارا مفصلة عن حياته الخاصة غير أنهم ذكروا له ولدا اسمه يعقوب له بعض الروايات عن أبيه وقد سمعها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وابنه هذا ضعفه الامام أحمد ويحى بن معين وأبو زرعة والنسائي . ولد يعقوب سنة تسعة وسبعين . عاش ستا وثمانين سنة توفي سنة خمس وخمسين ومائة .[2]

كما انفرد الحاكم النيسابوري بذكر ولد آخر لعطاء اسمه خلاد .[3]

---

(١) الجند بفتح الجيم والنون وفي آخرها الدال المهملة . بلد مشهور من بلاد اليمن خرج منها جماعة من العلماء والمحدثين . بينها وبين صنعاء ثمانية وخمسون فرسخا . انظر : معجم البلدان للحموي ٢ : ١٦٩ . والأنساب للسمعاني ٣ : ٣٥١ .

(٢) انظر : الطبقات الكبرى ٥ : ٤٦٨ . المعارف ص ٥٧ . تهذيب التهذيب ١١ : ٣٩٢ . البداية والنهاية ٩ : ٣٠٨ . تاريخ التراث الاسلامي - فؤاد سزكين ١ : ٢٣٥ .

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢٤٠ .

وكان لعطاء أخوات يكفلهم.[1] قال عطاء قلت لابن عباس أستأذن على أمي وأختي ونحن في بيت واحد ؟ قال أيسرك أن ترى منهن عورة ؟ قلت لا . قال فاستأذن.[2]

ويحتمل أن زوجة عطاء توفيت قبله بعشرين عاما . لأنه ورد في ترجمته أنه لزم المسجد الحرام حتى كان فراشه عشرين عاما ثم توفي بعدها رحمه الله تعالى.[3]

فيستدل بهذا على أنه لم تكن له زوجة في هذه المدة والا كيف يترك الأهل ويفترش المسجد الحرام وهو متبع للسنة .

---

(١) وفي رواية مجاهد عن عطاء: كان عطاء وأخوات له بمكة في بيت ... مصنف ابن أبي شيبة ٤ : ٤٣ .

(٢) تفسير ابن الجوزي ٦ : ٢٨ .

(٣) انظر الثقات لابن حبان ٥ : ١١٩ . وتاريخ ابن عساكر ١١ : ٣١٦ .

المبحث الثاني

معاش عطاء

عكف عطاء بن أبى رباح على طلب العلم والمعرفة وتفرغ للعبادة ولم يعرف عنه أنه اتخذ حرفة أو مهنة . والذى علم عنه أنه كان فى مطلع شبابه معلما للصبيان القرآن الكريم فقد ذكره ابن قتيبة فى أسماء المعلمين .[1] وقال يحيى بن معين[2] كان عطاء بن أبى رباح معلم كتاب ، وصح عن عطاء اباحة أجر المعلم على تعليم القرآن .[3]

ولعل عطاء فى قوله بإباحة أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم متبع لقول النبى صلى الله عليه وسلم : (أحق ماأخذتم عليه أجرا كتاب الله) .[4]

وقول عطاء متفق مع قول الجمهور القائلين بجواز أخذ الأجرة .[5]

---

(١) المعارف ص ٥٤٧ .
(٢) التاريخ ٢ : ٤٠٢ .

(٣) انظر : التبيان فى آداب حملة القرآن للنووى ص ٤٥ . والمحلى لابن حزم ٩ : ٢٥ .
(٤) أخرجه البخارى معلقا عن ابن عباس فى كتاب الاجارة باب مايعطى فى الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب . ٣ : ٥٣ .
وأخرجه أيضا موصولا فى كتاب الطب باب الشروط فى الرقية بفاتحة الكتاب . ١٠ : ١٩٨ .
(٥) الفتح ٤ : ٤٥٣ .

والظاهر أن عطاء لا يأخذ لنفسه أجرا على تعليم القرآن[1] فقد كانت تصله هدايا الأحبة والاخوان وجوائز السلطان.[2]

مع العلم بأن القليل من الزاد يكفيه لزهده وورعه خاصة في آخر عمره. فقد كان المسجد الحرام فراشه عشرين سنة كما أسلفت ولا يحتمل أن يترك مثل هذا الامام للحاجة وهو مفتي أهل مكة.

قال الامام البخاري[3] حدثنا عبد الله بن ابراهيم بن عمر ابن كيسان أخبرني أبي أذكرهم في زمان بني أمية صائحا يصيح ألا لا يفتي الناس الا عطاء فان لم يكن فابن أبي نجيح[4] وكان والي مكة يرسل اليه يطلبه فيقوم معه.[5]

ويحتمل من هذا كله أن يكون له راتب خاص من الوالي لكونه مفتيا منصوبا من قبل الدولة.

وقال عمران بن حدير رأيت عمامة عطاء مخرمة فقلت أعطيك عمامتي فقال: (انا لانقبل الا من الأمراء). ويرى الذهبي

---

(١) وهذا دليل على ورع عطاء وزهده. انظر: المعارف ص ٢٣٨ . ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ٤ : ٢٨٧ .

(٢) تاريخ الاسلام ٤ : ٢٧٩ .

(٣) التاريخ الكبير ٦ : ٤٦٤ .

(٤) هو عبد الله بن أبي نجيح يسار الثقفي المكي مولى الأخنس ابن شريق روى عن أبيه وعطاء ومجاهد وجماعة. وثقه الامام أحمد وأبو زرعة والنسائي وذكره ابن حبان في الثقات. تهذيب التهذيب ٦ : ٥٤ .

(٥) الطبقات الكبرى ٥ : ٤٦٩ .

بأن الذى كان يقبله عطاء من الأمراء حق له فى بيت المال فقد علق على قول عطاء بقوله (يريد بيت المال)[1] ولعل العاهات الجسمية[2] التى كانت فى عطاء أعاقته عن اتخاذ مهنة شاقة لمعاشه والله تعالى أعلم.

المبحث الثالث

خلق عطاء وأقواله وصفاته

كان عطاء بن أبى رباح على خلق حسن وكان يتحلى بآداب العلماء كما كان برا بوالديه[3] وكان يعفو عمن أساء اليه.[4]

ولقد تعلم عطاء من أخلاق شيخه الصحابى الجليل عبد الله بن العباس رضى الله عنهما. يحكى عطاء فيما يجب أن تكون عليه أخلاق العلماء: فيقول (نكون عند ابن عباس فيأتيه الأشراف فما يصرف وجهه عنا حتى نفرغ).[5] ومن هذا القول تبين ملاحظة عطاء وانتباهه فى حلقة درس استاذه حيث لم ينشغل ابن عباس عن طلابه. ولم يغفل من شرف

---

(١) تاريخ الاسلام ٤ : ٢٨٠.
(٢) ستأتى ص ٧٩ من الرسالة.
(٣) الطبقات الكبرى ٥ : ٤٦٩.
(٤) جامع العلوم والحكم - لابن رجب - ص ٢٦٥ . وانظر كتاب الأسماء والكنى للدولابى ٣ : ١٠٠.
(٥) تاريخ ابن عساكر ١١ : ٣١٦.

نسبه على أهل العلم والمعرفة .

ومن حسن استماع عطاء للمتكلم ماورد عن ابن جريج عن عطاء : إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت كأني لم أسمعه قط وقد سمعته من قبل أن يولد[1] وكان عطاء فصيحا اذا تكلم . قيل لعطاء الرجل يمر بالقوم فيقذفه بعضهم أنخبره قال : لا ((المجالس بالأمانة)) .[2]

وعطاء في قوله متبع للحديث النبوي ومتأدب به . حيث إن نقل الحديث بقصد الافساد نميمة نهى عنها الشرع لأنها مفسدة توغر الصدر وتقطع حبل الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع . وكان عطاء يحب صلة قرابته . يقول عطاء : لدرهم أعطيه ذا رحم أحب الي من ألف أضَعُه في فاقة (أي في أهل فقر وحاجة) . قيل له وان كان ذو الرحم في الغنى . قال وان كان أغنى منك) .[3] وهذا القول يدل على فقه عطاء .

وكان عطاء يأمر بالمعروف وينصح الأمراء والملوك . دخل عطاء على هشام بن عبد الملك[4] وأوصاه بالنظر في حاجة

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥ : ٨٦ . وانظر صفة الصفوة ٢ : ٢١٤ .

(٢) أصله من الحديث : " عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (المجالس بالأمانة الا ثلاثة مجالس : سفك دم حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق) " انظر : مصنف عبد الرزاق باب المجالس بالأمانة ١١ : ٢٢ . وعون المعبود . كتاب الأدب . باب نقل الحديث ١٣ : ٢١٧ رقم الحديث ٤٨٤٨ .

(٣) كتاب الأسماء والكنى للدولابي ١ : ١٠٠ .

(٤) وهذا في دمشق . من ظاهر رواية العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٦ : ٩٢ .

الرعية وأن لا يغلق بابه دونهم وقال له اتق الله في نفسك فانك خلقت وحدك وتموت وحدك وتحشر وحدك والله مامعك ممن ترى أحداً. فأكب هشام يبكي. وقام عطاء. ولما أمر له هشام بعطاء قال: (وما أسألكم عليه من أجر ان أجري إلا على رب العالمين).[1] وخرج عطاء من عند هشام وماشرب شربة ماء.[2] وفي رواية أخرى: دخل عطاء بن أبي رباح على عبد الملك وهو جالس وحوله الأشراف. وذلك بمكة وقت حجه في خلافته. فلما بصر به عبد الملك قام اليه فسلم عليه وأجلسه معه على السرير. وقعد بين يديه وقال: ياأبا محمد: حاجتك؟ قال ياأمير المؤمنين: اتق الله في حرم الله وحرم رسوله. فتعاهده بالعمارة. واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فانك بهم جلست هذا المجلس. واتق الله في أهل الثغور[3] فانهم حصن المسلمين. وتفقد أمور المسلمين. فانك وحدك المسئول عنهم. واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم ولا تغلق دونهم بابك. فقال له أفعل. ثم نهض وقام. فقبض عليه عبد الملك وقال: ياأبا محمد! انما سألتنا حوائج غيرك وقد قضيناها فما حاجتك؟ قال مالي الى مخلوق حاجة. ثم خرج. فقال عبد الملك: هذا وأبيك الشرف. وهذا وأبيك السؤدد.[4] ومن خلال هذه النصيحة القيمة اتضح إدراك

---

(١) الآية : ١٠٩. سورة: الشعراء
(٢) تاريخ ابن عساكر ١١: ٣١٦ بتصرف.
(٣) الثغر: موضع المخافة من فروج البلدان. مختار الصحاح للرازي ص ٧١.
(٤) سير أعلام النبلاء ٥: ٨٤.
ولا يجوز الحلف بغير الله عز وجل.

عطاء لأحوال المجتمع والمسؤولية التي تحملها ولي الأمر تجاه الرعية . وقال عطاء : ما أبكى العلماء بكاء آخر العمر من غضبة يغضبها أحدهم فيهدم عمر خمسين[1] أو ستين أو سبعين سنة ......[2] يحذر عطاء من آثار الغضب وما يترتب عليه من عاقبة غير محمودة . فالانسان في حالة شدة الغضب قد يتصرف بما لا يحمد عقباه فيصدر عنه أنواع من الظلم والعدوان . وكثير من الأقوال المحرمة وربما وصل الى درجة الكفر والعياذ بالله . فيخسر عمل عمره . لأن الغضب يفقد المرء توازنه ويقوده الى مواقف يندم عليها أشد الندم ويبكي بكاء ولكن بعد فوات الأوان .[3] وان من علامة حسن الخلق ترك الغضب في غير محله وهذا ماوردت به السنة . عن أبي هريرة رضي الله عنه : "أن رجلا قال للنبي أوصني : قال : (لا تغضب فرد مرارا قال : لا تغضب)".[4]

ومن أقوال عطاء : (الدعوة تعمي عين الحكيم فكيف بالجاهل)[5] يعني أن الدعاء بحق يكون له أثر على المدعو عليه خاصة اذا كانت الدعوة من مظلوم .

وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (اتق دعوة

---

(١) أي عمل عمر خمسين .
(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٤٠ . الحديث السادس عشر .
(٣) مثل القتل نتيجة الغضب .والحوادث المبكية كثيرة ملأت أسماع الناس وسطرت قصصها كتب التاريخ .
(٤) صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب الحذر من الغضب ٧ : ٩٩ .
(٥) البداية والنهاية ٩ : ٣٠٩ .

المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب) . قال ابن حجر: "والمراد أنها مقبولة وان كان عاصيا".[1] وقال عطاء: (ولا تغبطن ذا نعمة بما هو فيه فإنك لا تدرى الى ماذا يصير بعد الموت) يعني أن العبرة بالنهاية التي تكون بعد الموت والسعيد من قدم عملا صالحا. وسئل عطاء ماأفضل ماأعطي العباد؟ فقال: العقل عن الله عز وجل وهو المعرفة بالدين.[2] ولقد أصاب عطاء بهذه الكلمة كبد الحقيقة حيث أن من أسباب الفوز والفلاح معرفة أحكام الدين والتمسك بها.

وقال عطاء: (ان استطعت أن تخلو بنفسك عشية[3] عرفة فافعل)[4] يريد عطاء: وقت الوقوف بعرفة. وهو من الزوال الى الغروب.

---

(١) صحيح البخاري. كتاب الزكاة. باب أخذ الصدقة من الأغنياء ٢: ١٣٦ وكتاب المظالم باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم. ٣: ٩٩

(٢) حلية الأولياء ٣: ٣١٥.

(٣) روى عن ابن عباس في قوله تعالى: (لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها) النازعات: ٤٦. قوله: أما عشية فما بين الظهر الى غروب الشمس. تفسير ابن كثير ٤: ٤٦٩.

والعشي: والعشية: من صلاة المغرب الى العتمة. مختار الصحاح للرازى ص ٣٢٣. قال ابن فارس: العشاء: من وقت المغرب وأول ظلام الليل الى وقت العتمة. ويقال العشي: من وقت زوال الشمس الى الصباح. مجمل اللغة ٣: ٦٦٨. وانظر المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٣٥.

(٤) البداية والنهاية ٩: ٣٠٩. وانظر: تاريخ دمشق لابن عساكر ١١: ٣١٦.

وذكر عطاء الخلوة بالنفس لأنها أبعد عن الرياء والعجب والسمعة وأدعى الى خشوع القلب واخلاصه وخضوعه خاصة لما ورد في فضل وشرف الزمان والمكان ولاغتنام فرصة هذا الموسم العظيم وأنه مكان يستحق أن تسكب فيه العبرات طلبا للفضل والاحسان من الله سبحانه وتعالى .

ومن خلال عرض أقوال عطاء يتضح خلق عطاء وفقهه وعلمه .

صفات عطاء الشخصية:

عطاء بن أبي رباح يوصف بأنه أسود شديد السواد. متضحة معالم وجهه وملامحه، بين عينيه أثر السجود ومفلفل الشعر[1] ليس في رأسه الا شعرات في مقدمة رأسه يخضب لحيته بالحناء.[2]

وكان عطاء أعور أفطس أفزر[3] أشل[4] أعرج ثم عمي في آخر عمره[5] وهذه الصفات الخلقية التي كانت في عطاء لم يكن لها أثر على نفسه المؤمنة الراضية المطمئنة بالله ربا خالقا ومعطيا ومانعا وله الفضل والثناء الحسن .

---

(١) مفلفل الشعر: أي شعره شديد الجعودة. القاموس المحيط ٤: ٣٣
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٥: ٧٨ ومشاهير الاسلام ٤: ٢٧٨. والبداية والنهاية ٩: ٣٠٦.
(٣) أفزر: من خرج على ظهره أو صدره عجرة عظيمة. ترتيب القاموس المحيط الطاهر أحمد . باب الفاء ٣: ٤٨٧.
(٤) ضربت يده أيام حصار ابن الزبير فشلت. تاريخ الاسلام ٤: ٢٧٩.
(٥) ذكره ابن قتيبة في كتابه "المعارف" مع أسماء أهل العاهات ص ٥٧٨. وانظر: تاريخ ابن عساكر ١١: ٣١٦.

ولقد كان لعطاء عوضه فى منزلته ومكانته العلمية فقد أصبح مفتى أهل مكة وغيرها لعلمه وزهده وورعه والعلم ليس بالمال والجمال انما هو نور يهبه الله سبحانه وتعالى لمن يشاء من عباده .

المبحث الرابع

عبادة عطاء وتقواه

امتدح الله سبحانه وتعالى عبادة المؤمنين في القرآن الكريم. وأثنى عليهم بصفات اتصفوا بها وكان لعطاء بن أبي رباح حظ منها. قال الله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون)[١] فقد كان عطاء من الخاشعين في صلاتهم وكان بعد ما كبُر وضعف يقوم الى الصلاة فيقرأ مائتي آية من سورة البقرة. وهو قائم كأنه عمود لا يتحرك[٢] كان معرضا عن اللغو والكلام الذى لا خير فيه. فلا يُرى الا متفكرا وذاكرا لله تعالى . وكان يطيل الصمت. واذا تكلم أو سئل كان موفقا في حسن الجواب ويلهمه الله سبحانه وتعالى الصواب في القول حتى يخيل للسامع أنه يؤيد .[٣]

قال عطاء بن أبي رباح:إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام أو كانوا يعدون فضول الكلام إثماً إلا قراءة كتاب الله وأمر بمعروف أو نهي عن منكر أو كلام العبد بحاجته في معيشته التي لابد له منها. أتنكرون (وإنَّ عليكم لحافظين كِراماً كاتبين)[٤] (عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول

---

(١) المؤمنون : ١ - ٢

(٢) الطبقات الكبرى - ٥ : ٤٦٨ وانظر: شعب الايمان للبيهقي ٣ : ١٤٨ .

(٣) سير أعلام النبلاء - ٥:٨٢-٨٧ . صفة الصفوة ١: ٢١٢ ، الجرح والتعديل ٦:٣٢١

(٤) الانفطار: ١٠ - ١١ .

إلا لديه رقيب عتيد)[1] أما يستحي أحدكم لو نشرت[2] عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره. فرأى أكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه.[3]

كان عطاء أحد الرجال الذين يذكرون الله. ولم يفتر عن الذكر والعبادة. وسجد لله تعالى حتى ظهر أثر السجود بين عينيه[4] وكان من أحسن الناس صلاة. قيل لابن جريج. ما رأيت مصلياً مثلك. فقال فكيف لو رأيت عطاء![5] حج عطاء سبعين حجة وهذا عنه مشهور[6] ويلاحظ أن عطاء في أحواله التعبدية كان مستحضرا لمعاني الذكر الحكيم باستمرار ممثلا لقول الله تعالى (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب)[7] وقوله تعالى (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود).[8]

---

(١) ق : ١٧ - ١٨.
(٢) أى قرأت عليه .
(٣) شعب الايمان للبيهقي ٤ : ٢٧٤ و سير أعلام النبلاء - ٥ : ٨٦.
(٤) الطبقات الكبرى - ٥ : ٤٩.
(٥) العقد الثمين - ٦ : ٨٨.
(٦) كتاب التاريخ - لابن معين - ٣ : ١١٤.
(٧) النور : ٣٦ - ٣٨.
(٨) البقرة : ١٢٥.

عن ابن جريج قال . أقام عطاء بن أبي رباح في المسجد أربعين سنة يصلي بالليل ويطوف[1] يعني أن أغلب أحوال عطاء وأوقاته تقضى في أنواع العبادة.

ولقد خاف عطاء من موقفه بين يدي الله سبحانه وتعالى وعاش كأنه غريب وأصبح كأنه يرى اليوم الآخر أمامه. ولهذا كان من دعائه (اللهم ارحم في الدنيا غربتي وعند الموت صرعتي وفي القبور وحدتي . ومقامي غدا بين يديك)[2].

ومما سبق عرضه اتضحت الصورة لتقوى عطاء ومنهجه في العبادة. ولا غرابة في ذلك فهو من سادات التابعين قال الله تعالى (ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب)[3] وتقوى القلوب علامة الإيمان قال الذهبي : كانوا يقولون: لم يعدل إيمان أهل مكة إيمان عطاء بن أبي رباح[4] ولقد عرف أهل مكة فضله وعبادته قيل لأهل مكة كيف كان عطاء بن أبي رباح فيكم. فقالوا مثل العافية التي لا يعرف فضلها حتى تفقد[5].

---

(١) أخبار مكة: للفاكهي ٢ : ١١٦ – ٣٢١.
(٢) العقد الفريد - ٣ : ١٥٥.
(٣) الحج : ٣٢.
(٤) تاريخ الاسلام - ٤ : ٢٧٩.
(٥) العقد الفريد - ٢ - ٢٣١ ، ٦ - ١٦.

المبحث الخامس

زهد عطاء بن أبي رباح وورعه

لقد كان لعبادة عطاء وتقواه أثر في حياته. ظهر هذا الأثر في زهده وورعه. فلم يبالغ عطاء في جمال ملابسه وشراء ما ارتفع ثمنه. بل كان يكتفي بالثوب الساتر للبدن. والمال الذى يقيم أوده في حياته. فلم يُر عليه قميص[(١)] ولا ثوب يساوى خمسة دراهم[(٢)] ولم يثبت بأنه ورث شيئا. دخل عطاء على عبد الملك بن مروان[(٣)] وهو جالس على سريره وحواليه الأشراف من كل بطن وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته...... قال له عبد الملك فما حاجتك فأجابه: (مالي إلى مخلوق حاجة....[(٤)] وعن يعقوب بن عطاء قال " ما رأيت أبي يتحفظ في شيء ما يتحفظ في البيوع[(٥)] يعني أن عطاء يتورع في بيعه وشرائه خشية أن يأخذ حراما. ومن زهد عطاء أنه لم يبالغ في مسكنه. ولم يتعلق قلبه بشيء من الدنيا (فافترش المسجد الحرام عشرين عاما)[(٦)] وكانت حوائجه قليلة عند الناس.

---

(١) القميص لباس معروف يستر البدن. لسان العرب ٨: ٣٥.

(٢) البداية والنهاية - ٩ : ٣٠٨.

(٣) انظر ص٦٩ من الرسالة - ذكرت القصة بكاملها.

(٤) الكمال في أسماء الرجال للمقدسى ٥: ٩٣٦ وانظر تاريخ الاسلام ٤: ٢٧٨.

(٥) تاريخ ابن عساكر ١١: ٣١٦ وانظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص ١٤٤ ، والمعرفة والتاريخ ٢: ١٣٤.

(٦) الطبقات الكبرى - ٥: ٤٦٨.

وذكر من أثر زهد عطاء وورعه أنه كان من مجابي الدعوة[1]

ومناقب عطاء في الزهد والعبادة كثيرة[2] ونختمها بذكر نصيحته سليمان بن عبد الملك.

دخل عطاء على سليمان بن عبد الملك. فلما أقبل عليه تزحزح له عن مجلسه فقال: يصلح الله أمير المؤمنين. احفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أبناء المهاجرين والأنصار. قال أصنع بهم ماذا؟ قال تنظر في أرزاقهم وأعطياتهم ثم قال احفظ وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهل المدينة قال أصنع بهم ماذا؟ قال تنظر في أرزاقهم وأعطياتهم. قال ثم ماذا؟ قال أهل البادية تفقد أمورهم فإنهم سادة العرب قال ثم ماذا؟ قال ذمة المسلمين تفقد أمورهم وخفف عنهم من خراجهم فإنهم عون لكم على عدو الله وعدوكم قال ثم ماذا؟ قال أهل الثغور تفقد أمورهم فبهم يدفع الله عن هذه الأمة ثم قال يصلح الله أمير المؤمنين ثم نهض فلما ولى قال سليمان هذا والله الشرف لا شرفنا وهذا السودد لا سوددنا. والله لكأنما معه ملكان ما يكلمني في شيء فأقدر أن أرده ولو سألني أن أتزحزح عن هذا المجلس لفعلت[3]

---

(١) تاريخ ابن عساكر ١١: ٣١٦.
(٢) تذكرة الحفاظ - ١: ٩٨.
(٣) أخبار مكة للفاكهي ٢: ٣٤٢. وأشار المحقق الى ضعف سند الرواية. قلت إلا أنه لا يستبعد أن يحصل هذا لإمام مثل عطاء.

من ذلك تبين أثر زهد عطاء وورعه لدرجة أن علم بمقامه ومنزلته سليمان بن عبد الملك وأخبر بالشرف والسودد الحقيقي الذي عليه عطاء بن أبي رباح رحمه الله تعالى .

المبحث الأول

طلب عطاء العلم ورحلته إليه

لقد صدق عطاء بن أبى رباح فى نيته فى طلب العلم لله سبحانه وتعالى حتى أصبح مفتى أهل مكة فى زمانه. قال سلمة بن كهيل: "مارأيت أحدا يريد بهذا العلم وجه الله تعالى غير هؤلاء الثلاثة: عطاء وطاووس ومجاهد".[1]

ولقد أدرك عطاء مايقرب من مائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لقى بعضهم وسمع منهم[2] قال عطاء انطلقت مع أبى إلى على رضى الله عنه .... وقال عطاء: ولى درايـة[3] فمسح رأسى ودعا لى بالبركة فما زلت أرى البركة.[4] كما لزم مجلس ابن عباس فى طلبه العلم وكان من طلابه وأحد رواة علم ابن عباس وفقهه.

قال عطاء يصف مجلس علم شيخه[5]: "مارأيت أكرم مجلسا من مجلس ابن عباس أكثر فقها ولا أعظم هيبة منه. أصحاب

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥: ٨٢.
(٢) سير أعلام النبلاء ٥: ٨٥.
(٣) أى أفهم الكلام وأفطن له.
(٤) كتاب الأسماء والكنى للدولابى ٢: ١٠٠.
(٥) لم أجد مايدل على أن عطاء كان يحضر مجالس علم وحلقات درس فى المسجد الحرام غير مجلس ابن عباس.

القرآن يسألونه وعنده أصحاب الشعر يسألونه وعنده أصحاب النحو يسألونه كلهم يصدرهم (في واد واسع)[1] ورحل عطاء في طلب العلم إلى المدينة المنورة[2] فسمع الحديث من بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فازداد علمه غزارة وتحمل الرواية عنهم ، فحدث عن أم المؤمنين عائشة بنت الصديق وعبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وغيرهم .

---

(١) أى يتسع علمه وفهمه لكل من يسأله . وانظر : كتاب المعرفة والتاريخ ١ : ١٢ . والبداية والنهاية ٥ : ٢٩٥ .

(٢) سير أعلام النبلاء ٥ : ٨٢ ، ٨٥ . وانظر : كتاب الايمان لابن تيمية ص ١٩٣ .

المبحث الثاني

شيوخ عطاء وتلاميذه

لقد كان لعطاء الشرف بلقاء أعيان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلقى الرواية عنهم والعلم.

ولما كان شيوخ عطاء كثيرين فإننى سأكتفى بترجمة موجزة لبعض منهم.

١) جابر بن عبد الله بن عمر بن حرام بن ثعلبة الخزرجي السلمى. صحابى جليل روى عن النبى صلى الله عليه وسلم وشهد تسع عشرة غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. استغفر له النبى صلى الله عليه وسلم ليلة البعير[1] خمسا وعشرين مرة. كانت له حلقة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة. وقد سمع عطاء منه. توفى جابر عام سبعة وسبعين، وقيل ثلاثة وسبعين وهو ابن تسعين سنة.[2]

٢) جابر بن عمير الأنصارى. روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضل الرمى. روى عنه عطاء.[3]

٣) سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الخزرجى الأنصارى

---

(١) انظر: قصة جمل جابر فى صحيح البخارى. كتاب البيوع. باب شراء الدواب والحمير. الفتح ٤ : ٣٢٠، ٤ : ٣١٥.

(٢) أسد الغابة ١ : ٣٠٧. الاصابة ٢ : ٤٥. وتهذيب التهذيب ٢ : ٤٢. وانظر: المعرفة والتاريخ ٢ : ٢٢.

(٣) أسد الغابة ١ : ٣٠٩. الاصابة ٢ : ٤٩. تهذيب التهذيب ٢ : ٤٤. وانظر تحفة الأشراف ٢ : ٤٠٤.

(أبو سعيد الخدرى) . استصغر في يوم أحد وغزا بعد ذلك اثنتى عشرة غزوة . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بعض الأحاد يث . قال الذهبي : (سمع عطاء منه)(١) وقال على ابن المديني : (رآه يطوف بالبيت ولم يسمع منه) .(٢) قلت احتمال السماع وارد وهو كما قال الذهبي.

اختلف في موت أبي سعيد . قيل سنة أربع وسبعين وهو ابن أربع وسبعين سنة .(٣)

٤) صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي.أبو وهب . وقيل أبو أمية . أسلم بعد الفتح . شهد اليرموك . روى عنه عطاء. مات سنة احدى وأربعين وقيل سنة اثنتين وأربعين .(٤)

٥) عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما . كانت من أكثر الصحابة رواية وعلما . من فضائلها : أنزل الله براءتها من السماء . ولم ينكح رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا سواها . وقبض في حجرها . ولدت بعد البعثة بأربع سنوات وتوفيت عام ٥٨ هـ ودفنت بالبقيع.(٥)

٦) عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني ـ أبو هريرة ـ صحابي جليل امام حافظ. كنيته أبو الأسود . سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وكناه أبا هريرة . قيل لأجل هرة كان يحمل أولادها .

---

(١) تاريخ الاسلام ٤ : ٢٧٨ .
(٢) العلل ص ٨١ .
(٣) أسد الغابة ٢ : ٣٦٥ . الاصابة ٤ : ١٦٥ . تهذيب التهذيب ٣ : ٤٧٩ .
(٤) أسد الغابة ٢ : ٥ . الاصابة ٥ : ١٤٥ . وتهذيب التهذيب ٤ : ٤٢٤ .
(٥) أسد الغابة ٥ : ٥٠١ . الاصابة ١٣ : ٣٨ . سير أعلام النبلاء ٢ : ١٣٥ .

صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولازمه ، ولهذا روى الكثير من الأحاديث وقد سمع منه عطاء . توفى عام سبعة وخمسين وقيل تسعة وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة .[1] وعمر عطاء يقترب من ثلاث وثلاثين سنة .

٧) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ويكنى أبو بكر ويقال أبو حبيب . أمه أسماء بنت الصديق ، خالته عائشة أم المؤمنين .

بويع بالخلافة عقيب موت يزيد بن معاوية . فغلب على الحجاز والعراقين واليمن ومصر وأكثر الشام ، وكانت ولايته تسع سنين .

سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ عنه . ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن تسع سنين . ومناقبه كثيرة . قتله الحجاج بن يوسف الثقفي عندما غزا مكة ورمى البيت بالمنجنيق . وظهرت شجاعة ابن الزبير فحمى المسجد وحده وهو في عشر الثمانين في أيام عبد الملك بن مروان سنة ثلاث وسبعين .[2] وعمر عطاء يقرب من سبع وأربعين سنة .

٨) عبد الله بن عباس .[3]

---

(١) أسد الغابة ٣ : ١٦١ . الاصابة ٦ : ٢٨٨ - ١٢ : ٦٣ . تهذيب التهذيب ١٢ : ٢٦٢ .
(٢) أسد الغابة ٣ : ٢٤٢ . الاصابة ٦ : ٨٣ . تهذيب التهذيب ٥ : ٢١٣ .
(٣) انظر ص ٣٣ من الرسالة .

٩) عبد الله بن السائب بن أبي السائب أبو السائب. ويقال أبو عبد الرحمن له ولأبيه صحبة المكي القارئ. أخذ القراءة عن أبي بن كعب وأخذ القراءة عنه أهل مكة. روى عنه عطاء. وقيل انه لما فرغوا من دفنه وقف ابن عباس على قبره فدعا وانصرف.[1]

١٠) عبد الله بن عمر بن نفيل القرشي العدوي. قال يحيى ابن معين لم يسمع عطاء منه. رآه رؤية. وقال علي المديني لقيه عطاء وصرح بالسماع منه.[2] وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيه: (ان عبد الله رجل صالح)[3] أفتى الناس ستين سنة. أقر لعطاء بافتاء الناس، حيث قال (أتجمعون لي المسائل وفيكم عطاء).[4] ومناقب ابن عمر كثيرة. مات سنة ثلاث وسبعين.[5]

١١) عبيد بن عمير بن قتادة بن سعيد بن عامر الليثي أبو عاصم المكي قاضي أهل مكة. من كبار التابعين. وثقه ابن معين وأبو زرعة وابن حبان والعجلي. روى عنه عطاء.

---

(١) أسد الغابة ٣: ٢٥٤. الاصابة ٦: ٩٥. تهذيب التهذيب ٥: ٢٤٩.

(٢) كتاب التاريخ لابن معين ٢: ٤٠٢. والعلل لابن المديني ص ٨١ - ٨٢.

(٣) صحيح البخاري. كتاب التهجد. باب فضل قيام الليل. ٢: ٤٢.

(٤) تهذيب الكمال ٢: ٩٢٣. حلية الأولياء ٣: ٣١١.

(٥) أسد الغابة ٣: ٣٤٠. الاصابة ٦: ١٦٧. تهذيب التهذيب ٥: ٣٢٨.

مات سنة ثمان وستين هجرية.[1]

تلاميذ عطاء بن أبي رباح :

قد مضى أن عطاء أفتى في حياة شيخيه ابن عباس وابن عمر. وقد أقراه على فتياه. ولما توفي ابن عباس تصدر عطاء للفتيا وأصبح شيخ أهل مكة. وأصبح له مجلس علم وحلقة درس في المسجد الحرام.

ومعلوم أن المسجد الحرام غالبا مايكون غاصا بطلبة العلم في جميع الأوقات ، كما يرد فيه ناس بقصد المجاورة لأيام وشهور وسنين ، وزيادة على أولئك الذين كانوا يحضرون للحج والعمرة. فيحمل فقه عطاء وتفسيره الى الأمصار عن طريق الرواية لمن حضر مجلس عطاء[2] خاصة لمن قصد الحج ولطلب العلم والمعرفة من الأئمة. فالتقوا بعطاء وتدارسوا معه العلم فحمل الرواية عن عطاء خلق كثير.

وماذكر بأنه ما كان يحضر مجلسه إلا التسعة أو الثمانية[3] فهذا محمول على الملازمين له.

---

(١) تهذيب التهذيب ٧ : ٧١.
(٢) انظر: المعرفة والتاريخ ٢ : ٤٦٤.
(٣) انظر: تهذيب الكمال ٢ : ٩٢٣. سير أعلام النبلاء ٥ : ٨٤.

أبرز تلاميذ عطاء:

١) النعمان بن ثابت التيمي الكوفي (أبو حنيفة مولى بني تيم الله ابن ثعلبة . قيل إنه من أبناء فارس. قال أبو حنيفة: مارأيت رجلا أفضل من عطاء بن أبي رباح . وأبو حنيفة من أعلام أئمة الإسلام ، توفي سنة مائة وخمسين وقيل احدى وخمسين .(1)

٢) الليث بن سعد أبو الحارث المصري إمام زمانه روى عن عطاء . وروى عن الإمام الشافعي وغيره أنه أفقه من مالك غير أن أصحابه لم يقوموا به . وثقه الإمام أحمدوالإمام الشافعي وابن معين وابن المديني والعجلي وابن حبان وغيرهم.(2)

٣) ((العريان)) أبو عمرو بن العلاء العريان بن الحصين المازني النحوي البصري المقرئ أحد الأئمة القراء السبعة . اختلف في اسمه الى أكثر من عشرين قولا ، والذى رجحه الذهبي اسم (زبان) والصحيح عند ابن حجر (العريان) أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل المدينة وأهل البصرة .

عرض القراءة على عطاء وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم وحدث عن عطاء. ولد سنة ثمان وستين . وتوفي بالكوفة

---

(1) أخبار أبي حنيفة للصيمري ص ٢٤ ، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص ٥٠٥ . وتهذيب التهذيب ١٠ : ٤٤٩ .

(2) المعرفة والتاريخ ١ : ١٦٦ ، ٢ : ٤٣٣ . تهذيب التهذيب ٨ : ٤٥٩ .

وله ست وثمانون سنة .[1]

٤) سلمة بن كهيل بن حصين الحضرمي . أبو يحيى دخل على ابن عمر وزيد بن أرقم . روى عن عطاء وعن أبي جحيفة وجندب بن عبد الله وابن أبي أوفى ومجاهد وسعيد بن جبير وغيرهم . وثقه ابن معين وابن سعد وأبو زرعة وأبو حاتم والنسائي وقال العجلي كوفي ثقة . ثبت في الحديث فيه تشيع قليل . ولد سنة سبع وأربعين ومات سنة إحدى وعشرين ومائة . وقيل غير ذلك .[2]

٥) عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الشامي . الإمام الأوزاعي أبو عمرو . فقيه أهل الشام . نزل بيروت في آخر عمره فمات بها . روى عن خلق كثير منهم إسحاق بن عبد الله وشداد بن عمار وعطاء وقتادة ونافع مولى ابن عمر والزهري وغيرهم . وثقه ابن معين وابن سعد وابن حبان والنسائي . قال العجلي شامي ثقة من خيار المسلمين . قيل ولد سنة ثمان وثمانين . ومات سنة ثمان وخمسين ومائة .[3]

٦) عبد الملك بن عبد العزيز – ابن جريج – الأموي مولاهم أبو الوليد المكي أصله رومي . دوّن العلم وصنفه ولزم عطاء

---

(١) انظر ترجمته : معرفة القراء الكبار للذهبي ١ : ٨٣ . جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمر الداني ص ٥٠٨ . والاقناع في القراءات السبع - أحمد بن علي ص ٩٢ ، ١٠١ ، ١٠٢ . وتهذيب التهذيب ١٢ : ١٧٨ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤ : ١٥٥ .

(٣) المعرفة والتاريخ ١ : ١٦٦ ، ٢ : ٤٣٣ . تهذيب التهذيب ٦ : ٢٣٨ .

سبع عشرة سنة وهو أثبت الناس في الرواية عن عطاء. عن ابن جريج : : قال إذا قلت قال عطاء فأنا سمعته ، وإن لم أقل سمعت . وثقه ابن حبان والعجلي .

ولد سنة إحدى وخمسين وتوفي سنة خمسين ومائة.[1]

٧) عبد الله بن أبي نجيح يسار الثقفي . أبو يسار المكي مولى الأخنس بن شريق . كان يقول بالقدر وهو صالح الحديث روى عن عطاء أفتى الناس بعد عمرو بن دينار . وثقه الإمام أحمد وابن معين وأبو زرعة والنسائي وابن حبان . قال ابن المديني مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة .[2]

٨) عمرو بن دينار : المكي أبو محمد الأثرم الجمحي مولاهم أحد الأعلام . أثبت الناس في الرواية عن عطاء ولزمه سبع سنين . أفتى أهل مكة في زمانه . وثقه النسائي وأبو زرعة وأبو حاتم وابن حبان . توفي سنة مائة وخمس وعشرين . وقيل مائة وستة وعشرين من الهجرة .[3]

٩) قيس بن سعد المكي أبو عبد الملك مولى نافع بن علقمة . روى عن عطاء وخلفه في مجلسه ولكنه لم يعمر . وثقه

---

(١) المعرفة والتاريخ ٢ : ٦٢ ، ١٥٥ . تهذيب التهذيب ٥ : ٣٧٦ - ٣٧٧ ، ٦ : ٤٠٢ .

(٢) تهذيب التهذيب ٦ : ٥٤ .

(٣) المعرفة والتاريخ ٢ : ٢٥ . وانظر : تاريخ بغداد للخطيب ١٠ : ٤٠٢ - ٤٠٣ . وتهذيب التهذيب ٨ : ٢٨ .

الإمام أحمد وأبو زرعة ويعقوب بن شيبة وابن حبان والعجلي قيل إنه توفي سنة تسع عشرة ومائة.[١]

١٠) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي ـ الإمام الزهري الفقيه أبو بكر. الحافظ المدني أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام. روى عن خلق منهم عطاء. قيل بأن مولده كان سنة إحدى وخمسين، وقيل ثمان وخمسين. وكانت وفاته سنة ثلاث وعشرين ومائة. وقيل خمس وعشرين ومائة.[٢]

١١) مالك بن دينار. السامي الناجي مولاهم أبو يحيى البصري روى عن عطاء. كان يكتب المصاحف بالأجرة ويأكل منها. وثقه النسائي وابن حبان وابن سعد. قال خليفة بن خياط مات سنة ثلاثين ومائة.[٣]

---

(١) تهذيب التهذيب ٨: ٢٩٧.

(٢) تهذيب التهذيب ٩: ٤٤٥.

(٣) تهذيب التهذيب ١٠: ١٤.

المبحث الثالث

توثيق العلماء لعطاء وثناؤهم عليه

لقد أخلص عطاء بن أبي رباح نيته لله سبحانه وتعالى في طلب العلم فكان أحد العلماء الذين يبتغون بعلمهم وعملهم وجه الله سبحانه وتعالى ، وتكفيه هذه المنقبة العظيمة[1] عن سلمة بن كهيل قال : ما رأيت أحدا يطلب بعلمه ما عند الله تعالى إلا ثلاثة عطاء وطاووس ومجاهد[2]. وإليك بعض أقوال أهل العلم في توثيق عطاء والثناء عليه بالخير والصلاح .

١) أقر الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فتوى عطاء . قال لأهل مكة عند ما أكثروا عليه بالأسئلة : " يا أهل مكة تجتمعون عليّ وعندكم عطاء[3] .

٢) قدم ابن عمر مكة المكرمة فأخذوا يسألونه فقال : (أتجمعون لي المسائل وفيكم عطاء)[4].

٣) وكان عطاء بن أبي رباح يكفي أهل مكة في الفتوى . ولما خرج إلى المدينة قال عمرو بن دينار ومجاهد : " استبان فضله علينا "[5]. فهذه شهادة أقرانه باعترافهم بمنزلة عطاء

---

(١) انظر:المعرفة والتاريخ ١ : ٧٠٢ ، وصفة الصفوة ٢ : ٢٢٢ .
(٢) المعرفة والتاريخ ١ : ٧٠٢ . وحلية الأولياء ٣ : ٣١١ . وانظر : صفة الصفوة ٥ : ٢٢٢ .
(٣) تاريخ الاسلام ٤ : ٢٧٩ . وانظر تهذيب الكمال ٢ : ٩٣٣ .
(٤) حلية الأولياء ٣ : ٣١١ . وانظر تهذيب الكمال ٢ : ٩٣٣ .
(٥) المعرفة والتاريخ ١ : ٤٤٣ ، ٢ : ٤٠٥ . سير أعلام النبلاء ٥ : ٨٢ . وانظر : ترتيب المدارك ١ : ٦٣ .

في فقه المسائل.[1]

وقال قتادة: أعلم الناس بالحلال والحرام الحسن وأعلمهم بالمناسك عطاء بن أبي رباح، وأعلمهم بالتفسير عكرمة.[2]

٤) وقال الإمام أبو حنيفة النعمان: (ما رأيت فيمن لقيت رجلاً أفضل من عطاء).[3]

٥) وقال الإمام الشافعي: (عطاء بن أبي رباح خير مني) وذلك عندما سئل عن رجل حلف بالمشي إلى الكعبة فقال: (يطعم عشرة مساكين).[4] فسئل هذا قولك؟ قال قول من هو خير مني عطاء بن أبي رباح.[5]

٦) وقال الإمام أحمد بن حنبل: العلم خزائن يقسم الله لمن أحب. لو كان يخص بالعلم أحد لكان بيت النبي صلى الله عليه وسلم أولى. كان عطاء بن أبي رباح حبشياً، وكان يزيد بن أبي حبيب[6] نوبياً أسود، وكان الحسن

---

(١) انظر: تهذيب الكمال ٢: ١٣٤٠٤ وترتيب المدارك ١: ٦٣.
(٢) المعرفة والتاريخ ١: ٧٠٢، ٢: ١٤٠٤ وانظر الطبقات الكبرى ٥: ٣٤٥.
(٣) أخبار مكة للفاكهي ٢: ٣٢١. تاريخ الاسلام ٤: ٢٧٩. وانظر كتاب الايمان لابن تيمية ص ١٩٦.
(٤) أي في حالة عدوله أو عدم استطاعته الوفاء بحلفه. وهو كفارة لليمين.
(٥) آداب الشافعي ومناقبه للرازي ص ٣٠٠. وانظر: الأم ٢: ٢٢٨ — ٧: ٦١. والسنن الكبرى للبيهقي ١٠: ٦٧ ببعض اختلاف.
(٦) يزيد بن أبي حبيب واسمه سويد الأزدي مولاهم. أبو رجاء المصري روى عن عبد الله بن الحارث الزبيدي وأبي الطفيل وعطاء والزهري وخلق. مفتي أهل مصر في زمانه وكان حليماً عاقلاً وكان أول من أظهر العلم بمصر. وثقه ابن حبان وابن سعد وقال العجلي: مصري تابعي ثقة. مات سنة ثمان وعشرين ومائة. تهذيب التهذيب ١١: ٣١٨.

مولى[١] للأنصار ، وكان ابن سيرين[٢] مولى للأنصار.[٣]

٧) وقال الزهري : ساد عطاء بن أبي رباح أهل مكة بالديانة والرواية .[٤]

٨) قال الأوزاعي : مات عطاء وهو أرضى أهل الأرض. وقال : " ما رأيت أحدا أخشع لله من عطاء ".[٥]

٩) وذكر ابن سعد[٦] قول أهل العلم في عطاء : " بأنه فقيه عالم كثير الحديث ".[٧]

---

(١) سبق له ترجمة ص ٢٢ من الرسالة .

(٢) محمد بن سيرين الأنصاري مولاهم أبو بكر بن أبي عمره البصري إمام وقته . روى عن مولاه أنس بن مالك وزيد بن ثابت والحسن ابن علي وعبد الله البجلي وأبي الدرداء وأبي هريرة وقتادة وغيرهم. وثقه ابن معين وابن سعد . وقال العجلي : بصري تابعي ثقة . وقال ابن حبان : محمد بن سيرين من أورع أهل البصرة وكان فقيها فاضلا حافظا متقنا يعبر الرؤيا . مات سنة عشرة ومائة وله سبع وسبعون سنة . تهذيب التهذيب ٩ : ٢١٤ .

(٣) كتاب المعرفة والتاريخ ٢ : ٧٠١ . وانظر: صفة الصفوة ٢ : ٢١١ .

(٤) معرفة علوم الحديث للحاكم ص ١٩٨ .

(٥) صفوة الصفوة ٢ : ٢١١ . سير أعلام النبلاء ٥ : ٧٨ .

(٦) هو أبو عبد الله . محمد بن سعد بن منيع الهاشمي مولاهم . نزل بغداد . صاحب كتاب الطبقات الكبرى وكاتب الواقدي . من أهل العلم والفضل والفهم أحد الحفاظ الكبار الثقات . مات ببغداد في جماد الآخرة سنة ثلاثين ومائتين . وهو ابن اثنتين وستين سنة . تهذيب التهذيب ٩ : ١٨٢ .

(٧) الطبقات الكبرى ٥ : ٤٦٨ .

١٠) وقال يحيى بن معين [١] : (عطاء ثقة) . [٢]

١١) وقال العجلي : [٣] (عطاء مكي تابعي ثقة مفتي أهل مكة في زمانه ...) [٤] وقال أبو زرعة [٥] : (عطاء مكي ثقة) . [٦]

١٢) وقال ابن حبان : [٧] (عطاء من سادات التابعين فقها وعلما وورعا وفضلا والمقدم في الصالحين) . [٨]

---

(١) هو أبو زكريا البغدادي . يحيى بن معين بن زياد بن بسطام ابن عبد الرحمن . وقيل غير ذلك المري الغطفاني مولاهم . من أهل الدين والفضل وامام الجرح والتعديل في زمانه . ولد سنة ثمان وخمسين ومائتين ومات بالمدينة سنة ثلاث وثلاثين ومائتين . تهذيب التهذيب ١١ : ٢٨٠ .

(٢) كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٦ : ٣٣١ .

(٣) هو الحافظ أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي . نزيل طرابلس المغرب . مولده سنة اثنتين وثمانين ومائة . ومات سنة إحدى وستين ومائة . تذكرة الحفاظ للذهبي ٢ : ٥٦ .

(٤) تاريخ الثقات للعجلي ص ٣٣٢ .

(٥) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ مولى عياش بن مطرف . أبو زرعة . أحد الأئمة الحفاظ . ولد سنة مائتين وتوفي سنة ثمان وستين ومائتين . تهذيب التهذيب ٧ : ٣٠ .

(٦) كتاب الجرح والتعديل ، لابن أبي حاتم ٦ : ٣٣١ .

(٧) أبو حاتم . محمد بن حبان بن محمد بن أحمد بن حبان ابن معاذ التميمي البستي . إمام حافظ . حجة . ولد سنة أربعين ومائتين . وتوفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . انظر : شذرات الذهب لابن العماد ٣ : ١٦ . وانظر : المتكلمون في الرجال للسخاوي ص ١٠٣ .

(٨) كتاب الثقات لابن حبان ٥ : ١١٩ . وانظر : مشاهير علماء الأمصار للمؤلف نفسه ص ٨١ .

١٣) قال الإمام النووي[١] : (اتفقوا على توثيقه وجلالته وإمامته)[٢].

١٤) قال الذهبي[٣] : (عطاء بن أبي رباح سيد التابعين علما وعملا ، مفتي أهل مكة ومحدثهم القدوة في العلم ، ثبت رضي إمام كبير الشأن ، حجة بالإجماع إذا أسند)[٤].

١٥) قال ابن تيمية[٥] : (من أعيان التابعين عطاء بن أبي رباح والحسن البصري ونحوهم. وهم من علماء المسلمين وأكابر أئمة الدين)[٦]. وقال أيضا : (عطاء بن أبي رباح أعلم التابعين بالمناسك. وفي رواية: عطاء بن أبي رباح إمام أهل مكة.[٧]

---

(١) أبو زكريا . شيخ الإسلام يحيى بن شرف النووي الشافعي الدمشقي ولد سنة ستمائة و إحدى وثلاثين . وتوفي سنة ست وعشرين وستمائة. الدليل الشافي على المنهل الصافي ، ابن تغري بردي ٢ : ٧٧٦.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات ، النووي ١ : ٣٣٤.

(٣) أبو عبد الله . محمد بن أحمد عثمان بن قايماز التركماني الذهبي . إمام حافظ شيخ الجرح والتعديل في عصره. ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة. وتوفي سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلي ٦ : ١٥٢.
وانظر : المتكلمون في الرجال ، للسخاوي ص ١٢٣.

(٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٣ : ٧٠. وتاريخ الاسلام ٤ : ٢٨٠.

(٥) تقي الدين . أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني من أعلام الإسلام. ولد سنة إحدى وستين وستمائة وتوفي سنة ثمان وعشرين وسبعمائة هجرية. تذكرة الحفاظ للذهبي ٤ : ٢٧٨.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم - ابن تيمية ص ٤٣٧.

(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٦ : ٢٥٦ ، ٢٥٩.

١٦) قال أبو زرعة العراقي[1] : (عطاء لا شك في حجته وهو إمام المسلمين في زمانه)[2] .

١٧) قال ابن حجر[3] : (عطاء ثقة فقيه فاضل أحد الأئمة الفقهاء)[4] .

١٨) قال ابن كثير[5] : (عطاء بن أبي رباح أحد كبار التابعين الثقات الرفعاء)[6] .

ومن خلال هذه الأقوال الكثيرة تبين توثيق أهل العلم وأئمة الجرح والتعديل لعطاء بن أبي رباح مع الثناء عليه بالخير والصلاح و (أنه من أفضل التابعين كما قال فيه أهل مكة)[7] .

---

(١) الحافظ . أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين . أبو زرعة . ويعرف بابن العراقي . ولد سنة اثنتين وستين وسبعمائة . وتوفي سنة ست وعشرين وثمانمائة . انظر : الضوء اللامع ١ : ٣٣٦ ، وشذرات الذهب ٧ : ١٧٣ .

(٢) البيان والتوضيح ص ١٦٤ .

(٣) أحمد بن علي بن محمد بن محمد علي بن أحمد الشهير بابن حجر . إمام حافظ . صاحب فتح الباري . ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة . وتوفي سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة هجرية . شذرات الذهب ٧ : ٢٧٠ .

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ٧ : ٢٠٣ . وتقريب التهذيب ٢ : ٢٢ . ولسان الميزان ٧ : ٢٧٠ .

(٥) اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي إمام حافظ ومحدث صاحب التفسير . ولد سنة سبعمائة . وتوفي سنة أربع وسبعين وسبعمائة هجرية . شذرات الذهب لابن العماد ٧ : ٣٠٥ .

(٦) البداية والنهاية ٩ : ٣٠٦ .

(٧) الباعث الحثيث لابن كثير ص ١٠٢ .

المبحث الرابع

الدفاع عن عطاء مما اتهم به

دفاع عن عطاء بن أبي رباح مما نسب إليه: القول بإباحة وطء الجارية المرهونة وغيره .

١ - روى عن عطاء أنه كان يرى إباحة وطء الجوارى بإذن أربابهن[1]

قال ابن خلكان: ونقل أصحابنا عن مذهبه أنه كان يرى إباحة وطء الجوارى بإذن أربابهن: وحكى أبو الفتح العجلي[2] في كتاب "شرح مشكلات الوسيط والوجيز"[3] في الباب الثالث من كتاب الرهن ما مثاله: وحكى عن عطاء أنه كان يبعث بجواريه إلى ضيفانه. قال ابن خلكان: والذى أعتقد أنا أن هذا بعيد فإنه لو رأى الحل لكن المروءة والغيرة تأبى ذلك فكيف يظن بمثل ذلك السيد الإمام؟ ولم أذكره إلا لغرابته[4] وللرد على هذا الاتهام الباطل نقول .

---

(١) أى أصحابهن الذين يملكونهن (ملك يمين) .

(٢) أسعد بن محمود بن خلف بن محمد العجلي الأصبهاني . الفقيه الشافعي الواعظ، كان لا يأكل إلا من كسب يده له شرح مشكلات الوجيز والوسيط للغزالي .
كان مولده في أحد الربيعين سنة خمس أو أربع عشرة وخمسمائة بأصبهان وتوفي ليلة الخميس الثاني والعشرين من صفر سنة ستمائة رحمه الله تعالى والعجلي: بكسر العين وسكون الجيم بعدها لام - هذه النسبة إلى عجل بن لجيم وهي قبيلة كبيرة مشهورة من بن ربيعة الفرس بانظر: سير اعلام النبلاء (٢١ : ٤٠٢) وطبقات الشافعية للسبكي ٨ : ١٢٦ - وفيات الأعيان ١ : ٢٠٨ .

(٣) وهو مخطوط يوجد منه المجلد الأول والمجلد الثاني في دار الكتب المصرية . انظر الأعلام ١ : ٣٠١

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣ : ٢٦٢ ، العقد الثمين للفاسي ٦ : ٨٧ .

أولا : إن الرواية وردت بصيغة. نقل أصحابنا . ومَنْ أصحابه ؟ ! كما نقلت بلفظ حكى وهي صيغة التضعيف عند أهل الحديث والمحققين .

ثانيا : بما عرف من زهد عطاء وحالته المادية يغلب الظن على أنه لا يستطيع أن يملك جارية واحدة ؟! فكيف يملك جوارى يبعثهن إلى ضيوفه ؟!

ثالثا : إن نقل الراوى للخبر وهو ابن خلكان يذكر روايته لهذا الخبر على سبيل الاستغراب ويقول بالنص مما يؤيد براءة عطاء مما اتهم به (والذى أعتقد أنا أن هذا بعيد فإنه لو رأى الحل لكن المروءة والغيرة تأبى ذلك فكيف يظن بمثل ذلك (السيد الإمام) ولم أذكره إلا لغرابته ؟

رابعا : قد ثبت عن عطاء أنه كره النظر إلى الجوارى اللاتى يُبعن بمكة إلا أن يريد أن يشترى[1] فكيف ينسب القول إلى عطاء بإباحة وطء الجارية المرهونة أو المعارة ؟!

خامسا : نقل ابن قدامة إجماع العلماء على أنه لا يحل للمرتهن وطء الجارية المرهونة لقول الله تعالى (إلا على

---

(١) صحيح البخارى : كتاب الاستئذان - باب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم ...) ٧ : ١٢٥ تغليق التعليق ٥ : ١٢٠ وانظر وانظر تفسير القرطبي - ١٢ : ٢٢٧ .

أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين) [١] وقال ليست [٢] هذه زوجة ولا ملك يمين ... [٣] وقال ابن تيمية: الله تعالى أباح الزواج وملك اليمين. وحرم مازاد على ذلك بقوله (والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) [٤] والمستمتع بالمرأة وهي ليست زوجة له ولا ملك يمين تكون حراما بنص القرآن. [٥]

سادسا: أجمع العلماء على أن الأمة اذا زنت بعد احصانها أن تُجلد خمسون جلدة لقوله تعالى (فاذا أحصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب) [٦] [٧] وهذا الاجماع يشمل عطاء وغيره.

---

(١) المؤمنون: ٥.
(٢) الجارية المرهونة.
(٣) المغني: لابن قدامة - ٤: ٢٧٥. وانظر فقه عطاء ص ٤٤٢.
(٤) المؤمنون: ٥ - ٧.
(٥) منهاج السنة النبوية ١٥٧. وقد ذكر ابن تيمية هذا الاستدلال في معرض الرد على القائلين باباحة نكاح المتعة.
(٦) النساء: ٢٥.
(٧) بداية المجتهد - لابن رشد - ٢ ص ٣٩٩ وانظر ما يأتي:
صحيح البخاري - كتاب الحدود - باب اذا زنت الأمة - ٨ : ٢٩،
١٦٥.
صحيح مسلم - كتاب الحدود باب حد الزنا - ٣ : ١٣١٦،
أحكام القرآن - لابن العربي - ١ : ٤٠٥. تفسير القرطبي ٥ : ١٤٣.
المغني لابن قدامة. كتاب الحدود. حد الأمة ٩ : ٤٩.
العمدة في الأحكام. للمقدسي ص ٤٥٥. سبل السلام - الأمير الصنعاني ٤ : ٩، ١٠. نيل الأوطار للشوكاني ٧ : ١٢٧. وفقه عطاء ص ٤٤٢.

سابعا : الذى ورد عن عطاء . أنه كان يرويه على سبيل حكاية الخبر الذى بلغه " أن الرجل يرسل وليدته إلى أضيافه " أى هذا كان يفعل فيما سبق قبل الإسلام " كان الرجل يحل وليدته لغلامه وابنه وأخيه وأبيه وتحلها المرأة لزوجها "[1]

وقال عطاء " وما أحب أن يفعل .... قال الحافظ بن حجر هذا إسناد صحيح . يوضح أنه كان لا يرى ذلك[2] فعطاء براء من هذا الحكم الباطل .

٢ - نفى الاختلاط عن عطاء :

وصف على بن المدينى بأن عطاء (اختلط[3] بآخره)[4]

والقول باختلاط عطاء مندفع بقول الحافظين الذهبى وابن حجر . حيث أكد الذهبى توثيق عطاء بعد ذكر قول ابن المدينى بقوله : (وإلا فعطاء ثبت رضى) (حجة إمام كبير الشأن)[5] قال الإمام

---

(١) مصنف ابن أبى شيبه ٤ : ٢٨٩ وانظر الدر المنثور - ٦ : ٨٩ معجم فقه السلف ٨ : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

(٢) تغليق التعليق ٥ : ١٢١ وانظر : الفتح ١١ : ٧ : ١٠ وعمدة القارئ ١٨ : ٢٨٧ .

(٣) الاختلاط : هو النسيان لكبر السن ولضعف الحواس في الغالب و(حقيقته فساد العقل وعدم انتظام الأقوال والأفعال إما بخرف أو (ضرر) أى مس من الجن - أو مرض أو عرض من موض ابن أو موته أو سرقة مال أو كتب أو حرقها ... فتح المغيث للسخاوى ٣ : ٣٣ .

(٤) المعرفة والتاريخ ٢ : ٢٦ - ١٥٣ .

(٥) ميزان الاعتدال - ٣ : ٧٠ وتهذيب التهذيب ٧ : ٢٠٣ نقلا عن خط الذهبى .

الحافظ ابن حجر: (قيل إنه تغير بآخرة ولم يكن منه ذلك)[١] وقد سبق توثيق العلماء وأئمة الجرح والتعديل لعطاء.[٢]

كما قيل بأن ابن جريج وقيس بن سعد تركا عطاء[٣] وكيف يترك ابن جريج عطاء وهو أثبت الناس في الرواية عنه[٤] وقد فسر الذهبي هذا الترك وعلله بقوله (أنهما أخذا عن عطاء الشئ الكثير وقد تفقها على يديه)[٥] ولم يعن الترك الاصطلاحي[٦] بل عنى أنهما بطلا الكتابة عنه)[٧] ولعل قول الذهبي مبني على قول ابن جريج (لزمت عطاء سبع عشرة سنة) و (جالست عمرو ابن دينار بعد ما فرغت من عطاء سبع سنين).[٨]

علاوة على أن ابن الكيال[٩] ألف في من اختلط من الثقات

---

(١) تقريب التهذيب ٢ : ٢٢ .
(٢) انظر ص(٩٢-٩٧) من الرسالة .
(٣) ترك مجلس الفقيه يكون لأسباب مختلفة منها ما يكون سببه الاختلاط أو من أجل مسألة فقهية كما ذكر أن ابن عون تركه ، وطاوسا من أجل فتياه في الصرف وكذلك يكون الترك من أجل أنه استنفذ ما عند الشيخ وكتب جميع ما عنده وهو ترك ابن جريج وقيس لعطاء.
(٤) تهذيب التهذيب ٦ : ٤٠٤ .
(٥) المعرفة والتاريخ ٢ : ٢٦ - ١٥٣ وتاريخ الإسلام ٤ : ٢٨٠ .
(٦) أي : في اصطلاح المحدثين وعرفهم . (٧) ميزان الاعتدال : ٣ : ٧٠ .
(٨) المعرفة والتاريخ ٢ : ٢٥ تهذيب التهذيب ٧ : ٢٠٣ .
(٩) وهو محمد بن أحمد بن محمد الخطيب زين الدين ـ أبو البركات ابن الكيال ولد سنة ثلاث وستين وثمانمائة وتوفي سنة تسع وعشرين وتسعمائة انظر: شذرات الذهب لابن العماد ٨ : ١٦٤ .

ولم يذكر اسم عطاء[١] وكذلك لم نجد اسم عطاء بن أبي رباح في الاغتباط. بمن رمي بالاختلاط لسبط ابن العجمي وقد ذكر ترك ابن عون أيضا له والذي عرف من سبب الترك هو أن ابن عون[٢] ترك عطاء وطاووسا من أجل فتياهم في الصرف[٣] [٤] وهو قول ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وزيد بن أرقم وأسامة بن زيد وابن الزبير وسعيد بن جبير وغيرهم[٥] وقولهم بأن الربا المحرم فقط هو ربا النسيئة[٦] كان ابن مسعود وابن عباس يقولان لا ربا فيما كان يدا بيد وعليه كان عطاء. فعن عطاء قوله (لا بأس بأن يسلم ما يكال وما يوزن فيما يوزن إنما هو طعام بطعام)[٧] بمعنى جواز التفاضل فيما يكال ويوزن ويرى أنه طعام بدل طعام وقد وافق عطاء مذهب شيخه في فتواه. فقد روى الأوزاعي قال حدثني عطاء بن أبي رباح عن

---

(١) كما ألحق المحقق بالكواكب النيرات أسماء من اختلط من الثقات ولم يذكر اسم عطاء.

(٢) عبد الله بن عون بن أبي عون عبد الملك بن يزيد الهلالي. أبو محمد البغدادي الخراز. كان جده أبو عون أمير مصر. ثقة. مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين في رمضان. تهذيب التهذيب ٥: ٣٤٩.

(٣) الصرف: بفتح المهملة. دفع ذهب وأخذ فضة وعكسه ويشمل الصرف أيضا بيع الدرهم بدرهمين وصاع تمر بصاعين من تمر وكذا الحنطة وسائر الربويات وسمي صرفا لصرفه عن مقتضى البياعات: انظر: صحيح مسلم بشرح النووي ١١: ٢٣ والفتح ٤: ٣٨٢ ، ٣٨٣.

(٤) انظر: المعرفة والتاريخ - ٢: ٥٠٢ وسؤالات أبي عبيد ص ٢٢٠ ، وفقه عطاء ص ٥٦-٥٧

(٥) موسوعة فقه ابن عباس: ١: ٤٧٨ ، ٤٨٣.

(٦) وهو البيع إلى أجل " نسيئة " ثم الزيادة عند حلول الأجل وهذا هو ربا الجاهلية: انظر: الفقه الاسلامي: د. وهبه الزحيلي ٤: ٦٧٤ ، ٦٧٥.

(٧) معجم فقهاء السلف - ٦: ٨٧ - ٨٨.

ابن عباس أن أبا سعيد الخدري لقي ابن عباس فقال له أرأيت قولك في الصرف أشيئا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم شيئا وجدته في كتاب الله عزوجل فقال ابن عباس كلا لا أقول[(١)] أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أعلم به وأما كتاب الله فلا أعلمه[(٢)] ولكن حدثني أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (ألا إنما الربا في النسيئة)[(٣)] كما روى عن ابن عمر وابن عباس أنهما كانا يعتقدان أنه لا ربا فيما كان يدا بيد وأنه يجوز بيع درهم بدرهمين وصاع تمر بصاعين من تمر وكذا الحنطة وسائر الربويات جواز بيع الجنس ببعضه متفاضلا وأن الربا لا يحرم في شيء من الأشياء إلا إذا كان نسيئة. يعني الصرف متفاضلا كدرهم بدرهمين[(٤)] وهذا القول بمعنى قول عطاء.

وقال النووي : (وكان معتمدهما حديث أسامة بن زيد (إنما الربا في النسيئة) ثم رجع ابن عمر وابن عباس[(٥)] عن ذلك وقالا

---

(١) وفي السياق دليل على أن أبا سعيد الخدري وابن عباس متفقان على أن الأحكام الشرعية لا تطلب إلا من الكتاب أو السنة. انظر: الفتح ٤ : ٣٨١.

(٢) وفي هذه قصة أبي سعيد الخدري مع ابن عباس أن العالم يناظر العالم ويوقفه على معنى قوله ويرده من الاختلاف إلى الاجتماع ويحتج عليه بالأدلة وفيه إقرار الصغير للكبير بفضل التقدم. الفتح - ٤ : ٣٨٢.

(٣) صحيح مسلم - - كتاب المساقاة والمزارعة - باب الربا - ٣ : ١٢٠٨

(٤) صحيح مسلم - - كتاب المساقاة والمزارعة - باب الربا - ٣ : ١٢٠٨ وانظر : أحكام القرآن - للجصاص - ١ : ٤٦٥ - ٤٦٦.

(٥) قال ابن حجر : اختلف في رجوع ابن عباس الفتح . ٤ : ٣٨.

بتحريم بيع الجنس بعضه ببعض متفاضلا حين بلغهما حديث النهي عن التفاضل في غير النسيئة) ولعل عطاء رجع عن هذا الحكم. وقال النووي : وقد أجمع المسلمون على ترك العمل بظاهر هذا الحديث وهذا يدل على نسخه[١] وتعقبه ابن حجر فقال : والنسخ لا يثبت بالاحتمال . فيؤخذ بتأويل الحديث كما ذكر)[٢] وتأوله آخرون تأويلات أحدها أنه محمول على غير الربويات والتأويل الثاني :أنه محمول على الأجناس فإنه لا ربا فيهما من حيث التفاضل بل يجوز تفاضلها يدا بيد والتأويل الثالث: أنه حديث مجمل وغيره من الأحاديث مبينة فوجب العمل بالمبين وتنزيل المجمل عليه .[٣]

وقيل أيضا في تحريم ربا الفضل من حديث أسامة بن زيد. إنما هو بالمفهوم فيقدم حديث أبي سعيد الخدري[٤] وغيره لأن دلالته بالمنطوق . ولا يقاوم المفهوم المنطوق فإنه مطروح مع المنطوق .[٥]

وقيل أيضا إن هذا الحديث كان جوابا . لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن مبادلة الحنطة بالشعير والذهب بالفضة

---

(١) الفتح ٤ : ٣٨١ ، ٣٨٢ .
(٢) شرح النووي على مسلم كتاب المساقاه باب الربا - ١١ : ٢٥ .
(٣) شرح النووي على مسلم ١١ : ٢٥ .
(٤) وغيره من الأحاديث الصحيحة التي تدل على حرمة الربا . انظر . صحيح مسلم شرح النووي باب الربا - ١١ : ٨ - ٢٦ .
(٥) الفتح - ٤ : ٣٨١ - ٣٨٢ ، وانظر: سبل السلام - للأمير الصنعاني : ٣ : ٣٧ - ٣٨ .

إلى أجل فقال (لا ربا إلا في النسيئة)[١] وهذا على سبيل التغليظ والتشديد في حرمة هذا النوع من الربا وليس قصرا عليه في الحكم[٢] كما استدل جمهور العلماء على تحريم الربا في الأشياء المنصوص عليها ولا يختص بها بل يتعدى إلى ما في معناها وهو ما يشاركها في العلة[٣] من باب القياس[٤] ودليلهم حديث أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد[٥] فقد أربى الآخذ والمعطى

---

(١) صحيح مسلم ٣ : ١٢١٦

(٢) الفتح - ٤ : ٣٨٢ .

(٣) اختلفت العلماء في العلة التي هي سبب تحريم الربا في الأصناف المنصوص عليها فقال الإمام الشافعي العلة في الذهب والفضة كونهما جنس الاثمان فلا يتعدى الربا منهما إلى غيرهما من الموزونات وغيرها لعدم المشاركة في العلة. وقال والعلة في الباقية. كونهما جنس مطعومة فيتعدى الربا منها إلى كل مطعوم وقال الإمام مالك العلة في الذهب والفضة لقول الإمام الشافعي رضي الله عنهما وقال في الأربعة العلة فيها كونها تدخر للقوت وتصلح له فعداه إلى الزبيب وغيره وقال الإمام أبو حنيفة العلة في الذهب والفضة الوزن وفي الأربعة الكيل فيتعدى إلى كل موزون من نحاس وحديد وغيرهما وإلى كل مكيل . وعند الحنابلة في المشهور أن العلة هي الكيل والوزن. صحيح مسلم بشرح النووي - باب الربا - ١١ : ٨ ، ٩ وانظر: الفقه الإسلامي - د . وهبه الزحيلي - ٤ : ٦٧٥ - ٦٩١ .

(٤) خلافا لمن أنكر القياس من الظاهرية وغيرهم - صحيح مسلم بشرح النووي - ١١ : ٩ .

(٥) أى طلب الزيادة وهي عين الربا .

فيه سواء[١] . وعلى هذا يكون قول عطاء وغيره[٢] خلاف قول أهل العلم حيث أجمعوا على تحريم ربا الفضل وربا النسيئة.[٣]

٢ - وُصف عطاء بأنه كان يضرب إحدى يديه على الأخرى ويرقص طربا لسماع الغناء بالشعر وينشد الشعر الغنائي ( ) وأن عطاء يجيز قراءة القرآن على ألحان الغناء والحداء.[٧]

"وروى عاصم عن ابن جريج قال سألت عطاء عن قراءة القرآن بألحان الغناء والحداء: قال ومابأس ذلك ياابن أخي."[٨] وللدفاع عن عطاء نقول :

أولا : قد ثبت اتفاق العلماء وأئمة الجرح والتعديل على توثيق عطاء وأنه حجة بالإجماع إذا أسند[٩] وبعد ثبوت هذا التوثيق لا يقبل أي اتهام لعطاء بما ينافي المروءة ومكارم الأخلاق الإسلامية العالية.

---

(١) وغيرها من الأحاديث الصحيحة التي تدل على حرمة الربا في الأصناف المنصوص عليها وغيرها مما شاركها في العلة. وسبق ذكر قول الفقهاء بحرمتها من باب القياس. وانظر صحيح مسلم بشرح النووي . كتاب المساقاة والمزارعة. باب الربا ٢ : ٨ : ١٢٠.

(٢) إذا لم يثبت رجوع عطاء عن فتياه في الصرف.

(٣) المغني لابن قدامة ٤ : ٣٠ . وانظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، لابن رشد ٢ : ١٧١.

(٤) الأغاني ١ : ٢٥٧ ، ٣١٦ ، ٣٦٧ ونهاية الأرب ٤ : ٢٥٠

(٧) الحداء: سوق الإبل والغناء لها . مختار الصحاح ص ١٠٢.

(٨) العقد الفريد ٦ : ٩.

(٩) انظر ص (٩٠-٩٧) من الرسالة.

ثانيا : إن خبر (الرقص والضرب بيده طربا) عن عطاء صادر من كتب الأدب والتاريخ التى لا يوثق بصحة الرواية فيهما فى الغالب فكثيرا مايدخل الدس والكذب فى مواضيع كتب الأدب والتاريخ . خاصة إذا علم باختلاف عقيدة الكاتب والمؤلف. فمثلا إذا كان الكاتب شيعيا فلابد أن ينال من أهل السنة والجماعة[1]. فعطاء برىء من الخبر الذى وصفه بما ينافى أخلاق العلماء الإسلامية.

---

(١) انظر للتفصيل : العواصم من القواصم ص ٢٦٠ .

٤ - مراسيل[1] عطاء بن أبي رباح وموقف العلماء منها :

- قال الامام أحمد :

وليس أضعف في المراسيل من مراسيل الحسن وعطاء فانهما يأخذان عن كل أحد .[2]

- قال علي بن المديني :

كان عطاء يأخذ عن كل ضرب مرسلات مجاهد أحب الىّ

---

(١) المراسيل : جمع مرسل . والحديث المرسل .اختلف في تعريفه الى أقوال منها قول الحافظ ابن حجر : (المرسل ماأضافه التابعي الى النبي صلى الله عليه وسلم مما سمعه من غيره) . النكت على ابن الصلاح ٢ : ٥٤٦ .

(٢) شرح علل الترمذي ، لابن رجب ص ١٧٩ . وانظر : تهذيب التهذيب ٧ : ٢٠٠ .

من مرسلاته بكثير.[1]

- قال يحيى بن سعيد القطان :

مرسلات مجاهد وسعيد بن جبير أحب إليَّ من مرسلات عطاء.[2]

ولكثرة الإرسال في الرواية تكلم الأئمة في بعض الرواة.

فالقول بتضعيف المرسل لا يلزم القدح في الراوي. فقد اتفقت الأئمة على قبول خلق كثير من الرواة مع كثرة ما أرسلوه.[3]

---

(١) كتاب المراسيل ، عبد الرحمن الرازي ص ١٣ .

(٢) شرح علل الترمذي ، ابن رجب ص ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٦ ، ١٩٠ .

(٣) جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، للعلائي ص ٢٤ .

المبحث الخامس

مكانة عطاء العلمية في الحديث والفقه والتفسير

١ - عطاء بن أبي رباح ورواية الحديث:

اشتهر عطاء برواية الحديث كما اشتهر بالفقه والتفسير. فكان مفتي أهل مكة ومحدثهم[(١)] وكانوا مطمئنين إليه في فتواه " جاء أعرابي يريد الإفتاء فأرشد إلى سعيد بن جبير فجعل الأعرابي يقول أين أبو محمد؟ فقال سعيد بن جبير مالنا هاهنا مع عطاء شيء[(٢)] كما ذكر الدارقطني[(٣)] اسم عطاء من التابعين ومن بعدهم فيمن صحت روايته عن الثقات عند البخاري ومسلم[(٤)] قال الإمام الشافعي " لا نشك أن عطاء إن شاء الله تعالى لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئا مثبتا عنده ، ويقول بخلافه[(٥)] ونقل عن الإمام الشافعي قوله (ليس في التابعين أحد أكثر اتباعا للحديث من عطاء)[(٦)] وقال الزهري: ساد عطاء بن أبي رباح أهل مكة بالديانة والرواية.[(٧)] وعطاء أحد الحفاظ الذين لهم رواية

---

(١) الطبقات الكبرى: ٥ : ٤٦٧ وانظر تذكرة الحفاظ - ١ : ٩٨.
(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم - ٦ : ٣٣٠.
(٣) هو الإمام الحافظ: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود النعمان بن دينار الدارقطني صاحب السنن ولد سنة ست وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وثمانين وثلاثمائة ببغداد - البداية والنهاية ١١ : ٣٣٨.
(٤) ذكر أسماء التابعين للدارقطني - ١ : ٢٧٥.
(٥) الأم - للإمام الشافعي - ٣ : ١٨٨.
(٦) آداب الشافعي ومناقبه - لابن أبي حاتم ص ٢٠٦.
(٧) معرفة علوم الحديث - للحاكم ص ١٩٨.

في الكتب الستة كما ذكره الذهبي في الطبقة الثانية من أئمة التابعين.[١]

٢ - فقه عطاء:

عطاء بن أبي رباح أحد أعلام مدرسة ابن عباس رضي الله عنهما. اشتهر بالفقه وكان المفتي الأول لأهل مكة بعد ابن عباس رضي الله عنهما[٢] وقد أقر ابن عباس فتوى عطاء. ولما أكثر الناس على ابن عباس بالمسائل قال: "يا أهل مكة تجتمعون على وعندكم عطاء".[٣] ولقد اعتمد عطاء في فتواه على دراسته للقرآن وحفظه ومعرفته بالسنة المطهرة وإجماع الصحابة وأقوالهم رضي الله عنهم خاصة شيخه ابن عباس. فان لم يجد اجتهد رأيه المستنبط من الكتاب والسنة. ولقد برع عطاء بن أبي رباح في الفقه بأقسامه[٤] وصدرت منه الفتوى في المعاملات والعبادات. وكان أعلم التابعين بمناسك الحج.[٥]

عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت قال أخطأت في خمسة أبواب

---

(١) الكاشف في اسماء الرجال - للذهبي - ٢: ٢٦٥ وانظر: المعين في طبقات المحدثين للذهبي ص ٤٠.
(٢) البداية والنهاية - ٩: ٣٠٩.
(٣) الكمال في أسماء الرجال - للمقدسي - ٥: ٩٣٦.
(٤) انظر: فهرست مسائل فقه عطاء في معجم فقه السلف الذى اشتمل على أكثر أقوال الصحابة والتابعين - لمحمد الكتاني ١: ١٦٧، ٢: ٢٦٩، ٣: ٢٣٧، ٤: ٢ - ٢٦١، ٥: ٢٦٠، ٦: ٤٣٣، ٧: ٣٤٥، ٨: ٣١٠ ترجمة لعطاء ٩: ٨٥.
(٥) انظر فقه عطاء - كاسب عبد الكريم - ص ٧٧.

من المناسك بمكة فعلمنيها حجام. وذلك أني أردت أن أحلق رأسي. فقال لي أعربي أنت؟ قلت نعم وكنت قد قلت له بكم تحلق رأسي؟ فقال النسك لا يشارط فيه فجلست [اجلس] منحرفا عن القبلة فأومأ لي باستقبال القبلة[1] وأردت أن احلق رأسي من الجانب الايسر فقال: أدر شقك الايمن من رأسك[2] فأدرته وجعل يحلق رأسي وأنا ساكت فقال لي كبر[3] فجعلت أكبر حتى قمت لأذهب. فقال أين تريد قلت رحلي فقال صل ركعتين ثم امض، فقلت ماينبغي أن يكون هذا من مثل هذا الحجام إلا ومعه علم فقلت من أين لك مارأيتك أمرتني به؟ فقال: رأيت عطاء بن أبي رباح يفعل هذا.[4] (وفعل عطاء ليس بحجة) ولعله اجتهاد خاص بعطاء.[5] إن صحت الرواية عن عطاء.

انتشار فقه عطاء وأثره:

يفد المسلمون على مدار السنة وخاصة في المواسم إلى مكة

---

(١) ان تيسر ذلك لأن القبلة أفضل الجهات.

(٢) والحلق من الجانب الأيمن ثم الأيسر موافق (لفعل النبي صلى الله عليه وسلم) عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى ونحر ثم قال للحلاق خذ. وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم يعطيه الناس. صحيح مسلم . كتاب الحج . باب الابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق ٢ : ٩٤٧

(٣) وقول عطاء بالتكبير لعله يندرج تحت مشروعية مطلق التكبير وقياسا على التكبير عند أعمال الحج مثل التكبير عند الصفا والمروة والجمرات وغيره كثير.

(٤) وفيات الأعيان ٣ : ٢٦١.

(٥) انظر: حاشية ابن حجر الهيثمي على الإيضاح في مناسك الحج للنووي ص ٣٨٤.

المكرمة من كل فج عميق . وكان عطاء بن أبي رباح في المسجد الحرام يفتي الناس سنين طويلة وخاصة في مواسم الحج . ومعلوم في القرون الأولى أن كثيرا منهم كان يحج ويقصد مع الحج لقاء المشايخ والاستفادة منهم فلابد وأن يكون لفقه عطاء انتشار خاص مع الوافدين . فقد كانوا يرجعون إلى أمرائهم وبلدانهم وقد حملوا معهم فقه عطاء .

ومن أشهر من روى فقه عطاء بن أبي رباح . عبد الرحمن بن أبي ليلى .[1] بالكوفة وسليمان بن موسى[2] من أهل الشام ومالك ابن دينار[3] وهمام بن يحيى[4] من البصرة . ويزيد بن أبي حبيب[5] في مصر . وابن جريج[6] في مكة[7] ولقد التقى الإمام أبو حنيفة بعطاء وأخذ عنه وذكر أنه ناقشه في التفسير وتلقاه عنه[8]

---

(١) عبد الرحمن بن أبي ليلى. أبو ليلى اسمه يسار كوفي . ولد لست بقين من خلافة عمر بن الخطاب وثقه ابن معين والعجلي . تهذيب ابن حجر - ٦ : ٢٦٠ .

(٢) سليمان بن موسى . مولاهم أبو أيوب الدمشقي فقيه أهل الشام في زمانه . وثقه ابن معين والدارقطني وابن حبان وغيرهم . توفي سنة تسع عشرة ومائة وقيل غير ذلك . تهذيب - ٤ : ٢٢٦ . (٣) سبقت ترجمته ص ٩١ من الرسالة

(٤) همام بن يحيي بن دينار الازدي . مولاهم أبو عبد الله . وثقه ابن معين وابن حبان والعجلي والحاكم وغيرهم . توفي سنة خمس وستين ومائة وقيل غير ذلك - تهذيب - ١١ : ٦٧ .

(٥) سبقت له ترجمة ص ٩٢

(٦) سبقت ترجمته ص ٨٩ من الرسالة

(٧) فقه عطاء ص ٧٧ .

(٨) أخبار أبي حنيفة وأصحابه للصيمري ص ٢٤ والانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء - أبو عمر يوسف بن عبد البر - ص ١٥٦ - ميزان الاعتدال ٣ : ٧٠ .

كما اعتبر عطاء أحد شيوخ سلسلة الفقهاء لمذهب الإمام الشافعي قال الإمام النووي (عطاء بن أبي رباح أحد شيوخ أصحابنا الشافعيين في سلسلة الفقه المتصلة برسول الله صلى الله عليه وسلم[(١)] ونقل القاضي عياض عن الإمام مالك بأنه لم يعلم حقيقة ما كان عليه عطاء بن أبي رباح من الفضل والعلم. فلما تبين له حقيقة علمه وحاله وقد فاته أخذ علمه من غيره.[(٢)]

٣ - مكانة عطاء بن أبي رباح في التفسير

سوف نتحدث عن هذا بالتفصيل في الباب الثاني وهو موضوع الرسالة.

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١: ٣٣٣. وانظر: طبقات الفقهاء - للشيرازي ص ٦٩ وطبقات الشافعية . أبو عاصم محمد العبادي ص ٨٤.

(٢) انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك ١: ١٢٤ - ١٣٤.

المبحث السادس

وفاة عطاء بن أبي رباح

ولد عطاء عام سبعة وعشرين وتوفي عام مائة وأربعة عشر هجرية في شهر رمضان على أكثر الأقوال . وقيل عام مائة وخمسة عشر قاله الواقدي وسفيان بن عيينة وغيرهم وقيل توفي عام مائة وسبعة عشر قاله خليفة بن الخياط.[١]

وعن حماد بن سلمة قال قدمت مكة وعطاء حي فقلت إذا أفطرت دخلت عليه فمات في رمضان .

قال ابن كثير: والجمهور على أنه مات في رمضان سنة أربع عشرة ومائة[٢] رحمه الله تعالى وبقي علمه وفقهه ينتفع به إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

---

(١) تهذيب التهذيب ٧ : ١٩٩ .

(٢) البداية والنهاية - ٩ : ٣٠٦ - وانظر: التاريخ الكبير ٦٠ : ٤٦٤ ، والطبقات الكبرى - ٥ : ٥٠٠ ، تاريخ أبي زرعة - ١ : ٩٨ ، تذكرة الحفاظ للذهبي - ١ : ٩٨ .

الباب الثاني
جهود عطاء بن أبي رباح في التفسير

وفيه تمهيد وثلاثة فصول :

تمهيد : عطاء بن أبي رباح مفسراً

الفصل الأول : منهج عطاء بن أبي رباح في التفسير

الفصل الثاني : أقوال وآراء عطاء في مباحث من علوم القرآن

الفصل الثالث : أمثلة من تفسير عطاء



التمهيد

عطاء بن أبي رباح مفسرا

عطاء بن أبي رباح . أحد أعلام مدرسة التفسير بمكة المكرمة . وردت له أقوال في تفسير بعض آيات القرآن الكريم . ويعتبر عطاء أحد المقلين في التفسير بالمقارنة مع تفسير مجاهد . ولعل السبب في ذلك يرجع الى انشغال عطاء بالفتيا . كما لم يؤثر تفسير كامل لأحد من المفسرين في طبقة عطاء ومجاهد . وقد ذكرت أقوال عطاء في كتب التفسير المعتمدة مثل تفسير الطبري وتفسير البغوى وتفسير ابن الجوزى وتفسير ابن كثير .

وتفسير السيوطي [١] قال ابن تيمية رحمه الله : (أعلم الناس بالتفسير أهل مكة. لأنهم أصحاب ابن عباس كمجاهد وعطاء [٢]. وإذا أطلق اسم عطاء فالمراد عطاء بن أبي رباح في الغالب [٣].

---

(١) اسمه الدر المنثور في التفسير بالمأثور. للعلامة عبد الرحمن بن بكر السيوطي. ولد سنة ٨٤٩ هـ في مدينة ـ أسيوط ـ وهي اسم لمدينة غربي النيل في مصر ـ ألف فنوناً كثيرة وهو أحفظ من السخاوي. له باع في العربية. توفي سنة ٩١١ هـ. شذرات الذهب ٨ : ٥١.

(٢) مقدمة في أصول التفسير. لابن تيمية ص ٦١.

(٣) كما جرت عادة المفسرين. وإليك أمثلة على ذلك :

ذكر الطبري اسم عطاء مرتين. فقيد الاسم الأول : وقال "عن عطاء بن السائب". وأطلق الاسم الثاني فقال : "عن عطاء" والمراد به عطاء ابن رباح عند تفسير الآية رقم ١٠٦ سورة يوسف. وعند آية رقم ٥٩ سورة النساء. وذكر ابن الجوزي اسم عطاء مرتين : فأطلق الأول والمراد به عطاء بن أبي رباح. وقيدالاسم الثاني وقال وعطاء الخرساني عند تفسير آية رقم ٩٤ - ٩٨ سورة يوسف.

وذكر القرطبي : اسم عطاء مرتين. فقيد الأول فقال : عطاء الخرساني وأطلق الاسم الثاني وقال عطاء والمراد به عطاء بن أبي رباح. عند تفسير الآية رقم ٢٩ سورة الدخان. وكذلك إذا ذكر عطاء في المجموع - شرح المهذب - في الفقه الشافعي للإمام النووي يراد به عطاء بن أبي رباح كما صرح بذلك الإمام النووي. انظر ١ : ١١٣.

وكذلك الحافظ ابن حجر في الفتح ذكر اسم عطاء مرتين في صفحة واحدة فقيد الاسم الأول. وقال عطاء بن السائب وأطلق الاسم الثاني وقال : عطاء : والمراد به عطاء بن أبي رباح وذلك عند تفسير سورة الكهف ٨ : ٤٠٧.

كما ذكر ابن كثير في تفسيره اسم عطاء مرتين في صفحة واحدة فأطلق الاسم الأول المراد به عطاء بن أبي رباح وقيد الاسم الثاني وقال : عطاء الخرساني. وذلك عند تفسير الآية رقم ١٧١ سورة البقرة. ومثله في سورة الحج عند الآية رقم ٣٣.

وكذلك الشوكاني في تفسيره. ذكر اسم عطاء مرتين. فقيد الأول فقال : عطاء الخرساني. وأطلق الاسم الثاني وقال : عطاء والمراد به عطاء بن أبي رباح وذلك عند تفسير حرف (ن) من سورة "ن".

وبمعرفة رجال السند وطبقات رواة الحديث[١] يزول من يشتبه اسمه[٢] بعطاء بن أبي رباح . وعطاء هو شيخ مدرسة التفسير مع مجاهد بعد شيخه ابن عباس - رضي الله عنه - فهو وارث علمه .

ورواية التفسير عن عطاء عند ابن جرير الطبري تكون رواية صحيحة في الغالب. قال الامام ابن تيمية: "أما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير ابن جرير الطبري فانه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة[٣] ولا ينقل عن المتهمين." [٤] ولهذا كان اهتمامي الأول على رواية ابن جرير

---

(١) انظر " من اسمه عطاء من رواة الحديث ". تصنيف الامام الحافظ. أبي القاسم بن أحمد الطبراني . ولد عام ٢٦٠ هـ وتوفي سنة ٣٦٠ هـ.

(٢) ومن الأسماء التي يمكن أن تشتبه باسم عطاء بن أبي رباح ما يأتي:

أ - عطاء بن السائب توفي سنة ١٣٦ هـ وقيل غير ذلك. له رواية عن عباس من طريق سعيد بن جبير وهذا الطريق صحيح على شرط الشيخين. الاتقان ٢ : ٥٣٤ . له ترجمة في تهذيب التهذيب ٧ : ٢٠٣ . وانظر الفتح ٨ : ٤٠٧ .

ب - عطاء بن أبي مسلم الخرساني مولى المهلب بن أبي صفرة الأزدي ولد سنة ٥٠ هـ. قال ابن معين ثقة ، وقال النسائي : ليس به بأس ، وقال الدارقطني ثقة في نفسه الا أنه لم يلق ابن عباس. وتوفي سنة ١٣٥ هـ. له ترجمة في تهذيب التهذيب ٧ : ٢١٢ . وانظر افتح ٨ : ٦٦٧ ؛ ٩ : ٤١٨ .

جـ - عطاء بن يسار. ولد سنة ١٩ هـ. وتوفي سنة ١٠٣ هـ. له ترجمة في تهذيب التهذيب ٧ : ٢١٧ .

د - عطاء بن دينار الهذلي توفي سنة ١٢٦ هـ. له ترجمة في تهذيب التهذيب ٧ : ١٩٨ . وغيرهم.

(٣) يعني ابن جرير ثقة.

(٤) دقائق التفسير ١ : ٨٥ .

الطبرى فى تفسير عطاء. وإذا تعددت كتب التفسير[1] فى ذكر قول لعطاء فى تفسير آية فإنه تقوى نسبة القول إلى عطاء. خاصة تفسير ابن أبى حاتم وابن جرير الطبرى والبغوى وابن كثير وغيرها .

وأشهر الرواة عن عطاء عند ابن جرير الطبرى . ابن جريج وهو أثبت من غيره فى الرواية عن عطاء[2] وعمرو بن دينار[3] وقيس بن سعد ، وابن أبى نجيح ، وابنه يعقوب بن عطاء ، وهو مقل جدا فى الرواية عن أبيه[4] وطلحة بن عمرو[5] . ورواية حجاج بن محمد المصيصى[6] عن ابن جريج عن عطاء من أكثر

---

(١) وغيرها من كتب السنن والآثار . وقد رجعت إلى بعضها مثل : مصنف ابن أبى شيبة وعبد الرزاق الصنعانى .

(٢) سئل يحيى بن معين عن أيهما أثبت فى الرواية عن عطاء أقيس بن سعد أو ابن جريج؟ فقال ابن جريج عن عطاء أثبت. كتاب التاريخ ليحيى بن معين ٣ : ١٠١ . وذكر ابن جريج أن روايته عن عطاء سماعا (قال : ابن جريج إذا قلت قال عطاء فأنا سمعته منه وإن لم أقل سمعت) . تهذيب التهذيب ٦ : ٤٠٦ .

(٣) قال أبو زرعة لأحمد بن حنبل من أثبت الناس فى عطاء فقال عمرو بن دينار وابن جريج . تاريخ أبى زرعة ١ : ٤٥٠ .

(٤) أظهر يعقوب بن عطاء صحيفة من أبيه قائلا " هذه التى سمع أبى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم . تاريخ التراث العربى د . فؤاد سزكين ١ : ٢٣٥ .

(٥) طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمى المكى . ضعفه العلماء . مات سنة ١٥٢ هـ . تهذيب التهذيب ٥ : ٢٤ .

(٦) حجاج بن محمد المصيصى الأعور . أبو محمد مولى سليمان بن مجالد ترمذى الأصل سكن بغداد . قال الإمام أحمد سمع من ابن جريج التفسير إملاء وقرأ بقية الكتب أى " قرأ كتب ابن جريج التى كتبها " من باب الوجادة " وثقه على بن المدينى والنسائى ومسلم والعجلى وابن حبان وغيرهم . وقيل تغير بآخره . مات سنة ٢٠٦ هـ ببغداد تهذيب التهذيب ٢ : ٢٠٥ .

الطرق فى تفسير عطاء عند ابن جرير كما ظهر لى بالاستقراء
ولقد ذكر الثعلبى [١] فى "الكشف والبيان" السند فى روايته
لتفسير عطاء واعتبره من مصادر تفسيره كما ذكر البغوى نفس
رجال السند فى تلقى تفسير عطاء، مع اختلاف يسير.

---

(١) وهو أبو اسحاق أحمد بن محمد النيسابورى.
قال الإمام بن تيمية: (الثعلبى هو فى نفسه كان فيه خير ودين لكنه حاطب ليل ينقل ما وجد فى كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع. ولا خبرة له بالصحيح والسقيم من الأحاديث ولا يميز بين السنة والبدعة فى كثير من الأقوال. انظر مقدمة أصول التفسير ص ٧٦. ومنهاج السنة النبوية ٤ : ٤ ودقائق التفسير ١ : ٨٥ - ١١٧ ، ومجموع الفتاوى ١٣ : ٣٥٤. وانظر: وفيات الأعيان ١ : ٧٩ - ٨٠.

وقد أشار إلى ذلك ابن تيمية رحمه الله : وقال " والبغوى تفسيره مختصر من الثعلبي لكنه صان تفسيره من الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة [1] ولقد استفاد الخازن [2] من تفسير البغوى والثعلبي [3] فذكر بعض أقوال عطاء .

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير لابن تيمية . ص ٧٦ .

(٢) الخازن : هو علاء الدين أبو الحسن علي بن إبراهيم . المعروف بالخازن . اشتهر بذلك لأنه كان خازنا للكتب . توفى سنة ٧٤١هـ.

(٣) أخذ الخازن تفسيره من تفسير البغوى واختصر أسانيده ، وزاد عليه زيادات كثيرة . وحشا تفسيره بكثرة القصص والأخبار الإسرائيلية التى أخذها من تفسير الثعلبي .

انظر : المفسرون بين التأويل والاثبات فى آيات الصفات . محمد بن عبد الرحمن المغراوى ٢ : ١٢٥ .

وعطاء في روايته عن شيخه قد يكون موافقا له في التفسير وقد يكون له قول آخر.[١] ورواية عطاء عن ابن عباس في سورتي البقرة وآل عمران فقط يكون عطاء الخراساني[٢] الا أن يصرح ابن جريج بأنه عطاء بن أبي رباح[٣] وعطاء الخراساني لم يسمع التفسير من ابن عباس. فتكون روايته عن ابن عباس منقطعة.[٤]

وعندما أذكر أقوال عطاء في التفسير سوف أستدل على ما يقوى أقوال عطاء ويؤيدها من الآيات والأحاديث النبوية ،وكذلك أذكر بعض التعليقات التي رأيت أنها تتناسب مع موضوع الحديث.

---

(١) انظر ص ١٥٧ من الرسالة.

(٢) سبقت له ترجمة ص (١٢).

(٣) نحو قول ابن جريج قلت لعطاء وسألت عطاء. وهذا وارد في تفسير ابن جرير الطبري.

(٤) ذكر ابن حجر ذلك في كتابه أسباب النزول ونقله عنه السيوطي في الدر المنثور ٧: ٧٠٠. وانظر: الفتح ٨: ٦٦٧ ، ٩: ٤١٨.

الفصل الأول
منهج عطاء بن أبي رباح في التفسير

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تفسير عطاء القرآن بالقرآن

المبحث الثاني : تفسير عطاء القرآن بالسنة

المبحث الثالث : رواية عطاء التفسير عن الصحابة

المبحث الرابع : تفسير عطاء القرآن باللغة



المبحث الأول

تفسير عطاء القرآن بالقرآن

من القواعد الأساسية الأولى المعتمدة عند علماء التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن[١] فلابد للمفسر أن يستحضر معاني آيات الكتاب العزيز. ويفسر القرآن بالقرآن إن وجد . فقد يصرح بالاستشهاد بالآية وقد لا يصرح ولكنه يأخذ تفسيره للآية من آية أخرى فيما يترجح . ولقد أخذ عطاء بهذا المنهج فجاء في تفسيره مايدل عليه من القرآن ويؤيده ويشهد له[٢] وهذه بعض الأمثلة على ذلك.

المثال الأول:

قال الله تعالى (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون)[٣] قوله تعالى (أو كلما عاهدوا عهدا) قال عطاء هي العهود التي كانت بين رسول الله صلى الله

---

(١) سبق الإشارة إليه انظر: ص ١٧ من نفس الرسالة.
(٢) انظر: السنن الكبرى للبيهقي : كتاب الحج باب من أحب أن يأخذ من شعر لحيته وشاربه ٥ : ١٠٤. وأخبار مكة للفاكهي ١ : ٣٩٨.

(٣) البقرة: ١٠٠.

عليه وسلم وبين اليهود أن لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوا كفعل بني قريظة والنضير[١] وقول عطاء يدل عليه قول الله تعالى (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة)[٢] وهو قول أكثر المفسرين منهم ابن عباس ومجاهد والبغوى[٣] وفي هذا المثال يتبين تفسير عطاء القرآن بالقرآن مع أنه لم يصرح بالاستشهاد بالآية .

المثال الثاني :

قال الله تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)[٥] في قوله تعالى (والذين اتبعوهم بإحسان) قال عطاء : هم الذين يذكرون المهاجرين والأنصار بالرحمة عليهم والدعاء . يذكرون محاسنهم ويسألون الله أن يجمع بينهم وبينهم[٦] وتفسير عطاء يؤيده قوله تعالى ويشهد له . قال الله تعالى (والذين تبوءو

---

(١) تفسير البغوي ١:٩٨
(٢) الأنفال : ٥٦ .
(٣) تفسير ابن الجوزى - ١ : ١٢٠ - ٣ : ٣٧٢ .
(٤) انظر: تفسير: ابن جرير الطبرى - ١ : ٤٤٢ ، ١٠ : ٢٥ . انظر: تفسير البغوى - ١ : ٩٧ ، ٩٨ - ٢ : ٢٥٧ والدر المنثور ٤ : ٨١
(٥) التوبة : ١٠٠ .
(٦) انظر: تفسير الثعلبي ، ٢ : ٧٩ - ورقة ب وتفسير الخازن بهامشه تفسير البغوى - ٣ : ١٤٠ وتفسير ابن الجوزى - ٣ : ٤٩١ .

الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)[١] وبهذا المثال يتضح تفسير علماء القرآن بالقرآن.

المثال الثالث:

قال الله تعالى (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت...)[٢]

---

(١) الحشر: ٩ - ١٠.

(٢) الرعد: ٣٣.

قال عطاء: الله قائم بالقسط والعدل[1] وتفسير عطاء يؤيده قول الله تعالى (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم)[2] ويؤيد قول عطاء أيضا قول الله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون)[3] وقول الله تعالى (وتمت كلمت ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم)[4] وبنحو قول عطاء قال ابن عباس والضحاك وقتادة[5] ومن الآيات التى ذكرت يتبين أن قول عطاء فى قوله تعالى (قائم) معناه الله قائم بالقسط والعدل. أى وصف قيامه سبحانه وتعالى بالقسط والعدل وهذا تفسير القرآن بالقرآن. ومعنى قيامه على كل نفس أى يتولى أمرها. كما يدبر الله سبحانه وتعالى شؤون خلقه بالعدل والحكمة يقدر أرزاقهم وآجالهم وهو عالم بهم يحصى أعمالهم ويجازيهم عليها. رقيب وحفيظ عليهم لا يعزب عنه شئ من أمرهم.[6]

المثال الرابع:

قال الله تعالى (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم

---

(١) الدر المنثور - ٤ : ٦٥٥. وانظر: تفسير الماوردى - ٢ : ٣٢٢ - تفسير الشوكانى - ٣ : ٨٦.
(٢) آل عمران : ١٨.
(٣) النحل : ٩٠.
(٤) الأنعام : ١١٥.
(٥) انظر: تفسير ابن جرير الطبرى - ١٣ : ١٥٨ - ١٥٩ وتفسير القرطبى - ٩ : ٣٢٢.
(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطبرى - ١٣ : ١٥٨ وتفسير الجوزى - ٤ : ٣٢٣ وتفسير ابن كثير - ٢ : ٥١٦.

وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون)[١] قال عطاء[٢] في قوله تعالى (لمعزولون) ((عن سماع القرآن لمحجوبون لأنهم يرجمون بالنجوم))[٢] فتفسير عطاء تفسير القرآن بالقرآن فقد علل عدم سماعهم للوحي بسبب أنهم يقذفون بالنجوم[٣] قال الله تعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين)[٤] وبقول عطاء قال البغوى والخازن والقرطبي وابن كثير والشوكاني .[٥]

المثال الخامس :

قال الله تعالى (فلما أتاها نودى من شاطئ الوادى الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين)[٦] قال عطاء في قوله تعالى (البقعة المباركة) (يريد المقدسة)[٧] وقول عطاء استشهاد وتفسير بالقرآن . قال الله تعالى (ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين) .[٨] وهذه البقعة من الأرض

---

(١) الشعراء : ٢١٢ .
(٢) تفسير الجوزى - ٦ : ١٤٧ .
(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبرى - ١٩ : ١١٨ .
(٤) الملك : ٥ .
(٥) انظر: تفسير الخازن بهامشه تفسير البغوى - ٥ : ١٢٦ وتفسير القرطبي ١٠ : ١٠ ، ١٤٢ . وتفسير ابن كثير ٣ : ٣٤٩ - وتفسير الشوكاني - ٤ : ١١٩ .
(٦) القصص : ٣٠ .
(٧) تفسير البغوى - ٣ : ٤٤٤ .
(٨) المائدة : ٢١ .

تباركت وتقدست بسبب تكليم الله سبحانه وتعالى موسى عليهما وبعثه نبيا[١] وقول عطاء مثل قول ابن عباس[٢] وبه قال الماوردى وابن الجوزى.[٣]

المثال السادس :

قال الله تعالى (ياعبادى الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون)[٤] في قوله تعالى (إن أرضى واسعة) قال عطاء: "إذا دعيتم إلى معصية فاهربوا ثم قرأ قوله تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)[٥] ففى قوله تعالى (إن أرضى واسعة) لم يصرح بطلب الهجرة. فقول عطاء تفسير بما ورد نصه في الآية التي استشهد بها وفيها طلب الهجرة (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها).

وبنحو قول عطاء قال سعيد بن جبير ومجاهد وابن جرير الطبرى والقرطبى والشوكانى[٦] كما ذكرت الأرض بأنها واسعة وقرن معها ذكر الصبر قال الله تعالى (قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة

---

(١) تفسير ابن الجوزى - ٦ : ٢١٨. تفسير ابن كثير ٢: ٢٧
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم عن ابن عباس انظر: تفسير الشوكانى - ٣: ٣٦١.
(٣) تفسير الماوردى - ٣: ٢٢٧ تفسير ابن الجوزى - ٦: ٢١٨.
(٤) العنكبوت : ٥٦.
(٥) النساء: ٩٧ وانظر: تفسير ابن كثير - ٤ : ٤٨.
(٦) انظر: تفسير ابن جرير الطبرى - ٢١ : ٩-١٠ ، ٢٣ : ٢٠٣ وتفسير الماوردى - ٣: ٢٥٢ . وتفسير البغوى ٣: ٤٧٢ وتفسير القرطبى - ١٣ : ٣٥٧ والدر المنثور - ٦: ٤٧٤ وتفسير الشوكانى - ٤: ٢١٠.

إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين)[1] وفي هذه الآية الكريمة طلب تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى بإخلاص الدين له وحده. فإذا خاف المؤمن على دينه فليهاجر ويترك الأرض التي يعيش عليها إذا كان فيها أمر بالمعصية والمنكر. صحيح أن ترك الوطن أمر عزيز على النفس. ولهذا نبهت إليه الآية بطريق الإشارة. ووعد الله سبحانه بالمثوبة الحسنى والجزاء بغير حساب لمن صبر وتحمل المشاق في سبيل عقيدته ومنهجه الإسلامي الراشد.

المثال السابع:

قال الله تعالى (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ماكنتم تكسبون)[2] أخرج الثعلبي في قوله تعالى (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب) عن عطاء قال (يرمى مكبوبا في النار ← فأول شيء تمس منه النار وجهه)[3] فقول عطاء تفسير بما جاء به القرآن وهو هنا كما عرفنا عنه يستحضر معنى قوله تعالى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ماكنتم تعملون)[4] ويقول عطاء

---

(١) الزمر: ١٠ - ١١.
(٢) الزمر: ٢٤.

(٣) الكشف والبيان للثعلبي مخطوط ١١٧ : ١٥٦ ورقم م

(٤) النمل: ٩٠.

قال ابن زيد ومقاتل وبنحوه قال مجاهد وقال ابن جرير الطبري : قال آخرون هو أن ينطلق به إلى النار مكتوفا ثم يرمى به فيها : فأول ما تمس النار وجهه. وهذا قول يذكر عن ابن عباس من وجه كرهت أن أذكره لضعف سنده.[١]

قال ابن الجوزي وجاء في التفسير أن الكافر يلقى في النار مغلولا ولا يتهيأ له أن يتقيها إلا بوجهه.[٢] ويؤيد قول عطاء ومن قال بمثل قوله،قوله تعالى (خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه ...)[٣] وفي قوله تعالى (ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) يمكن القول بأنه خص ذكر الوجه في بداية العذاب. لعظيم جرم الكافر في عدم الإيمان بالله والسجود له والذى هو أكمل مظهر للعبودية ولأن أكرم ما في صورة الإنسان وجهه. فبدأ به زيادة له في الإهانة والتحقير والله سبحانه وتعالى أعلم.

المثال الثامن :

قال الله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون)[٤] في

---

(١) قول ابن جرير: (لضعف سنده) دلالة على أنه ينتقي أحسن الروايات في الغالب. تفسير ابن جرير - ٢٣ : ٢١٢ - وانظر: الدر المنثور - ٧ : ٢٢٣.
(٢) تفسير ابن الجوزي - ٧ : ١٧٨.
(٣) الحاقة: ٣٠ - ٣٢.
(٤) الزمر: ٦٩.

قوله تعالى (الشهداء) قال عطاء: يعني الحفظة[١] وقول عطاء يدل عليه قوله تعالى (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد)[٢] وقول عطاء بأن (الشهداء) هم الحفظة أي الموكلون ببني آدم وهم الكرام الكاتبون الذين يكتبون أعمال بني آدم. وهم الشهداء بذلك عليهم وهذا تفسير القرآن بالقرآن وبنحو قول عطاء قال عثمان ابن عفان رضي الله عنه والحسن ومجاهد وابن السائب[٣] وبقول عطاء قال مقاتل[٤] وابن زيد[٥] وابن كثير.[٦]

المثال التاسع :

في قول الله تعالى (سندع الزبانية)[٧] عن عطاء قال : هم الملائكة الغلاظ الشداد[٨] فقول عطاء تفسير بما ورد في القرآن قال الله تعالى (ياأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)[٩] ومثل قول عطاء قال ابن

---

(١) انظر: تفسير البغوى - ٤ : ٨٨ وتفسير ابن الجوزى - ٧ : ١٩٨ ، ٨ : ١٣ وانظر : الدر المنثور - ٨ : ٥٦٥ .
(٢) سورة ق : ٢١ .
(٣) تفسير ابن الجوزى - ٨ : ١٣ .
(٤) تفسير الألوسى - ٢٤ : ٣١ .
(٥) تفسير القرطبى - ٢٤ : ٣١ .
(٦) تفسير ابن كثير ٤ : ٦٤ .
(٧) العلق : ١٨ .
(٨) تفسير ابن الجوزى - ٩ : ١٧٩ .
(٩) التحريم: ٦ .

عباس[١] ومجاهد والضحاك وقتادة[٢] والزجاج[٣] والماوردي[٤] وابن كثير[٥] والشوكاني.[٦]

ومن تلك الأمثلة السابقة اتضح تفسير عطاء القرآن بالقرآن وأن هذا من منهجه في التفسير.

---

(١) تفسير القرطبي - ٢٠ : ١٢٦.
(٢) تفسير ابن جرير الطبري - ٣٠ : ٢٥٧.
(٣) تفسير البغوي - ٤ : ٥٠٨.
(٤) تفسير الماوردي - ٤ : ٤٨٦.
(٥) تفسير ابن كثير - ٤ : ٥٢٨.
(٦) تفسير الشوكاني - ٥ : ٤٧٠.

المبحث الثاني

تفسير عطاء القرآن بالسنة

من أهم أصول التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن كما سبق فإن لم يوجد فيبحث عن التفسير بالسنة المطهرة . ولقد أخذ عطاء بهذا المنهج . فقد ذكر الإمام النووى القول عن الإمام الشافعى رحمه الله : " ليس فى التابعين أحد أكثر اتباعا للحديث من عطاء "[1]. قال عطاء فى قوله تعالى : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)[2] قال : أولو العلم والفقه ، وطاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة .[3]

وعطاء أحد حفاظ الحديث من الطبقة الثانية له معرفة بأصل الحديث وورود ه[4] وروايته .[5] فقد ذكر ابن جرير الطبرى قال حدثنا محمد المخرمى قال سمعت الحسن[6] يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم . إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف،

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١ : ٣٣٢ . وانظر : كتاب المعين فى طبقات المحدثين للذهبى ص ٤٠ . وانظر : مَنْ اسمه عطاء من رواة الحديث للطبرى ص ٤٣ .

(٢) النساء : ٥٩ .

(٣) سنن الدارمى ١ : ٧٢ .

(٤) انظر : كتاب البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث لابن حمزة الحسينى . ١ : ٢١٣ ، ٢ : ٣٨ - ٨٥ - ١٤٦

(٥) الكاشف فى أسماء الرجال للذهبى ٢ : ٢٦٥ .

(٦) المراد الحسن البصرى .

وإذا اؤتمن خان)[١] فقلت للحسن ياأبا سعيد لئن كان لرجل على دين فلقيني فتقاضاني وليس عندي[٢] وخفت أن يحبسني ويهلكني[٣] فوعدته أن أقضيه رأس الهلال[٤] فلم أفعل أمنافق أنا .. ؟ قال هكذا جاء في الحديث .. قلت ياأبا سعيد ويكون ثلث الرجل منافقا وثلثاه مؤمن ؟ قال هكذا جاء الحديث . قال فحججت فلقيت عطاء بن أبي رباح فأخبرته الحديث الذي سمعته من الحسن والذي قلت له . فقال لي : أعجزت أن تقول له:أخبرني عن إخوة يوسف أمنافقين كانوا ؟ ألم يكونوا أنبياء ؟ [٥] أبوهم نبي وجدهم نبي ؟ قال:فقلت لعطاء:ياأبا محمد حدثني بأصل النفاق وبأصل هذا الحديث فقال : حدثني جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قال هذا الحديث في المنافقين خاصة الذين حدثوا النبي فكذبوه وأتمنهم على سره فخانوه ووعدوه أن يخرجوا معه في الغزو فأخلفوه،وأنزل الله في المنافقين (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا

---

(١) أصل الحديث بدون القصة في صحيح البخاري عن أبي هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب واذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان) . كتاب الأدب . باب قوله تعالى : (وكونوا مع الصادقين)وما ينهى عن الكذب . ٧ : ٩٥

(٢) أي طلب مني سداد الدين .

(٣) أي يؤذيني .

(٤) أي أول الشهر .

(٥) وهو قول ابن زيد . انظر:تفسير الطبري ١٢ : ١٥٢ . وتفسير الدر المنثور ٤ : ٤٩٩ .

وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون).[١] فإذا لقيت الحسن فأقرئه السلام وأخبره بأصل الحديث وبما قلت لك . قال فقدمت على الحسن فقلت يا أبا سعيد إن أخاك عطاء يقرئك السلام . فأخبرته بالحديث الذى حدث وماقاله لى عطاء . فأخذ الحسن بيدى فأمالها وقال : ياأهل العراق أعجزتم أن تكونوا مثل هذا سمع منى حديثا فلم يقبله حتى استنبط أصله . صدق عطاء . هكذا الحديث وهذا فى المنافقين خاصة .[٢] وفى هذه الرواية مايدل على أخلاق العلماء فى الرجوع الى الحق . وأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها كان أحق بها .

قال النووى : فى هذا الحديث قد توجد هذه الصفات فى المسلم وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد فى النار .

والذى عليه المحققون (أن معناه أن هذه خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين فى هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم).[٣]

---

(١) التوبة : ٧٥ ، ٧٧ .
(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ١٠ : ١٩٣ باختصار . وانظر صحيح مسلم بشرح النووى . باب خصال المنافق ٢ : ٤٦ . وانظر تفسير الخازن ٣ : ١٢٧ .
(٣) شرح النووى على صحيح مسلم ٢ : ٤٦ .

قال ابن حجر: (إن تسميته بالمنافق من باب المجاز.أى صاحب هذه الخصال كالمنافق. وهو بناء على أن المراد بالنفاق نفاق الكفر.[١] وهذا القول موافق لدليل عطاء بأن هذه الخصال حصلت من إخوة يوسف عليه السلام. وليس هم بمنافقين ولقول العلماء إن هذا الحديث ورد فى شخص معين[٢] أو فى حق المنافقين فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وهو ما استدل به عطاء من قول جابر بن عبد الله (إنما هذا الحديث فى المنافقين خاصة). وقول عطاء حجة.[٣] والقول فى سبب ورود الحديث روى عن ابن عمر وابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم.

قال النووى: وهو قول جماعة من العلماء منهم سعيد بن جبير وعطاء ورجع إليه الحسن. وقال القاضى: عياض: وإليه مال الكثير من أئمتنا[٤] فى المراد من الحديث أن هذه صفات

---

(١) الفتح ١: ٨٩.

(٢) وحكى الخطابى رحمه الله أيضا عن بعضهم أن الحديث ورد فى رجل بعينه منافق وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وإنما كان يشير إشارة كقوله صلى الله عليه وسلم: (ما بال أقوام يفعلون كذا). وهذه طريقة فى التربية والتوجيه النبوى فى إغفال اسم من كان بسببه ورود الحديث أو غيرهم.
انظر: صحيح مسلم كتاب الإيمان. باب خصال المنافق ١: ٧٨
وانظر: البيان والتعريف فى أسباب ورود الحديث الشريف ابن حمزة الحسينى ١: ١٠ باختصار. وانظر: كتاب صفات المنافقين جعفر بن محمد الفريابى.

(٣) قول الذهبى: عطاء حجة بالإجماع إذا أسند (وإذا صح السند إليه لا دائما). تاريخ الإسلام ٤: ٢٧٨.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووى ٢: ٤٦.

وعلامات على المنافق من أهل الكفر .

وفي الحديث تحذير للمسلم وإنذار له من الاتصاف بهذه الصفات والأخلاق التي لا تليق به . وقد يقال إن النفاق نوعان : نفاق اعتقاد ، ونفاق عمل . فهذا نفاق عمل .[١]

بقي في الحديث سؤال مضمونه وهل حقا كان أخوة يوسف أنبياء ؟ والجواب: إنه قول ضعيف كما قال القرطبي وابن كثير[٢] وهو القول المختار،وهذا مثال في معرفة عطاء سبب ورود الحديث وأصله .

وإليك الأمثلة على تفسير عطاء القرآن بالسنة .

المثال الأول :

قال الله تعالى : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين) .[٣]

أخرج عبد الرزاق[٤] والخرائطي[٥] والبغوي[٦] عن عطاء

---

(١) شرح النووي لصحيح مسلم ٢ : ٤٦ . وانظر الفتح ١ : ٩٠ .
(٢) تفسير القرطبي ٩ : ١٢٧ . تفسير ابن كثير ٢ : ٤٦٩ - ٤٧٠ .
(٣) البقرة : ٢٢٣ .
(٤) تفسير عبد الرزاق ١ : ٩٠ .
(٥) في مكارم الأخلاق ص ٩٦ .
(٦) تفسير البغوي ١ : ١٩٩ .

فى قوله تعالى : (وقدموا لأنفسكم) قال التسمية عند الجماع .

وأخرج ابن جرير الطبرى بسنده عن عطاء فى قوله تعالى (وقدموا لأنفسكم) قال أراه[(١)] عن ابن عباس قال : (التسمية عند الجماع يقول باسم الله) .[(٢)]

وقول ابن عباس وعطاء متابع لما ورد فى الحديث الصحيح . فقد أخرج الإمام البخارى[(٣)] ومسلم[(٤)] وغيرهما[(٥)] عن ابن عباس قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما لو أن أحدهم[(٦)] يقول حين يأتى أهله : بسم الله اللهم جنبنى الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا[(٧)] ثم قدر بينهما فى ذلك أو

---

(١) وفى هذه الرواية تصريح من عطاء بموافقة شيخه .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ٤ : ٣٩٩ .

(٣) صحيح البخارى . كتاب النكاح . باب مايقول الرجل إذا أتى أهله . ٦ : ١٤١ .

(٤) صحيح مسلم . كتاب النكاح . باب مايستحب أن يقال عند الجماع . ٢ : ١٠٥٨

(٥) انظر الدر المنثور ١ : ٦٤٠ .

(٦) وفى الرواية التى ذكرها السيوطى فى الدر المنثور (أحدكم) ١ : ٦٤١ .

(٧) (مارزقتنا) باعتبار ماسوف يرزقانه فكان يُرجى إن حملت أن يكون ولدا صالحاً .
الفتح ٩ : ٢٢٩ .

قضى ولد لم يضره[1] شيطان أبدا) .[2]،[3]

---

(١) اختلف في نوع الضرر الحاصل من الشيطان لمن أتى أهله ولم يسم . قيل يسلط عليه بالوسوسة والإغواء وغيره . وقيل لم يضره في بدنه ودينه ، وقيل لم يطعنه في بطنه عند ولادته ، وقيل لم يضره بمشاركة أبيه في الجماع لأمه كما جاء عن مجاهد ، قال ابن حجر : ولعل هذا أقرب الأجوبة . الفتح ٩ : ٢٢٩ .

(٢) قال ابن قيم الجوزية : .... الدعاء من أنفع الأدوية برفع البلاء ويعالجه ويمنع نزوله أو يخففه .(أ) وهو سلاح المؤمن . ومن أقوى الأسباب في دفع المكروه واستجلاب الرحمة وحصول المطلوب . فمتى وفق الله العبد للدعاء وتحققت أسباب إجابة الدعاء وانتفت موانعه كان الدعاء سببا في دفع الضرر .(ب) وقد يسمى المجامع ويستعيذ ولكن توجد موانع تقضي إبطال السبب أو ضعفه فلا يتحقق المطلوب .(ج)

(٣) ومن فوائد هذا الحديث استحباب التسمية والدعاء والمحافظة على ذلك حتى في حالة الملاذ كالوقاع ، والاعتصام بذكر الله تعالى والتبرك باسمه والاستعاذة بالله من الشيطان ومن كل سوء وفي الحديث استشعار بأنه الميسر لذلك العمل والمعين عليه . كما يفيد بأن الشيطان ملازم لبني آدم لا ينطرد عنه إلا بذكر الله تعالى وفيه رد على من منع المحدث أن يذكر الله تعالى . الفتح ٩ : ٢٢٩ . بتصرف

(أ) أي يحصل اللطف في القضاء وقد يصرف عنه أعظمه .

(ب) الجواب الكافي ص ١٢ - ١٤ .

(ج) تيسير العلام ١ : ٢٢٤ .

المثـــال الثـــانى :

فى قوله تعالى : (ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم)[١] .

أخرج ابن جرير الطبرى عن عطاء فى قوله تعالى (السبع المثانى) قال : أم القرآن[٢] وقول عطاء فى تفسير قوله تعالى (آتيناك سبعا من المثانى) بأم القرآن تفسير بما وردت به السنة

---

(١) الحجر : ٨٧ .
(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ١٤ : ٥٧ .

بالنص . وهذا دليل قوى . لتفسير عطاء القرآن بالسنة .
فقد أخرج الإمام البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أم القرآن هى السبع
المثانى والقرآن العظيم) .[١] وقيل سميت بأم القرآن لاشتمالها
على ذكر المبتدأ والمعاد والمعاش . وسميت أيضا بأم الكتاب
لأنه يبدأ بكتابتها فى المصاحف وهى تقدمه كأنها تؤمه .
ولفضلها فرضت قراءتها فى كل ركعة فى الصلاة .[٢]

المثال الثالث:

قال الله تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى
صلاتهم خاشعون) .[٣]

أخرج ابن جرير الطبرى عن عطاء فى قوله تعالى :
(خاشعون) قال (التخشع)[٤] (هو أن لاتعبث بشئ من جسدك
فى الصلاة) .[٥] وفى رواية وصف عطاء الخاشع فى صلاته
بقوله : . . . ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله
فهو داخل فى قوله تعالى : (والخاشعين والخاشعات) .[٦]،[٧]

---

(١) صحيح البخارى . كتاب التفسير . سورة الحجر . باب قوله تعالى : (ولقد آتيناك من المثانى والقرآن العظيم) ٥: ٢٢٢ .
(٢) الفتح ٨ : ١٥٥ .
(٣) المؤمنون : ١ .
(٤) تفسير ابن جرير الطبرى ١٨ : ٣ .
(٥) تفسير البغوى ٣ : ٣٠٢ .
(٦) الأحزاب : ٣٥ .
(٧) تفسير البغوى ٣ : ٥٣٠ . وتفسير الخازن ٣ : ٤٦٧ .

وقول عطاء في معنى الخشوع يشهد له ما جاء في السنة روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال : (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه)[١] وفي هذا الحديث النبوي بين أن الخشوع من أعمال القلب. وأن سكون الجوارح دليل على خشوع القلب وخشيته. وهذه الصفات من أهم علامات الإيمان ومن تمام الصلاة وكمالها .

ولقد ذكر هذا الحديث الحافظ ابن حجر وقال : " وأما حديث (لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه) ففيه إشارة إلى أن الظاهر عنوان الباطن[٢] يعني أن ما في القلب يظهر أثره على الوجه والجوارح ، فإذا خشع القلب سكنت الجوارح معه وهذا معنى قول عطاء.

ويؤيد قول عطاء أيضا الحديث الذي أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن جابر بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (مالي آراكم رافعي أيديكم

---

(١) هذا الحديث لم أجده في كتب أصحاب السنن وذكره البغوي في تفسيره والقرطبي في تفسيره ١٢ : ١٠٣ . كما ذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ، وسكت عنه وذكره السيوطي في جمع الجوامع ١ : ١٦٦ . وفي الجامع الصغير ٢ : ١٣٠ . وذكر أن الحكيم الترمذي أخرجه في نوادر الأصول كما رمز إلى ضعف سنده . وذكر الحديث أيضا الأمير الصنعاني في سبل السلام ١ /١٤٧ . والألوسي في روح المعاني ١٨ : ٣ . ومعنى الحديث صحيح .

(٢) الفتح ٢ : ٢٢٥ . وانظر مجموع الفتاوى ٧ : ٢٨ .

كأنها أذناب خيل شمس[١] اسكنوا في الصلاة . .)[٢] . قال النووي : " في الحديث الأمر بالسكون في الصلاة والخشوع فيها والإقبال عليها . . . "[٣] .

قال ابن فارس : (والسكون : ذهاب الحركة)[٤] وهو معنى قول عطاء : لا تعبث بشيء من جسدك في الصلاة . ويؤيد قول عطاء ويشهد له مارواه البيهقي[٥] بإسناد صحيح عن مجاهد قال : كان ابن الزبير اذا قام في الصلاة كأنه عود[٦] وحدث أن أبا بكر الصديق كان كذلك .[٧]

وفي رواية الامام أحمد في فضائل الصحابة . حدثنا عبد الرزاق قال : أهل مكة يقولون : أخذ ابن جريج الصلاة من

---

(١) (شمس) هو باسكان الميم وضمها . وهي التي لا تستقر بل تضطرب وتتحرك بأذنابها وأرجلها . والمراد بالرفع المنهي عنه هنا رفع أيديهم عند السلام مشيرين إلى السلام من الجانبين . شرح النووي على صحيح مسلم ٤ : ١٥٣ .

(٢) صحيح مسلم . كتاب الصلاة . باب الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد ورفعها عند السلام ١: ٣٢٢ أخرجه أبو داود في السنن . كتاب الصلاة . باب السلام . وانظر : عون المعبود ٣ : ٣٠٠ . وأخرجه النسائي . كتاب السهو باب السلام بالأيدي في الصلاة . سنن النسائي بحاشية السيوطي والسندي ٣ : ٤ .

(٣) النووي على مسلم ٤ : ١٥٤ .

(٤) مجمل اللغة .(سكن) ٢ : ٤٦٨ .

(٥) انظر السنن الكبرى . باب الصلوات . تحسين الصلاة والاكثار منها ٣: ١٤٦ .

(٦) انظر : فضائل الصحابة ١ : ٢٠٧ . وحلية الأولياء ١ : ٢٣٥ . والإسناد صحيح إلى مجاهد كما ذكر ابن حجر .

(٧) الفتح ٢ : ٢٢٦ .

عطاء وأخذ عطاء من ابن الزبير وأخذها ابن الزبير من أبي بكر وأخذها أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم[١] ورسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل ، وجبريل عن الله عز وجل .[٢]

المثال الرابع :

قال الله تعالى : (واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)[٤] .

ففي قوله تعالى : (واقصد في مشيك) قال عطاء : امش بالوقار والسكينة .[٥] وقول عطاء ورد مايؤيده من قول الله

---

(١) فضائل الصحابة للامام أحمد ١ : ٢٠٨ . وإسناده صحيح قاله المحقق .

(٢) أخرجه الخطيب في تاريخه ١٠ : ٤٠٤ ، بإسناده عن الإمام أحمد وأبوبكر المروزي في مسند أبي بكر ص ١٧١ . والبيهقي في شعب الإيمان ٣ : ١٤٧ . انظر: فضائل الصحابة ١ : ٢٠٨

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١٨ : ٣ .

(٤) لقمان : ١٩ .

(٥) انظر: تفسير البغوي ٣ : ٤٩٣ . وتفسير ابن الجوزي ٦ : ٣٢٣ . وتفسير الشوكاني ٤ : ٢٣٩ .

تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) [١] . ويؤيد قول عطاء أيضا ماوردت به السنة بالنص فقد أخرج الإمام البخارى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :"إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون عليكم السكينة فما أدركتم فصلوا ومافاتكم فأتموا [٢] ومعنى السكينة عدم الإسراع فى المشى وإن كان الأمر بالسكينة هنا خاصا بالصلاة إلا أن العموم يفهم من الآية الكريمة (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) وإذا كان المقصود مطلوباً فى المشى عامة فالمشى (هونا) للصلاة يكون من باب أولى . وورد التوجيه الخاص بالمشى بالسكينة والوقار للصلاة للدلالة على أهمية الصلاة ولأنها من أفضل الأعمال . وفى الآية الكريمة والحديث النبوى توجيه للمسلم بالمشى على الأرض بسكينة ووقار وترك الإسراع فى المشى . فإن ذلك يدفع إلى اطمئنان النفس وهدوء التفكير وخاصة عندما يذهب المسلم إلى الصلاة . إذ لابد أن يدخل فى الصلاة ببشر وطلاقة وجه ، ولأن الإسراع يلحق بالنفس التعب ويضيق النفس، وهو ينافر التهيؤ والخشوع للصلاة . [٣]

---

(١) الفرقان : ٦٣

(٢) صحيح البخارى . كتاب الجمعة . باب المشى إلى الجمعة ١ : ٢١٧ .

(٣) الفتح ٢ : ٣٩٠ ، ٣٩٢ باختصار .

المثال الخامس :

قال الله تعالى : (هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما) .[(١)]

أخرج ابن مردويه عن عطاء في قوله تعالى : (هو الذى يصلى عليكم ...) . قال : (صلاته على عباده سبوح قدوس تغلب رحمتى غضبى) .[(٢)] وتفسير عطاء هو ماوردت به السنة . فقد أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه[(٣)] عن عطاء عن أبى هريرة رضى الله عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " قلت لجبريل عليه السلام هل يصلي ربك ؟ قال نعم . قلت : وماصلاته ؟ قال : سبوح قدوس سبقت رحمتى غضبى)[(٤)] فقول عطاء في معنى الصلاة من الله تعالى على عباده موافق لما ورد في السنة .

المثال السادس :

أخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن

---

(١) الأحزاب : ٤٣ . (٢) الدر المنثور ٦ : ٦٢٢

(٣) الدر المنثور ٦ : ٦٢٣ . وانظر : تفسير الماوردى ٣ : ٣٣٠ . وتفسير ابن كثير ٣ : ٥٠٦ . وتفسير الشوكانى ٤ : ٣٠١ .

(٤) ذكر الإمام مسلم في صحيحه طرفا منه في آخر الحديث : عن أبى هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده ، أن رحمتى تغلب غضبى وفى رواية " سبقت رحمتى غضبى . صحيح مسلم . كتاب التوبة . باب سعة رحمة الله وأنها تغلب غضبه ٤ : ٢١٠٧ كما ذكره الإمام أحمد في مسنده ، برواية (قال الله سبقت رحمتى غضبى) . ٢ : ٢٤٢ .

عطاء فى قوله : ﴿وأنت حل بهذا البلد﴾[١] . قال إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة من نهار ولا يختلى خلالها ولا يعضد عضاهها[٢] ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها إلا لمعرف[٣] وقول عطاء فى تفسير كلمة (حل) هو تفسير بما ورد[٤] فى السنة الصحيحة .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى وإنما أحلت لى ساعة من نهار[٥] لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ، ولا ينفر صيدها[٦] ، ولا تلتقط

---

(١) البلد : ٢
(٢) أى لا يقطع شجرها ولا شوكها القاموس المحيط ١ : ٢١٤ (عضد) ٤ : ٢٨٨ (عضه)
(٣) الدر المنثور ٨ : ٥١٨ . وانظر تفسير ابن جرير الطبرى ٣٠ : ١٩٥ .
(٤) والحديث الذى ورد عن عطاء ورد مرفوعا عن ابن عباس .
(٥) أى فى وقت فتح مكة و(هو مابين أول النهار ودخول وقت العصر) الفتح ٤ : ٦٢ .
(٦) خلاها بفتح الخاء . أى لا يقطع ويؤخذ الرطب من الكلأ .

ولا يعضد شجرها : أى لا تقطع أشجارها التى لا يستنبتها الآدميون . ولا يضرب شجرها بالعصا ونحوه حتى لا يسقط ورق شجرها . وفى رواية : ولا يعضد شوكها . أى يقطع شوكها إلا عند تعين مضرته قياسا على قتل الفواسق فى الحرم .

ولا ينفر صيدها : أى إزعاجه وتنحيته من موضعه . ومن باب أولى صيده . فحرام صيده بإجماع العلماء . ومن قتله فعليه الجزاء .

انظر : صحيح مسلم بشرح النووى : كتاب الحج باب تحريم مكة ٩ : ١٢٥ .

لقطتها إلا لمعرف . [(١) ، (٢)] وقوله تعالى : (لا أقسم بهذا البلد) [(٣)]
يقسم الله سبحانه وتعالى بمكة تنبيها على رفعة مكانتها
وحرمتها [(٤)] ولله سبحانه وتعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته
وليس لأحد من خلقه أن يقسم إلا بالله تعالى .

وبهذا المثال يتضح منهج عطاء في
تفسير القرآن بالسنة إن وجدت والله أعلم .

المثال السابع :

في قوله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر) [(٥)] أخرج ابن
جرير الطبري عن عطاء لما سئل عن الكوثر قال حوض أعطيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم [(٦)] ويؤيد قول عطاء ماروى في

---

(١) اللقطة : بفتح القاف . وقيل بإسكانها . وهي الملقوط من مال ومتاع ونحوه ومعنى ذلك أنه لا تحل لقطة الحرم إلا لمن يريد أن يعرفها ولا يملكها عند الإمام الشافعي . وقال مالك يجوز تملكها بعد سنة من تعريفها . صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الحج باب تحريم مكة ٩ : ١٢٣ .

(٢) هذا الحديث متفق عليه أخرجه البخاري ومسلم بألفاظ متقاربة . انظر صحيح البخاري . كتاب جزاء الصيد . باب لا ينفر صيد الحرم . ٢ : ٢١٢ . وصحيح مسلم . كتاب الحج . باب تحريم مكة ٢ : ٩٨٦

(٣) البلد : ١

(٤) تفسير ابن كثير ٤ : ٥١١ باختصار .

(٥) الكوثر : ١ .

(٦) انظر تفسير ابن جرير الطبري ٣ : ٣٢٣ . وتفسير الماوردي ٤ : ٥٣١ . وتفسير ابن الجوزي ٩ : ٢٤٩ . وتفسير القرطبي ٢ : ٢١٧ . وتفسير الشوكاني ٥ : ٥٠٢ .

صحيح مسلم . عن أنس بن مالك قال : بينا[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة[2] ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يارسول الله ؟ قال : أنزلت على آنفا سورة . فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر)[3] . (ثم قال أتدرون ما الكوثر ؟ فقلنا الله ورسوله أعلم . قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة) .[4] والذى بينته السنة أن المراد بالكوثر هو النهر الذى يصب فى الحوض فهو مادة الحوض.

وأخرج الإمام البخارى عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف قلت: ماهذا ياجبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى أعطاك ربك . . .)[5]

قال ابن حجر: " ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه نهر الكوثر ، وجاء إطلاق الكوثر على الحوض. وقد اشتهر

---

(١) أى وقت .

(٢) أى أخذه النعاس ونام وقتا يسيرا .
القاموس المحيط ٤ : ٢٧٥ . وانظر: مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص ٥٢٤ . (٣) الكوثر ١ - ٣

(٤) صحيح مسلم . كتاب الصلاة . باب حجة من قال البسملة آية من كل سورة ١ : ٣٠٠ .

(٥) صحيح البخارى . كتاب الرقاق . باب فى الحوض وقوله تعالى (انا أعطيناك الكوثر) . ٧ : ٢٠٦

اختصاص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالحوض ووقع الامتنان به فى السورة المذكورة أى بالحوض (هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة) . ولهذا المعنى ترجم الإمام البخارى باباً فى الحوض وقوله : (إنا أعطيناك الكوثر) .[(١)]

وقول عطاء هو تفسير بما وردت به السنة وأحاديث حوض نبينا صلى الله عليه وسلم صحيحة بلغت حد التواتر.[(٢)]

وقد ورد فى وصفه : ماؤه أشد بياضا من اللبن وطعمه أحلى من العسل وريحه أطيب من المسك وأباريقه كعدد نجوم السماء . من شرب منه لم يظمأ أبدا .[(٣)]

نسأل الله المولى الكريم من فضله وإحسانه أن يجعلنا ممن يرد حوض نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونشرب منه اللهم آمين .

ومن تلك الأمثلة السابقة يتضح اتباع عطاء للسنة فى منهجه فى تفسير القرآن الكريم .

---

(١) انظر : الفتح ١١ : ٤٦٣ — ٤٦٥ .

(٢) حديث الحوض ذكره السيوطى في الأحاديث المتواترة . انظر قطف الأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة ص ٢٩٧ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل . باب حوض نبينا صلى الله عليه وسلم ٤ : ١٧٩٢

المبحث الثالث

رواية عطاء بن أبي رباح التفسير عن الصحابة

يعتبر عطاء بن أبي رباح أحد رواة التفسير الثقات[(١)] عن شيخه الصحابي الجليل المفسر الأول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

ولم يرد عن عطاء رواية التفسير عن بقية الصحابة الا النادر اليسير مثل علي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله بن حرام[(٢)] وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم.

كما ذكر في سبب نزول قوله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين)[(٣)] بناء بعض المنافقين مسجدا ليضاروا به مسجد قباء.[(٤)]

قال عطاء: لما فتح الله الأمصار على عمر بن الخطاب أمر المسلمين أن يبنوا المساجد[(٥)] وأمر ألا يتخذوا في مدينة

---

(١) نقل السيوطي عن ابن حجر أنه قال في أول كتابه أسباب النزول ... ومن التابعين أصحاب ابن عباس رضي الله عنهما ومنهم ثقات وضعفاء. وذكر عطاء بن أبي رباح من الثقات. الدر المنثور ٨: ٧٠٠.
(٢) سبقت له ترجمة ص ٨٣ من الرسالة

(٣) التوبة : ١٠٧.
(٤) انظر: تفسير ابن جرير الطبري ١١: ٢٢. وتفسير البغوي ٢: ٣٢٦. والدر المنثور ٤: ٢٨٤.
(٥) وهذا يدل على فضل المساجد ودورها في الاسلام.

مسجدين يضار أحدهما بالآخر[1] أى لا يبنى مسجدان متقاربان في مكان واحد فانه بسبب الفرقة وقلة الجماعة في كل منهما . والأفضل كثرة الجماعة فى المسجد الواحد والحصول على الأجر والثواب بالمشي على القدم الى المسجد . وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه دلالة على فقهه ، ووافقه عليه عطاء . والى هذا أشار القرطبي ونقل الحكم عن علمائه . أنه لا يجوز أن يبنى مسجد الى جنب مسجد ، ويجب هدمه والمنع من بنائه لئلا ينصرف أهل المسجد الأول فيبقى شاغرا[2] الا أن تكون المحلة كبيرة فلا يكفى أهلها مسجد واحد فيبنى حينئذ . وقالوا لا ينبغي أن يبنى في المصر الواحد جامعان وثلاثة[3] وبهذا المثال اتضح رواية عطاء عن عمر بن الخطاب أمره ببناء المساجد في الفتوحات ومنعه أن يكون بناؤها متقاربا بعضها بجانب بعض.

وكذلك لم يرو عطاء التفسير عن التابعين فيما حصل لي من الاستقراء . وأرى أن عطاء يوافق شيخه في تفسير مايرويه عنه .

وقد يصرح بموافقة شيخه . وقد يكون هناك واسطة في روايته عن شيخه مثل مجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس.

---

(١) الكشف والبيان للثعلبى مخطوط تحت رقم ٦٦ ج ٢ .
(٢) أى خاليا من المصلين أو يقل عدد هم فيه .
(٣) الجامع هو المسجد الذى تقام فيه صلاة الجمعة . والمراد تقام المساجد والجوامع بحسب حاجة كل حي آهل بالسكان بحيث لا تكون متقاربة . انظر : أحكام القرآن لابن العربي ٢ : ١٠١٢ - ١٠١٣ ، وتفسير القرطبى ٨ : ٢٥٤ .

كما أن هناك روايات مستقلة في تفسير عطاء يوافق فيها شيخه وقد يخالفه .

وسوف نتعرض للأمثلة التي يخالف فيها عطاء شيخه عند عرض نماذج من تفسير عطاء . واليك بعض الأمثلة من تفسير عطاء يوافق فيها شيخه .

المثال الأول :

قال الله تعالى : (وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا مايؤمنون)[١] في قوله تعالى : (قلوبنا غلف) قال ابن عباس وعطاء (غلف) أي قلوبنا أوعية لكل علم فلا تحتاج الى علمك . ففي هذه الرواية وافق عطاء شيخه ابن عباس . وقال الكلبي بنحو قول ابن عباس وعطاء . (قلوبنا غلف) أي أوعية لكل علم فهي لاتسمع حديثا الا وعته الا حديثك لاتعقله ولا تعيه . ولو كان فيه خير لوعته وفهمته .[٢] وبنحوه قال القرطبي (قلب أغلف) مستور عن الفهم والتمييز[٣] وفي رواية أخرى لابن عباس (غلف) لا تفقه وهو قول أبي العالية وقتادة في رواية ومجاهد في رواية . وفي رواية لابن عباس (غلف) أي في غطاء وهو قول السدى .

---

(١) البقرة : ٨٨ .
(٢) تفسير البغوى ١ : ٩٢ .
(٣) تفسير القرطبي ٢ : ٢٥ .

وفي رواية لابن عباس في قوله تعالى (قلوبنا غلف) نظيره قوله تعالى (قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ...)[1] وهو قول ابن زيد ومجاهد وقتادة في رواية .

---

(١) فصلت: ٥

المثال الثاني :

قال الله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون).[١]

أخرج ابن جرير الطبري باسناده عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (يتلونه حق تلاوته) قال يتبعونه حق اتباعه. وأخرج ابن جرير أيضا بسنده عن ابن جريج عن عطاء في قوله تعالى (يتلونه حق تلاوته) قال يتبعونه حق اتباعه (وزاد عطاء) يعملون به حق عمله[٢] وهنا يلاحظ أن عطاء وافق شيخه ابن عباس في تفسير الآية. وفسر الاتباع بالعمل الموافق للكتاب والسنة.[٣] وفي تفسير قوله تعالى (يتلونه حق تلاوته) يمكن القول أن من حق التلاوة الايمان بالقرآن الكريم والعمل بمقتضاه مع الأدب عند قراءته كما أنزل وفي نص الآية دلالة على الحث على قراءته والتعبد بتلاوته وتدبر معانيه والله أعلم.[٤]

---

(١) البقرة : ١٢١.
(٢) تفسير ابن جرير ١ : ٥٢٠.
(٣) انظر: تفسير ابن جرير ٥ : ١٤٧. والدر المنثور ٢ : ٥٧٣.
(٤) انظر: تفسير الماوردي ١ : ١٥٢. وتفسير الخازن ١ : ٨٠ باختصار.

المثال الثالث:

قال الله تعالى (فان آمنوا بمثل ماآمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق)[(١)] قال ابن عباس وعطاء: يقال شاق مشاقة اذا خالف كأن كل واحد في شق غير شق صاحبه.[(٢)] قال الله تعالى على لسان شعيب عليه السلام (لا يجرمنكم شقاقي)[(٣)] أى خلافي.[(٤)] وفي هذه الرواية وافق عطاء شيخه في معنى الشقاق.

قال ابن زيد :الشقاق الفراق والمحاربة. وقال أبو العالية (شقاق) فراق[(٥)] وقال ابن قتيبة (شقاق) أى عداوة ومباينة[(٦)] وقال الراغب الأصفهاني :(الشقاق) المخالفة وكونك في شق غير شق صاحبك[(٧)] فالشقاق المخالفة التى يحصل بها الفراق والعداوة[(٨)] وهو قول أكثر المفسرين.[(٩)]

---

(١) البقرة: ١٣٧.
(٢) تفسير البغوى ١: ١٢٠.
(٣) هود: ٨٩.
(٤) تفسير البغوى ١: ١٢٠.
(٥) تفسير ابن جرير الطبرى ١: ٥٦٩. وتفسير الدر المنثور ١: ٣٣٩.
(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٦٤.
(٧) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص ٦٩.
(٨) وقيل منه شق العصا فيصبح كل جزء منها في جانب.(*) فقيل :فلان شق عصا الطاعة. أى خالف. "ومنه الشقاق بين الزوجين الذى يحصل به الفراق".
(٩) انظر :تفسير الماوردى ١: ١٦٢. وتفسير ابن عطية ١: ٣٦٩. وتفسير ابن الجوزى ١: ١٥١. وتفسير القرطبى ٢: ١٤٣.

(*) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهانى ٢٦٤ باختصار. كما يعطى المتنازعين والمتخالفين كل منهما جانبه دلالة على الاعراض عنه والمخالفة.

المثـــال الرا بـع :

قـال اللـه تعـالى (نسـاؤكم حـرث لـكم فأتـوا حرثكم أنـى شئتـــم وقـد موا لأنفسـكم واتـقوا اللـه واعلـموا أنـكم ملاقـوه وبشـر المؤمنـين)[١]
أخـرج ابن جـرير الطـبرى بسنـد ، عـن عـطـاء فـي قـولـه تعـالى (وقـد موا لأنفسـكم) قـال :أراه عـن ابـن عـباس ، قـال :التسمية عند الجمـــاع يقـول بسـم اللـه[٢] وفـي هــذه الروايـة تـصـريح عـطـاء بموافـقة شيخه فـي معـنى الآيـة الـكريمـة وقـول ابن عـباس وعـطـاء هـو تفســـير بالسنـة وسبـق الاشـارة الـى هـذا المـثـال .[٣]

---

(١) البقـــــرة : ٢٢٣ .
(٢) تفسـير ابن جـرير الطـبرى ٢ : ٣٩٩ .
(٣) انظـر : ص ١٤١ ــ ١٤٥ من الرسـالة .

المثـــال الخـامس :

قال الله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون)[١] عن ابن عباس قال إن السموات كانت رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات. وبقول ابن عباس قال عطاء وعكرمة ومجاهد في رواية وهو قول ابن زيد وعطية العوفي والضحاك[٢] وفي تفسير هذه الآية يوافق عطاء شيخه .

وفي رواية أخرى لابن عباس قال إن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ففتق بينهما بالهواء. وهو قول الضحاك وكعب الأحبار والحسن وقتادة وعطاء وسعيد بن جبير في رواية[٣] وفي هذه الرواية عن ابن عباس وافق عطاء شيخه في تفسير الآية . إلا أن ابن الجوزي صرح بموافقة عطاء في الرواية الأولى عن ابن عباس فيقدم هذا القول وهو اختيار ابن جرير الطبري[٤] وقيل في الآية غير ذلك.

---

(١) الأنبياء : ٣٠ .

(٢) انظر: تفسير القرطبي - ١١ : ٢٨٤ وتفسير ابن كثير - ٣ : ١٧٧ .

(٣) انظر: تفسير الماوردي - ٣ : ٤٢ وتفسير البغوي - ٣ : ٢٤٣ — وتفسير ابن الجوزي - ٥ : ٣٤٨ .

(٤) تفسير ابن جرير الطبري - ١٧ : ١٨ وانظر: الدر المنثور ٥ : ٦٢٤ .

المثال السادس :

ومن أقوال عطاء في التفسير والتي يوافق فيها شيخه ابن عباس. قال الله تعالى (قل ياعبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)[1] في قوله تعالى (وأرض الله واسعة) عن ابن عباس قال : إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرجوا منها . وبه قال عطاء[2] وفي رواية لعطاء قال : إذا عمل بالمعاصي في أرض فاخرجوا منها ثم قرأ (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)[3] وقال مجاهد في قوله تعالى (وأرض الله واسعة) فهاجروا واعتزلوا الأوثان[4] وهذا بنحو قول عطاء. وقال سعيد بن جبير: من أُمر بالمعاصي في بلد فليهرب منها الى غيرها . وهذا مثل قول عطاء.[5]

وقال ابن جرير الطبري : وأرض الله فسيحة واسعة فهاجروا من أرض الشرك[6] وهذا بنحو قول عطاء وقال البغوي في قوله

---

(١) الزمر : ١٠ .
(٢) تفسير ابن الجوزي - ٦ : ٢٨١ .
(٣) النساء : ٩٧ .
(٤) تفسير ابن جرير الطبري - ٢٣ : ٢٠٣ .
(٥) تفسير البغوي - ٤ : ٧٣ ، ٧٤ .
(٦) تفسير ابن جرير الطبري - ٢٣ : ٢٠٣ .

تعالى (وأرض الله واسعة ....) فيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي[1] وهذا مثل قول عطاء.

وبالنظر في أقوال المفسرين في قوله تعالى (وأرض الله واسعة) يمكن القول بأن المسلم إذا لم يتمكن من عبادة الله سبحانه وتعالى في أرضه التي يعيش عليها يهاجر منها إلى أرض يغلب

---

(١) تفسير البغوى - ٤ : ٧٣ ، ٧٤ .

على أهلها التقوى والصلاح ويسلم فيها على دينه وأهله وماله. ويستطيع عليها عبادة ربه. والحصول أيضا على لقمة العيش بيسر وسهولة[1] فأرض الله واسعة وكذلك رزقه[2]، وعبادة الله تعالى صحيحة من أي بقعة على وجه الأرض. ومعلوم أن الأرض التي ولد عليها الإنسان ونشأ وترعرع على ترابها تركها أمر عزيز على النفس ولهذا كان تذييل الآية الكريمة بالحث على الصبر[3] فقال سبحانه وتعالى ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[4] قال عطاء بما لا يهتدى إليه عقل ولا وصف[5] والمعنى أن جزاء الصابر لا أحد يستطيع بقدر هذا الجزاء إلا الله سبحانه وتعالى فقد خرج عن الحساب والوصف وذلك لعظم الجزاء وكرم العطاء وذلك مثل أجر الصوم.

وقد سبق ذكر هذا المثال في تفسير عطاء القرآن بالقرآن.[6]

المثال السابع :

ومن أقوال عطاء في التفسير والتي يوافق فيها شيخه ابن

---

(١) تفسير القرطبي - ١٥ : ٢٤٠.

(٢) انظر: تفسير الماوردي - ٣ : ٦٣؛ وتفسير الخازن - ٤ : ٥١.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير - ٤ : ٢١٤ وتفسير الدر المنثور - ٧ : ٢١٤ - وتفسير الألوسي - ٢٣ : ٢٤٩.

(٤) الزمر : ١٠

(٥) أي لا يستطيع الخيال وصفه وانظر: تفسير البغوي - ٤ : ٧٣، ٧٤.

(٦) انظر: ص ١٢٢-١٢٣ من الرسالة.

عباس في قوله تعالى (قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ....) .[1]

اختلف المفسرون (من المقصود) في قوله تعالى (أولي بأس شديد) إلى أقوال منها قيل هم قوم هوازن وبنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب وهو قول ابن عباس في رواية وقيل هم قوم فارس والروم . وهو قول ابن عباس وعطاء في رواية وفي هذه الرواية وافق عطاء شيخه . وهو قول قتادة وابن زيد في رواية وبه قال ابن أبي ليلى . وقيل هم فارس فقط وهو قول ابن عباس وعطاء في رواية . وقد وافق عطاء شيخه في الرواية الثانية . وهو قول مجاهد وابن أبي ليلى وابن جريج في رواية وهو قول عطاء الخرساني .[2]

---

(١) الفتح : ١٦ .

(٢) انظر: تفسير ابن الجوزى - ٧ : ٤٣١ وتفسير ابن كثير - ٤ : ١٩٠ والدر المنثور - ٧ : ٥٢٠ .

وبالنظر في أقوال المفسرين يمكن القول في قوله تعالى (أولي بأس شديد) أن كل من يصدق عليهم بأنهم أصحاب قوة وشدة يدخل في معنى الآية ومنهم قوم فارس والروم وهو قول ابن عباس وعطاء وغيره.

المثال التاسع :

أخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى (إن إلينا إيابهم)[1] قال مرجعهم.

وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء في قوله تعالى (إن إلينا إيابهم) قال مرجعهم[2] وفي هذه الرواية في معنى قوله تعالى (إيابهم) مرجعهم. وافق عطاء شيخه ابن عباس وفي معنى قوله تعالى (إن إلينا إيابهم) أى إلى الله مرجعهم ومصيرهم[3] ومعادهم بعد الموت وهو قول جمهور المفسرين.[4]

وبتلك الأمثلة السابقة اتضح أن من منهج عطاء في التفسير الأخذ بقول الصحابي في التفسير وروايته عنه.

---

(١) الغاشية: ٢٥.
(٢) الدر المنثور - ٨: ٤٩٥.
(٣) انظر: تفسير ابن جرير الطبرى - ٣٠: ١٦٧ وتفسير الماوردى ٤: ٤٤٧ وتفسير البغوى - ٤: ٤٨٠ وتفسير ابن الجوزى - ٩: ١٠١.
(٤) انظر: تفسير القرطبى - ٢٠: ٣٨ وتفسير ابن كثير - ٤: ٥٠٤ وتفسير الشوكانى - ٥: ٤٩٥.

المبحث الرابع

تفسير عطاء القرآن باللغة

من المعلوم أن القرآن الكريم أنزل بلسان عربي مبين قال الله تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) .[1] وقد سبقت الإشارة الى أن من أصول التفسير : تفسير القرآن بالقرآن فإن لم يوجد فسر القرآن بالسنة فإن لم يوجد أخذ بأقوال الصحابة والتابعين في التفسير فإن لم يوجد رجع إلى التفسير باللغة .[2]

فلابد للمفسر من معرفته لعلوم اللسان العربي . و معرفته كلام العرب ومناحيهم في القول ، ومعرفة وجه الاستدلال بالألفاظ ودلالتها على المعاني وغريب اللغة وغير ذلك مما يلزم المفسر. قال الزركشي : ويحتاج الكاشف عن ذلك إلى علم اللغة اسما وفعلا وحرفا ، فالحروف لقلتها تكلم النحاة عن معانيها فيؤخذ ذلك من كتبهم. وأما الأسماء والأفعال فيؤخذ ذلك من اللغة .[3]

قال عطاء بن أبي رباح يصف مكانة شيخه العلمية : (مارأيت

---

(١) الشعراء ١٩٢ ـ ١٩٥

(٢) انظر :شروط أهلية المفسر ص ٨ ـ ٩ من الرسالة

(٣) البرهان ١ : ٢٩١ .

أحسن من مجلس ابن عباس أعظم هيبة ولا أكثر حديثا) ورواية أخرى : (ما رأيت مجلسا أكرم من مجلس ابن عباس رضي الله عنهما أكثر فقها وأعظم هيبة . أصحاب القرآن عنده يسألونه وأصحاب الغريب عنده يسألونه . وأصحاب الشعر عنده يسألونه فكلهم يصدرهم في رأي واسع) .[١]

من قول عطاء تبين استفادته من أستاذه في معرفة مفردات اللغة كما روى عطاء عن شيخه مفردات في غريب القرآن .[٢] مع ذلك فقد استند عطاء في تفسيره على مراعاة الجانب اللغوي ، فجاء تفسيره موافقا لما وردت به اللغة .

وإذا تعين التفسير باللغة فقد تكون الكلمة مشتركة في معان مختلفة . وإذا نقل عن أحد التفسير باللغة فلا يمنع أن يكون هناك قول آخر يخالفه وذلك لأن الكلمة قد تحتمل أكثر من معنى . وفيما يلي ذكر بعض الأمثلة لتفسير عطاء القرآن باللغة .

المثال الأول :

أخرج ابن جرير الطبري في قوله تعالى : (الم .

---

(١) أخبار مكة للفاكهي ٢ : ٣٤١ . وانظر : كتاب فضائل الصحابة ٢ : ٨٤٤ . والمستدرك للحاكم ٣ : ٥٣٣ . وأعلام الموقعين ١ : ١٩ . والبداية والنهاية ٨ : ٢٩٥ .

(٢) تاريخ التراث العربي د . فؤاد سزكين ١ : ٥١ .

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين)[١] عن عطاء في قوله تعالى : (لا ريب فيه) قال : لاشك فيه[٢] قال الفراء وابن قتيبة (لا ريب فيه) لاشك فيه[٣] ولا قلق[٤]. والريب أن تتوهم بالشيء أمرا فينكشف عما تتوهمه[٥] فقول عطاء في تفسير معنى (لا ريب فيه) بالشك فيه . هو ماوردت به اللغة .[٦]

المثال الثاني :

أخرج ابن جرير الطبري في قوله تعالى : (فمن خاف من موص جنفا)[٧] عن عطاء في قوله تعالى : (جنفا) قال : ميلا[٨] قال ابن قتيبة (الجنف الميل عن الحق[٩] وفي الحكم[١٠] وهو الجور[١١] والظلم . فقول عطاء في تفسير الجنف هو ماوردت به اللغة .[١٢]

---

(١) البقرة : ١-٢ وانظر : الاتقان : النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبة ١ : ٣١٣ .
(٢) تفسير ابن جرير ١ : ٢٢٨ .
(٣) معاني القرآن ١ : ١١ . وانظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١ : ٣٩ .
(٤) تحفة الأريب - أبو حيان الأندلسي ص ١٣٣ .
(٥) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٠٥ .
(٦) المعجم الجامع - عبد العزيز السيروان ص ١٧٣ .
(٧) البقرة : ١٨٢ .
(٨) تفسير ابن جرير الطبري ٢ : ١٢٧ .
(٩) تفسير غريب القرآن ص ١٠٥ .
(١٠) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ١٠١ .
(١١) غريب القرآن لليزيدي ص ٨٨ .
(١٢) انظر : تفسير المشكل لمكي بن أبي طالب ص ٣٦ . وتحفة الأريب لأبي حيان الأندلسي ص ٩١ .

المثـــال الثالـــث:

قال الله تعالى : (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وماكنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وماكنت لديهم إذ يختصمون)[١].

أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن عطاء في قوله تعالى : (أقلامهم) يعني أقداحهم[٢] وتفسير عطاء (أقلامهم) بالقداح وارد في اللغة . قال اليزيدي : الأقلام القداح التي كانوا يستقسمون بها[٣] والقداح السهام[٤] وهي التي يجيلونها[٥] عند العزم على الشيء[٦] وقال ابن قتيبة : (أقلامهم) أي قداحهم يقترعون بها على مريم . أيهم يكفلها ويحضنها . والأقلام واحدها قلم وهي الأزلام أيضا واحدها زَلَم وزُلَم .[٧]

المثال الرابـــع :

أخرج ابن جرير الطبري في قوله تعالى : (ولا يُظلمون فتيلا)[٨] . عن عطاء قال : الفتيل الذي في بطن النواة[٩] وقول

---

(١) آل عمران : ٤٤ .
(٢) الدر المنثور ٢ : ١٩٦ .
(٣) غريب القرآن لليزيدي ص ١٠٥ .
(٤) المعجم الجامع عبد العزيز السيروان ص ٣٨٩ (٥) جالب أداربه القاموس المحيط ٢: ٣٥٥
(٦) تحفة الأريب أبو حيان الأندلسي ص ٢٦١ .
(٧) تفسير غريب القرآن ص ١٠٥ . انظر : تفسير المشكل لمكي بن أبي طالب ص ٤٩ . ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٦٢ .
(٨) النساء : ٤٩ .
(٩) تفسير ابن جرير الطبري ٨ : ٤٥٨ .

عطاء هو ماوردت به اللغة قال ابن فارس: الفتيل مايكون في شق النواة[١] وهو حبل دقيق في شق النواة[٢] وهو ماتفتله بين أصابعك من خيط أو وسخ ويضرب به المثل في الشئ الحقير. وسمي مايكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته.[٣]

المثال الخامس :

قال الله تعالى : (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا)[٤] أخرج ابن المنذر عن عطاء في قوله تعالى (يصدون عنك صدودا) قال الصدود الإعراض.[٥] والصد في اللغة الإعراض[٦] وقد يكون انصرافا عن الشئ وامتناعا[٧] قال الفيروزآبادي : (صد) عنه صدودا أعرض[٨] ويصدون تأتي بمعنى يعدلون ويعرضون ويضجون.[٩]

---

(١) مجمل اللغة. باب الفاء والتاء ٣ : ٧١٠.
(٢) انظر : غريب القرآن لليزيدي ص ١٢٠ . والقاموس المحيط. فصل الفاء. باب اللام ٤ : ٢٨.
(٣) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٧١.
(٤) النساء : ٦١ .
(٥) الدر المنثور ٢ : ٥٨٣.
(٦) لسان العرب. باب الدال فصل الصاد ٣ : ٢٤٥.
(٧) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٧٥ .
(٨) القاموس المحيط. باب الدال . فصل الصاد ١ : ٣٠٦. وانظر : تحفة الأريب لأبي حيان الأندلسي ص ١٩٣.
(٩) المعجم الجامع . عبد العزيز السيروان ص ٢٣٣. وانظر : تاج العروس . باب الدال . فصل الصاد ٢ : ٣٩٤.

المثال السادس :

قال الله تعالى : (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ...)[١] أخرج الثعلبي في قوله تعالى (لعنّاهم) قال عطاء بعدناهم من رحمتنا وجعلنا قلوبهم قاسية[٢] وقول عطاء في تفسير (اللعن) بالبعد عن رحمة الله هو ماوردت به اللغة . قال اليزيدى (لعنهم الله) طردهم الله وأبعدهم[٣] فاللعن من الله هو الطرد والإبعاد عن رحمته . ومن الإنسان دعاء على غيره .[٤]

المثال السابع :

قال الله تعالى : (قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين)[٥] . في قوله تعالى (أرجه) قال عطاء : أخره[٦] وقال ابن قتيبة (أرجه) أخره[٧] ويقال أرجأت الأمر وأرجيته أخرته .[٨] وقيل أخفه . فقول عطاء في تفسير (أرجه) هو

---

(١) المائدة : ١٣ .
(٢) الكشف والبيان للثعلبي . مخطوط مصور وانظر : تفسير البغوى ٢ : ٢١ .
(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ٧٥ .
(٤) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٥١ . وانظر : تحفة الأريب لأبي حيان الأندلسي ص ٢٧٧ . والمعجم الجامع عبد العزيز السيروان ص ٣٧١ .
(٥) الأعراف : ١١١ .
(٦) تفسير البغوى ٢ : ١٨٦ .
(٧) تفسير غريب القرآن ص ١٧٠ .
(٨) غريب القرآن لليزيدى ص ١٤٨ .

ما وردت به اللغة.[١]

المثال الثامن :

أخرج ابن جرير الطبري في قوله تعالى : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ...)[٢] عن عطاء في قوله (ليثبتوك) قال (ليسجنوك)[٣] وقول عطاء هو ما وردت به اللغة . قال ابن عباس (ليثبتوك) أي يحبسوك[٤] قال ابن قتيبة : ومنه يقال : فلان مثبت وجعا إذا لم يقدر على الحركة وكانوا يريدون أن يحبسوه في بيت يسدوا عليه بابه ويجعلوا له خرقا يدخل عليه منه طعامه وشرابه أو يقتلوه بأجمعهم قتلة رجل واحد أو ينفوه.[٥]

المثال التاسع :

قال الله تعالى : (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكُلاً جعلنا صالحين)[٦]. أخرج ابن جرير الطبري عن عطاء قال : عطية[٧] وقول عطاء في تفسير النافلة "بالعطية " هو

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ١٩ : ٧١ . وانظر : تفسير ابن كثير ٣ : ٣٢٣ .
(٢) الأنفال : ٣٠ .
(٣) تفسير ابن جرير ١٣ : ٤٩٢ .
(٤) اللغات لابن عباس ص ٢٦ .
(٥) غريب القرآن ص ١٧٩ . وانظر : القصة في سيرة ابن هشام ١ : ٤٨٠- ٤٨٤ .
(٦) الأنبياء : ٧٢ .
(٧) تفسير ابن جرير ١٧ : ٤٨ . وانظر : تفسير البغوى ٣ : ٢٥٢ .

ماوردت به اللغة . قال الفيروز آبادى : النافلة الغنيمة والعطية[١] ونفلته كذا أى أعطيته إذا اعتبر بكونه منحة من الله ابتداء .
وأصل ذلك النفل من الزيادة .[٢]

المثال العاشر :

قال الله تعالى : (وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا).[٣]
أخرج ابن أبى حاتم فى قوله تعالى : (فرات) قال عطاء العذب وفى قوله تعالى (أجاج) قال المالح[٤] وقول عطاء هو ماوردت به اللغة (أجاج) أشد المياه ملوحة[٥] قاله ابن قتيبة[٦] وقول عطاء فى معنى (فرات) العذب . هو أيضا ماوردت به اللغة . قال الزجاج : والفرات صفة للعذب وهو أشد الماء عذوبة[٧] أى أحسن الماء وأطيبه حلاوة ومذاقا . قال ابن فارس: العذب: الماء الطيب[٨] أى الحلوالطعم .

---

(١) القاموس المحيط (نفله) ٤ : ٥٩ .
(٢) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص ٥٠٣ .
(٣) الفرقان : ٥٣ .
(٤) الدر المنثور ٦ : ٢٦٥ .
(٥) وقيل هو الذى يخالطه مرارة . تفسير ابن الجوزي ٦: ٩٦
(٦) تفسير غريب القرآن ص ٣١٤ .
(٧) تفسير ابن الجوزى ٦ : ٩٦ . وانظر : غريب القرآن لليزيدى ص ٧٨ ، ٢٧٨ .
(٨) مجمل اللغة . باب العين والذال ٣ : ٦٥٧ .

المثال الحادي عشر:

أخرج عبد بن حميد في قوله تعالى : (ما يملكون من قطمير).[1] عن عطاء في قوله تعالى (قطمير) قال الذي بين النواة والتمرة القشر الأبيض[2] وقول عطاء هو ماوردت به اللغة قال اليزيدي : القطمير : القشرة الرقيقة التي على النواة[3] وهي لفافة النواة.[4]

المثال الثاني عشر:

عن عطاء في قوله تعالى : (ولات حين مناص)[5] قال (لات) بمعنى (ليس) في لغة أهل اليمن[6] وقول عطاء (لات) بمعنى ليس هو قول ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن جرير وغيرهم[7] وهو ماوردت به اللغة قال الفراء: (ولات حين مناص) ليس بحين فرار. والنوص التأخير في كلام العرب . والبوص التقدم[8] فمعنى قوله تعالى (ولات حين مناص) أي ليس الحين حين[9] فرار

---

(١) فاطر: ١٣.
(٢) الدر المنثور ٧ : ١٥.
(٣) غريب القرآن وتفسيره ص ١٢٠ ، ص ٣٠٩.
(٤) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٠ . وانظر: مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٠٨ . وتحفة الأريب لأبي حيان الأندلسي ص ٢٥٨ . وتاج العروس . " قطر " ٣ : ٥٠١.
(٥) ص : ٣.   (٦) تفسير ابن الجوزي ٧ : ١٠٠.
(٧) تفسير ابن جرير الطبري ٢٣ : ١٢٢ ، ١٢٣ . وانظر: تفسير ابن كثير ٤ : ٢٦.
(٨) معاني القرآن ٢ : ٣٩٧.
(٩) (حين) تأتي بمعنى : الوقت والساعة والمدة . مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤٥٥.

ومهرب[1] وليس الوقت وقت فرار ومهرب.

المثال الثالث عشر:

أخرج ابن أبي حاتم عن عطاء في قوله تعالى: (إن إلينا إيابهم)[2] قال مرجعهم[3] وقول عطاء هو ماوردت به اللغة. قال ابن قتيبة (إيابهم)(رجوعهم)[4]. فمعنى الآية الكريمة (إن إلينا إيابهم) أي إلى الله مرجعهم ومصيرهم[5] ومعادهم بعد الموت وهو قول جمهور المفسرين، وقد سبقت الإشارة إلى هذا المثال.[6]

وبهذه الأمثلة اتضح استعانة عطاء بالجانب اللغوي واستناده عليه في تفسير القرآن الكريم. فجاء تفسيره بما يوافق اللغة.

---

(١) اللغات لابن عباس ص ٤٠. وانظر: غريب القرآن لليزيدي ص ٣٢١. وتفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٣٧٦. ومفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٥٥٤. والإتقان ١: ٣٢١.

(٢) الغاشية: ٢٥.

(٣) الدر المنثور ٨: ٤٩٥.

(٤) تفسير غريب القرآن ص ٥٢٥. وانظر: تفسير المشكل من غريب القرآن لمكي بن أبي طالب ص ٣٠٠.

(٥) انظر: تفسير القرطبي ٢: ٣٨. وتفسير ابن كثير ٤: ٥٠٤. وتفسير الشوكاني ٥: ٤٩٥.

(٦) انظر: ص ١٦٩ من الرسالة.

وقد ذكر السيوطي رحمه الله تعالى دور اللغة وغريب القرآن في التفسير. وقد أشار إلى مكانة عطاء في معرفة ذلك.

وقد استفاد عطاء من شيخه ابن عباس علومه ومنها الجانب اللغوى في تفسير القرآن الكريم. فروى عنه غريب القرآن كما ذكر في أول البحث.(١)

قال السيوطي :

.... وأولى ما يرجع إليه في ذلك "غريب القرآن" ماثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه "ومنهم عطاء" فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة. ثم ذكر طريق ابن أبي طلحة في روايته عن ابن عباس وقال: إنها أصح الطرق وعليها اعتمد الإمام البخاري في صحيحه مرتبا على السور.(٢) مع العلم بأن كتب اللغة(٣) في غريب القرآن ومدلول ألفاظه ما دونت إلا بعد موت عطاء بكثير فقيل إن أول من صنف في معنى الغريب هو أبان بن تغلب ابن رباح المتوفى سنة ١٤١ هـ وتوفى عطاء سنة ١١٤ هـ.(٤)

فعطاء من أوائل المفسرين باللغة وهذا منهجه في تفسير القرآن الكريم.

---

(١) انظر ص ١٧١ من الرسالة.
(٢) الاتقان : النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه ١ : ٣١٤.
(٣) انظر : البرهان ١ : ٢٩١. وانظر : الاتقان للسيوطي : النوع السادس والثلاثون في معرفة غريبه.
(٤) كشف الظنون ٢ : ١٢٠٣، ١٢٠٨. وانظر : مقدمة تحقيق كتاب تفسير غريب القرآن للسيد أحمد صقر ص "ب".

الفصل الثاني

أقوال وآراء عطاء في مباحث من علوم القرآن

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : من أقوال عطاء في أسباب النزول

المبحث الثاني : من أقوال عطاء في المكي والمدني

المبحث الثالث : من أقوال عطاء في القراءات

المبحث الرابع : من أقوال عطاء في النسخ

المبحث الخامس : من أقوال عطاء في الحروف المقطعة التي في أوائل السور .

المبحث السادس : من أقوال عطاء في فضائل السور

المبحث السابع : من استنباط عطاء واستدلاله في التفسير



المبحث الأول
من أقوال عطاء في أسباب النزول

قبل ذكر أقوال عطاء في أسباب النزول، إليك هذا التمهيد الموجز عن أسباب النزول .

نزل القرآن الكريم لهداية الخلق أجمعين . وبشرى للمؤمنين . قال الله تعالى : (.... فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين) .[١] وشفاء لما في الصدور وموعظة وذكرى للمؤمنين .

كما نزل القرآن الكريم منجما ليتيسر حفظه وتعليمه، ولمجاري الحوادث ولتبيين الأحكام . ولتثبيت فؤاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم . ولقد تعبدنا الله سبحانه وتعالى بتلاوته .[٢]

قال الله تعالى : (وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ماتثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين)[٣] وقال الله تعالى : (وإنه لتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين) .[٤] وقال

---

(١) البقرة : ٩٧ .
(٢) مناهل العرفان ١ : ٣٣٠ باختصار .
(٣) هود : ١٢٠ .
(٤) الشعراء : ١٩٢، ١٩٥ .

الله تعالى : (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل . وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا وقرءانا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) .[١] وقال الله تعالى : (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا . ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) .[٢]

وتعريف سبب النزول أنه يكون قاصراً على أمرين : أحدهما : أن تحدث حادثة فينزل القرآن بشأنها كما في سبب نزول " تبت يدا أبي لهب "[٣] .

وثانيهما : أن يُسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء فينزل القرآن ببيان الحكم فيه كما في سبب نزول آية اللعان .

ومن الأحداث التي نزل فيها القرآن حادثة الإفك . قال الله تعالى : (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم . لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) .[٤]

وهذه العشر[٥] الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوا من الكذب البحت والفرية " اتهامها بالفاحشة " فأنزل الله تعالى براءتها صيانة لعرض

---

(١) الإسراء : ١٠٥ ، ١٠٦ .
(٢) الفرقان : ٣٢ ، ٣٣ .
(٣) المسد : ١
(٤) النور : ١١ .
(٥) المراد الآيات العشر من الآية ١١ إلى الآية ٢٠ من سورة النور .

رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: (إن الذين جاؤا بالإفك عصبة منكم) أى جماعة منكم يعنى ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة. فكان المقدم فى هذه اللعنة عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمع خبر الإفك ويستوشيه[١] حتى دخل ذلك فى أذهان بعض المسلمين فتكلموا به وجوزه آخرون، وبقى الأمر كذلك قريبا من شهر حتى نزل القرآن الكريم ببراءتها[٢] وبيان ذلك فى الأحاديث الصحيحة.[٣]

ومن أسباب النزول أيضا السؤال للنبى صلى الله عليه وسلم فينزل الجواب بالوحى: أخرج الإمام البخارى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه قال: " بينما أنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث وهو متكئ على عسيب[٤] إذ مَرَّ اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح. فقال ما رابكم إليه[٥] وقال بعضهم لا يستقبلكم بشئ تكرهونه. فقالوا سلوه عن الروح. فأمسك النبى صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم شيئا فعلمت أنه يوحى إليه، فقمت مقامى[٦] فلما نزل الوحى قال:

---

(١) أى ينشره بين المسلمين.
(٢) تفسير ابن كثير ٣: ٢٦٨.
(٣) أخرج الإمام البخارى قصة الإفك فى كتاب المغازى. باب حادثة الإفك. ٥ : ٥٥ . كما أخرجه أيضا الإمام مسلم فى كتاب التوبة. باب حديث الإفك وقبول توبة القاذف.
٤: ٩)، ٢) وانظر: الدر المنثور ٦: ١٤٠.
(٤) العسيب: جريدة من النخل مستقيمة دقيقة القاموس المحيط عسب ١: ١٠٤
(٥) من الريب. أى فى أى شئ تشكون حتى دعتكم الحاجة إلى سؤاله. وهذا يدل على أن سؤالهم كان على سبيل الاختبار وليس طلبا للعلم. وقيل غير ذلك. انظر: الفتح ٨: ٤٠١.
(٦) فى رواية "فتأخرت عنه" أى أدبا معه لئلا يتشوش بقربه منه صلى الله عليه وسلم.

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا).[(١)، (٢)]

ومن فوائد[(٣)] معرفة أسباب النزول : أنه يعين المفسر على المعنى الصحيح للآية أو الآيات. قال ابن تيمية : "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية ".[(٤)] مثاله في قوله تعالى (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم).[(٥)] فلو تركت الآية على ظاهرها لاقتضت : أن المصلى لا يجب عليه استقبال القبلة في السفر ولا في الحضر. فلما عرف سبب نزولها أنها نزلت في نافلة السفر. "فتجوز صلاة النافلة على الدابة في السفر حيث توجهت" بإجماع المسلمين. قاله النووي[(٦)] من غير اتجاه إلى القبلة. أو في من صلى بالاجتهاد وبان له الخطأ على اختلاف الروايات في ذلك[(٧)] وماذكرته من سبب النزول هو ماصح منها .

ومن فوائد معرفة أسباب النزول . معرفة مراحل التدرج في تشريع الأحكام والحكمة في ذلك مثل ماعرف من التدرج في تحريم

---

(١) الإسراء : ٨٥ .
(٢) الفتح ٨ : ٤٠١ . وانظر : الدر المنثور ٥ : ٣٣٠ .
(٣) للتوسع انظر : البرهان ١ : ٢٢ . ومقدمة لباب النقول ص:٣ ومناهل العرفان ١ : ١٠٢ .
(٤) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ص ٤٧ . وانظر : أسباب النزول للواحدي ص ٣ - ٥ .
(٥) البقرة : ١١٥ .
(٦) شرح النووي على صحيح مسلم ٥ : ٢٠٩ . وانظر : البرهان ١ : ٢٩ .
(٧) سنن الدارقطني . باب الاجتهاد في القبلة ١ : ٢٧٠ . وانظر : تفسير ابن جرير الطبري ١ : ٥٠١ . وتفسير ابن كثير ١ : ١٥٧ ، ١٦٠ .

الخمر والسبب في تحريمها[1].

وقد يتعدد سبب النزول ومثال ذلك ما أخرج الإمام البخاري عن علقمة بن وقاص أن مروان[2] قال لبوابه[3] اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يعمل معذبا . لنعذبن أجمعون . فقال ابن عباس مالكم ولهذه ؟ إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس[4] : (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون . لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا[5][6] فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم)[7].

---

(١) البرهان ١ : ٢٢ . وانظر: مناهل العرفان ١ : ٤٨ ، ١٠٢ .
(٢) مروان بن الحكم .
(٣) الحارس الذى يقف عند الباب واسمه رافع كما فى الرواية .
(٤) ذكرت الآيات التى قرأها ابن عباس كاملة .
(٥) موضع انتهاء الآيات فى الرواية .
(٦) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب "لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا" ٥ : ١٧٤
(٧) آل عمران ١٨٧ - ١٨٨

والمعتمد في سبب النزول الرواية الصحيحة ممن
شاهدوا الوحي والتنزيل ووقفوا على الأسباب وبحثوا عن علمها[(١)]
فما ثبت بطريق صحيح من أسباب النزول له حكم المرفوع. قال
ابن حجر: "ومثال المرفوع حكما . قول الصحابي الذي لم يأخذ
عن الاسرائيليات ولا مجال للاجتهاد فيه ولا له تعلق ببيان
لغة أو شرح غريب له حكم المرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.[(٢)]

وأما قول التابعي في سبب النزول فإن قوله يقبل إذا
احتف بقرائن تقويه مثل صحة السند إليه وكان من أئمة التفسير
الآخذين عن الصحابة وروى بنحو قوله بأكثر من وجه.[(٣)]
وإليك أمثلة من أقوال عطاء في أسباب النزول .

المثال الأول :

قال الله تعالى : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن
الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وماتفعلوا من خير
يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون ياأولي الألباب).[(٤)]
في قوله تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون
نحن المتوكلون . وفي رواية ويقولون نحج بيت الله أفلا يطعمنا
فإذا قدموا مكة سألوا الناس فأنزل الله الآية[(٥)] وبنحوه قال

---

(١) لباب النقول للسيوطي ص ١٥ . ومناهل العرفان ١ : ١٠٧ .
(٢) نزهة النظر ص ٥٣ . وانظر: أسباب النزول للواحدي ص ٣ .
(٣) لباب النقول للسيوطي ص ١٥ . وانظر: منهج النقد في علوم الحديث د . نور الدين ص ٣٧٣ .
(٤) البقرة : ١٩٧ .
(٥) صحيح البخاري . كتاب الحج . باب قوله تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) . ٣ : ١٤١ .

عطاء: كان الرجل يخرج فيحمل كله على غيره[١][٢] فأنزل الله تعالى الآية. والذى يلاحظ فى قول ابن عباس أنه خص سبب نزول الآية بأهل اليمن.

قال ابن عمر: (كانوا إذا أحرموا ومعهم زاد رموا به واستأنفوا زادا فأنزل الله الآية وأمروا أن يتزودوا الكعك والدقيق والسويق.[٢]

ويحمل قول ابن عمر على حفظ الزاد وحمله فربما دعتهم الحاجة إليه وهو خير لهم من سؤال الناس. وهذا بنحو قول ابن عباس الثابت المذكور آنفا. وبنحوه قال عطاء. وهو قول عكرمة ومجاهد وقتادة والحسن والربيع وابن زيد وهو قول أكثر المفسرين.[٤] فأمر بالتزود وأن لا يظلموا[٥] ويكونوا عالة على الناس. لأن عملهم هذا هو خلاف الشرع الذى أمر بالأخذ بالأسباب المشروعة وربط الأمور بأسبابها. وفى الآية الكريمة تصحيح للاعتقاد وبيان وتوجيه وإرشاد لحقيقة

---

(١) أى يحمل عبء زاده على غيره ويكلف الناس بمؤونته "يصبح عالة على الناس". قال رجل لأحمد بن حنبل: أريد أن أخرج إلى مكة على التوكل بغير زاد. فقال له أحمد: أخرج فى غير القافلة. فقال لا. إلا معهم قال: فعلى جُرُب الناس توكلت؟! (والجرب: جمع جراب، وهو الوعاء) تفسير القرطبي ٢: ٤١٢

(٢) أسباب النزول للواحدي ص ٤١

(٣) تفسير ابن جرير الطبرى ٢: ٢٧٨. وانظر: صحيح البخارى. كتاب الحج. باب قوله تعالى: وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) الفتح ٣: ٣٨٣.

(٤) تفسير عبد الرزاق ١: ٧٧. وتفسير ابن جرير الطبرى ٢: ٢٧٨. وتفسير القرطبى ٢: ٤١١. والدر المنثور ١: ٥٣١.

(٥) لأن عدم حملهم الزاد من مال وغيره ربما أفضى بهم الحال إلى النهب والغصب وهذا ظلم للنفس وعلى الغير. انظر: تفسير البغوي ١: ١٧٣

التوكل.[١] قال ابن كثير في قوله تعالى : (فإن خير الزاد التقوى) لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى الآخرة وهو استصحاب التقوى إليها كما قال (وريشا ولباس التقوى ذلك خير)[٢] لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشدا إلى اللباس المعنوي وهو الخشوع والطاعة والتقوى.[٣] وهذا دلالة على كمال معرفة الله تعالى ومحبته والإعراض عما سواه.[٤]

المثال الثاني :

قال الله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله لمن الضالين).[٥]

أخرج ابن أبي داود في المصاحف[٦] عن عطاء قال نزلت (لا جناح عليكم أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج).[٧]

---

(١) تفسير القرطبي ٢ : ٤١١ . وانظر تفسير الخازن ١ : ١٣٠ .
وتفسير البحر المحيط ٢ : ٩٢ .
(٢) الأعراف : ٢٦ . انظر : تفسير ابن كثير ٢ : ٢٠٧ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢ : ٢٣٩ . وانظر : تفسير البحر المحيط ٢ : ١١٣ .
(٤) تفسير الفخر الرازي ٥ : ١٦٨ بتصرف.
(٥) البقرة : ١٩٨ .
(٦) المصاحف ص ٥٤ ، ٧٤ ، ٨٢ .
(٧) الدر المنثور ١ : ٥٢٥

وقرأ ابن مسعود قوله تعالى : (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج فابتغوا حينئذ) . وقرأ ابن عباس وعكرمة (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج) وروى هذه القراءة عطاء عن ابن عباس ولم يقرأ كذلك[١] وانما الذى ورد عنه أنها نزلت في مواسم الحج وهو قول ابن عمر وابن عباس ومجاهد وهو الثابت في الصحيح .

فقد أخرج الامام البخارى عن عطاء عن ابن عباس قال كانت عكاظ[٢] ومجنة[٣] وذو المجاز[٤] أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزلت (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) في مواسم الحج .[٥]

وقراءة الآية الكريمة باضافة (في مواسم الحج) لهما للتأكيد على أن الآية نزلت في رفع الحرج في الابتغاء من فضل الله في مواسم الحج . الا أن هذه القراءة شاذة

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ١ : ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٢) عكاظ : بضم أوله وآخره ظاء معجمة ، وعكاظ اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة ويتفاخرون فيها ويحضرها شعراؤهم ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر ثم يتفرقون . عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال . معجم البلدان لياقوت الحموى ٤ : ١٤٢ .

(٣) مجنة : بالفتح وتشديد النون اسم المكان من الجنة وهو الستر والاخفاء ومجنة اسم سوق للعرب كان في الجاهلية وكانت مجنة بمر الظهران جبل يقال له الأصفر وهو بأسفل مكة . معجم البلدان لياقوت الحموى ٥ : ٥٨ .

(٤) المجاز : بالفتح وآخره زاى . وذو المجاز موضع سوق بعرفة على ناحية كبكب عن يمين الامام على فرسخ من عرفة كانت تقوم في الجاهلية بثمانية أيام . معجم البلدان لياقوت الحموى ٥ : ٥٥ .

(٥) صحيح البخارى . كتاب التفسير . باب (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) . الفتح ٨ : ١٨٦ .

وحكمها عند الأئمة حكم التفسير والبيان[١] فقول عطاء أن الآية الكريمة نزلت (في مواسم الحج) قول صحيح وفي الآية الكريمة دلالة على جواز التجارة للحاج وهو قول الجمهور من الفقهاء[٢] منهم ابن عمر وابن عباس ومجاهد وعطاء والحسن وقتادة.[٣]

المثال الثالث:

قال الله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على مافي قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل . والله لا يحب الفساد).[٤]

قال ابن عباس[٥] وعطاء والكلبي ومقاتل[٦] والسدي[٧] نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة وإنما

---

(١) الفتح ٣ : ٥٩٥ . وانظر : تفسير ابن جرير الطبري ٢: ٢٨٢ — ٢٨٥ .

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١ : ١٣٦ .

(٣) أحكام القرآن للجصاص ١ : ٣٠٩ . وانظر : احكام القرآن لابن العربي ١ : ١٣٦ . وتفسير القرطبي ٢ : ٤١٣ .

(٤) البقرة : ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٥) تفسير ابن الجوزي ١ : ٢١٨ .

(٦) تفسير البغوي ١ : ١٧٩ . وانظر : تفسير البحر المحيط ٢ : ١١٣ .

(٧) أسباب النزول للواحدي ص ٤٣ . وانظر : تفسير الطبري ٢ : ٣١٢ . وتفسير القرطبي ٣ : ١٤ . والدر المنثور ٢ : ٥٧٢ .

سمى الأخنس لأنه خنس[١] يوم بدر بثلاثمائة رجل من حلفائه من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان الأخنس حلو الكلام والمنظر.[٢]

وقد أقبل الى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة فأظهر له الاسلام فأعجب النبى صلى الله عليه وسلم ذلك منه .. وقال انما جئت أريد الاسلام . والله يعلم أنى صادق . وذلك قوله (ويشهد الله على ما فى قلبه) ثم خرج من عند النبى صلى الله عليه وسلم فمر بزرع لقوم من المسلمين وحمر ، فأحرق الزرع وعقر الحمر ، فأنزل الله عز وجل (واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل) .[٣]

وقال ابن عباس فى رواية أخرى والضحاك : ان كفار قريش بعثوا الى النبى صلى الله عليه وسلم انا قد أسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء أصحابك فبعث اليهم جماعة فنزلوا ببطن الرجيع[٤] ووصل

---

(١) خنس : أى تأخر . القاموس المحيط ٢ : ٢١٢ .

(٢) تفسير القرطبى ٣ : ١٤ .

(٣) تفسير ابن جرير الطبرى ٢ : ٣١٢ ، ٣١٧ . وانظر : تفسير الشوكانى ١ : ٢٠٧ .

(٤) الرجيع : موضع من بلاد هذيل بين مكة والمدينة . وقصة أصحاب الرجيع ورد ذكرها فى صحيح البخارى كتاب المغازى باب غزوة الرجيع ٥ : ٤٠ . وانظر : تفسير ابن الجوزى ١ : ٢١٨ ، والفتح : ٧ : ٣٧٨ .

الخبر إلى الكفار فركب منهم سبعون راكبا وأحاطوا بهم وقتلوهم وصلبوهم . ففيهم نزلت) .[١]

والذى يلاحظ أن قصة الأخنس بن شريق تتقارب مع سياق الآية الكريمة مما يقوي القول بأن الآية نزلت فيه وهو قول عطاء وقول ابن عباس فى الرواية الأولى . وفى الآية الكريمة توجيه كريم فيما ينبغى أن يكون عليه المسلم من طهارة القلب ولين الجانب وأن يألف ويؤلف وأن يكون صادقا فى القول والعمل والاعتقاد مخلصا قلبه لله تعالى .

فالله سبحانه وتعالى مطلع على القلوب التى هى محط الثبات والتى عليها يكون الحساب .

المثال الرابع :

قال الله تعالى : (ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) .[٢] قال أكثر العلماء نزلت هذه الآية الكريمة فى صهيب بن سنان الرومى وهو قول سعيد بن المسيب وعطاء .[٣]

---

(١) تفسير الرازى ٥ : ١٩٧ . وانظر لباب النقول فى أسباب النزول للسيوطى ص ٤٠ .

(٢) البقرة : ٢٠٧ .

(٣) تفسير البغوى ١ : ١٨٢ . وتفسير النسفى ١ : ١٦٥ .

قال ابن كثير: قال ابن عباس وسعيد بن المسيب وعكرمة وجماعة: نزلت في صهيب بن سنان الرومي.[(١)]

وأخرج ابن مردويه[(٢)] عن صهيب قال: لما أردت الهجرة من مكة إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالت قريش: ياصهيب قدمت إلينا ولا مال لك وتخرج أنت ومالك والله لا يكون ذلك أبدا. فقلت لهم أرأيتم إن دفعت لكم مالي تخلون عني؟ قالوا: نعم. فدفعت إليهم مالي فخلوا عني فخرجت حتى قدمت المدينة فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: ربح البيع صهيب مرتين. وفي رواية أخرى: حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة فوجدته وأبا بكر جالسين فلما رآني أبو بكر قام إلي فبشرني بالآية التي نزلت فيّ.

وفي رواية أخرى: حتى قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء قبل أن يتحول منها فلما رآني قال ياأبا يحيى ربح البيع. وفي رواية ثم تلا هذه الآية: (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ...).[(٣)]

وفي رواية الحاكم فلما رآني قال ياأبا يحيى ربح البيع

---

(١) تفسير ابن كثير ١: ٢٤٧.

(٢) لباب النقول للسيوطي ص ٤٠ . والدر المنثور ١: ٢٧٥.

(٣) أسباب النزول للواحدي ص ٤٢ . والمستدرك للحاكم ٣: ٣٩٨.

ثلاثا . فقلت يارسول الله ماسبقني إليك أحد وما أخبرك إلا جبريل عليه السلام. قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي وقال صحيح .[1]

---

(١) المستدرك للحاكم ٣ : ٤٠٠ . وانظر: الصحيح المسند للوادعي ص ٢٣ .

المثـــال الخامـــس :

قال الله تعالى : (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)[١] .

قال ابن عباس[٢] وعطاء[٣] لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اشتد الضرر عليهم بأنهم خرجوا بلا مال وتركوا ديارهم وأموالهم بأيدي المشركين وآثروا رضى الله ورسوله وأظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأسر قوم من الأغنياء النفاق . فأنزل الله

---

(١) البقـــرة : ٢١٤ .
(٢) تفسير الفخر الرازى ٦ : ١٩ .
(٣) الكشف والبيان للثعلبى ١ : ٢٠٥ مخطوط . انظر : تفسير ابن جرير الطبرى ٢ : ٣٤٠ . وتفسير ابن الجوزى ١ : ٢٢١ . وتفسير القرطبى ٣ : ٣٣ . وتفسير البحر المحيط ٢ : ١٣٩ .

تعالى تطيبها لقلوبهم "أم حسبتم .." وقول ابن عباس وعطاء في سبب نزول هذه الآية خلاف قول أكثر المفسرين . وقال قتادة والسدى [١] نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ماأصابهم من الجهد والشدة والبرد وسوء العيش وأنواع الأذى ، وكان كما قال الله تعالى (وبلغت القلوب الحناجر) [٢] وهو قول أكثر المفسرين [٣]. والآية الكريمة تضمنت مايثبت قلوب المؤمنين من الوعد بالنصر مما يناسب نزول الآية في حالة حرب "غزوة الخندق" ويؤكد قول الله تعالى : (ألا إن نصر الله قريب) .

المثال السادس :

قال الله تعالى : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون) [٤].

قال أبو حيان في البحر المحيط: نزلت على قول الجمهور

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص ٤٤ .
(٢) الأحزاب: ١٠ .
(٣) تفسير الثعالبى ١ : ١٦٤ . والدر المنثور ١ : ٢١٥ . ولباب النقول أيضا ص ٤١ . وتفسير ابن كثير ١ : ٢٥١ . وتفسير الألوسى ٢ : ١٠٣ . وتفسير الشوكانى ١ : ٢١٥ .
(٤) آل عمران : ١٣٥ .

في نبهان[١] وكنيته أبو مقبل أتته امرأة تشترى منه تمرا فضمها وقبلها ثم ندم. وقيل ضرب على عجزها[٢]. وقيل أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها: إن هذا التمر ليس بجيد وفي البيت أجود منه. فذهب بها إلى بيته فضمها إلى نفسه وقبلها، فقالت له اتق الله فتركها وندم فأتى النبى صلى الله عليه وسلم وقيل وهو يبكى[٣] وذكر له ذلك فنزلت هذه الآية. وهو قول ابن عباس في رواية عطاء.[٤]

وفي رواية أخرى عن عطاء[٥] وابن مسعود[٦] "أن الصحابة قالوا: يارسول الله كانت بنو إسرائيل أكرم على الله منا. حيث كان المذنب منهم تصبح عقوبته مكتوبة على باب داره. وفي رواية: كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة داره: اجدع أنفك اقطع أذنك، افعل كذا. فأنزل الله تعالى هذه الآية توسعة ورحمة وعوضا من ذلك الفعل[٧] ببنى إسرائيل".

ورواية عطاء قال: "قال المسلمون يارسول الله بنو إسرائيل كانوا أكرم على الله منا. كانوا إذا أذنب أحدهم ذنبا

---

(١) تفسير البغوى والخازن ١: ٣٥٢. والألوسى ٤: ٥٩ (تيهان التمار). وفي البحر المحيط ٣: ٥٩ (منهال التمار).
(٢) تفسير البحر المحيط ٣: ٥٩.
(٣) الصاوى على الجلالين ١: ١٥٩.
(٤) تفسير ابن الجوزى ١: ٤٦١. وأسباب النزول للواحدى ص ٩١.
(٥) أخرجها عبد بن حميد وابن المنذر. الدر المنثور ٤: ٣١٤.
(٦) تفسير ابن جرير الطبرى ٤: ٩٥.
(٧) تفسير القرطبى ٤: ٢٠٩.

أصبح وكفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه: اجدع أنفك. اجدع أذنك. افعل كذا وكذا. فسكت. فنزلت هذه الآيات (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم)[١] إلى قوله: (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبركم بخير من ذلك؟ ثم تلا تلك الآيات عليهم".[٢]

وقال الألوسي: أنت تعلم أنه لا مانع من تعدد أسباب النزول[٣] إلا أنه من الملاحظ التصريح بالرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم في رواية ابن مسعود وعطاء. وقد اكتفى بذكرها ابن جرير الطبري[٤] في سبب نزول الآيات الكريمة. ولعله ترجح عنده صحة رواية ابن مسعود[٥] وعطاء.

المثال السابع:

قال الله تعالى: (لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا

---

(١) آل عمران: ١٣٣ - ١٣٥.
(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٤: ٥٠٩، والدر المنثور ٢: ٤٢٣.
(٣) تفسير الألوسي ٤: ٥٦ ، ٦٠.
(٤) تفسير ابن جرير الطبري ٤: ٩٥.
(٥) ولأن ابن مسعود رضي الله عنه من المختصين بمعرفة أسباب نزول الآيات حيث قال: (... ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن نزلت...). الفتح ٩: ٤٧.

والله يحب المطهرين . عن عطاء قال :أحدث قوم الوضوء بالماء من أهل قباء فنزلت فيهم (فيه رجال يحبون أن يطهروا ....) [٢] وقال عطاء: كانوا يستنجون بالماء ولا ينامون بالليل على جنابة . [٣]

ويؤيد قول عطاء الحديث المروى : "أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأهل قباء إن الله قد أحسن الثناء عليكم في الطهور وقال "فيه رجال يحبون أن يتطهروا" حتى انقضت الآية . فقال لهم ماهذا الطهور ؟". وفى رواية : (فقال رسول الله يامعشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم خيرا فى الطهور فما طهوركم هذا ؟ قالوا : يارسول الله نتوضأ للصلاة والغسل من الجنابة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل مع ذلك غيره ؟ قالوا : لا غير أن أحدنا إذا خرج من الغائط أحب أن يستنجى بالماء. قال هو ذاك) . قال الحاكم هذا حديث كبير صحيح فى كتاب الطهارة [٤] وتعقبه الذهبى وقال : (صحيح) . [٥]

---

(١) التوبة : ١٠٨ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ١١ : ٣١ .

(٣) تفسير البغوى ٣ : ٣٢٨ .

(٤) المستدرك للحاكم. باب الاستنجاء بالماء اذا خرج من الغائط ١ : ١٥٥ .

(٥) المستدرك ١ : ١٥٥ .

المثـــال الثامـــن :

قال الله عز وجل : (وأقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)[1].

أخرج ابن جرير الطبرى عن عطاء قال أقبلت امرأة حتى جاءت إنسانا يبيع الدقيق لتبتاع منه فدخل بها البيت فلما خلا له قبلها . . . فانطلق إلى أبى بكر فذكر ذلك له فقال أبصر لا تكونن امرأة رجل غاز . فبينما هم على ذلك نزل فى ذلك (وأقم الصلاة . . . . . .) الآية[2]

وفى سبب نزول هذه الآية الكريمة وردت روايات متقاربة تؤيد قول عطاء أصحها مارواه الشيخان من حديث ابن مسعود قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى عالجت امرأة فى أقصى المدينة وإنى أصبت منها مادون

---

(١) هـــود : ١١٤ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ١٢ : ١٣٧ . وانظر: الدر المنثور ٤ : ٤٨٤ .

أن أمسها فأنا هذا فاقض في ماشئت. فقال عمر لقد سترك الله. لو سترت نفسك، قال فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئا. فقام الرجل فانطلق فأتبعه النبي رجلا دعاه، وتلا عليه هذه الآية: (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين). فقال رجل من القوم يانبي الله هذا له خاصة ؟ قال بل للناس كافة) واللفظ لمسلم[(١)] . قوله: (عالجت امرأة واني أصبت منها مادون أن أمسها) قال النووي: أي تناولها واستمتع بها بالقبلة والمعانقة وغيرها من جميع أنواع الاستمتاع الا الجماع.[(٢)] وفي الآية الكريمة باب من أبواب كرم الله تعالى وفضله حيث يغفر الذنوب ويعفو عن السيئات ويقبل توبة التائبين.

كما يجب الانتباه. فان التمادي في العصيان غرور بالرب العظيم الكريم، فالله سبحانه وتعالى غفور رحيم وشديد العقاب. قال الله تعالى: (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير).[(٣)]

وبهذه الأمثلة اتضح علم عطاء بأسباب النزول واستعانته بها في التفسير.

---

(١) صحيح مسلم. كتاب التوبة. باب قوله تعالى (ان الحسنات يذهبن السيئات). ٤: ٢١١٥، أسباب النزول للواحدى ص ٢٠١. ولباب النقول للسيوطى ص ١٢٨. الصحيح المسند للوادعي ص ٨٥.

(٢) شرح النووى على صحيح مسلم ١٧ : ٨٠. وانظر الفتح ٨ : ٣٥٧.

(٣) غافر: ٣.

المبحث الثاني

أقوال علماء في المكي والمدني

وعلم المكي والمدني يختص بمعرفة الآيات والسور المكية والمدنية. ويتفرع منها مانزل بالليل والنهار وفي الحضر والسفر وغير ذلك وتحديد نزول القرآن الكريم بالزمان والمكان ومعرفة أسباب النزول دليل على اهتمام أصحاب رسول الله الأمناء رضوان الله عليهم بهذا القرآن الكريم فنقلوا الينا هذا العلم أيضا بجانب العلوم الأخرى. ولقد اشتهر من الصحابة بهذا العلم الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود. فقد أخرج الامام البخاري عنه (قال والله الذي لا اله غيره ماأنزلت سورة من كتاب الله الا أنا أعلم أين نزلت ولا أنزلت آية من كتاب الله الا أنا أعلم فيمن نزلت. ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الابل لركبت اليه).[1]

الراجح المشهور في تعريف المكي والمدني :

ان المكي مانزل قبل الهجرة والمدني مانزل بعد الهجرة

---

(١) صحيح البخاري. كتاب فضائل القرآن. باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. ٦: ١٠٢

ولو كان بمكة أو ضواحيها . وتسمى السورة مكية أو مدنية على حسب الغالب. فقد تكون بعض الآيات في السور المكية مدنية وبعضها في السور المدنية مكية.[(١)]

من أهم فوائد معرفة المكي والمدني :

من فوائد معرفة المكي والمدني :

١) معرفة تاريخ التشريع .

٢) الحكمة في التدرج في الأحكام ومعرفة المتقدم من المتأخر من الآيات الكريمة ومن ثم معرفة الناسخ والمنسوخ .

فجميع الأحوال والملابسات والظروف والزمان والمكان الذى نزل فيه القرآن الكريم محفوظ. وهذا دليل على الثقة بوصول القرآن الكريم إلينا تاما سليما من التبديل والتحريف[(٢)] وصدق من الله تعالى ذكره (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)[(٣)].

طرق معرفة المكي والمدني :

معرفة هذا العلم يعتمد على النقل الصحيح عن الصحابة

---

(١) انظر البرهان ١ : ١٨٧ والإتقان ١ : ٢٨ ومناهل العرفان ١ : ١٨٨ .

(٢) مناهل العرفان ١ : ١٨٨ .

(٣) الحجر : ٩ .

والتابعين رضوان الله عليهم في بيان الأحوال والأزمنة والأماكن التي نزل فيه القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم. ولما كان الصحابة قد نقلوا إلينا ذلك كان قولهم مقدما على قول غيرهم لما شاهدوا من الوحي والتنزيل[1] وإنما ساغ الاختلاف في المكي والمدني لأن القول فيه ضرب من الرأي والاجتهاد. ولم يرد التنصيص في ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم بشيء لأنه لم يؤمر به ولم يجعله الله من فرائض الأمة وإن وجب في بعضه على أهل العلم.[2]

أهم خصائص السور والآيات المكية:

من أبرز صفات وخصائص السور والآيات المكية:

١) تصحيح العقيدة والاستدلال على الوحدانية وذكر الآيات الكونية وإبطال الشرك.

٢) إثبات رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم. كما تحدثت الآيات المكية عن الدار الآخرة وما فيها من البعث والجزاء. والكشف عن حال المؤمنين وما وعدهم الله سبحانه وتعالى به من النعيم المقيم وما توعد الله سبحانه وتعالى به الكافرين من العذاب الأليم.

---

(١) سبق الإشارة إلى أن قول الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع انظر: ص ٤٢ من الرسالة

(٢) انظر البرهان ١: ١٩٢.

٣) جاء القسم المكي بالأصول العامة للتشريع. والتفصيلات الفرعية ذكرت في القسم المدني[١] ومن جملة العلامات التي قال بها العلماء في التمييز بين سور وآي القرآن الكريم :-

- كل سورة فيها " يا أيها الناس " وليس فيها " يا أيها الذين آمنوا " فهي مكية. وفي سورة الحج خلاف .
- وكل سورة فيها (كلا) فهي مكية. وكل سورة فيها حروف التهجي فهي مكية إلا البقرة وآل عمران فإنهما مدنيتان بلا خلاف.
- وفي سورة الرعد خلاف. وكل سورة فيها قصة آدم وإبليس فهي مكية. وكل سورة فيها ذكر المنافقين فمدنية سوى العنكبوت. وكل سورة فيها سجدة فهي مكية.....[٢]

من أهم خصائص السور والآيات المدنية :

من أبرز هذه الخصائص. أن السور والآيات المدنية بينت حال المجتمع المدني وقت الهجرة كما تعرضت لبيان التشريعات وتفصيل الأحكام العملية في العبادات والمعاملات مع بيان قواعد الجهاد والأحكام المتعلقة بالحروب والغزوات والصلح والمعاهدات[٣]

---

(١) خصائص السور والآيات المكية ص٣٢ - ٤١ ومناهل العرفان .

(٢) انظر البرهان ١ : ١٨٨ . ومناهل العرفان ١ : ١٩٠ .

(٣) انظر خصائص السور والآيات المكية ص١١ - ٢١ ومناهل العرفان ١ : ١٩٢ . وخصائص السور والآيات المدنية ص١٥

والخصائص التي ذكرت في المكي والمدني إنما هي على سبيل الغالب وهذا القول الصحيح .[1] ولما كان من شروط أهلية المفسر علمه بالمكي والمدني تعرض هنا بعض ما ورد عن علماء في معرفة المكي والمدني .

١ - سورة الفاتحة :

قيل إنها مكية وقيل مدنية. قال القرطبي : القول الأول أصح[2] روى عن علي رضي الله عنه وابن عباس أنها مكية وبه قال الضحاك ومقاتل وعطاء وقتادة وأبو العالية وغيرهم[3] وهو قول أكثر العلماء،[4] وقول عطاء متفق مع قول الجمهور. ومما يرجح قول الجمهور ويؤيده . أن الله سبحانه وتعالى امتن على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بنزول فاتحة الكتاب بقوله تعالى ذكره (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم)[5] وسورة الحجر مكية بلا خلاف ولم يكن الله سبحانه وتعالى ليمتن على رسوله صلى الله عليه وسلم بإعطائه فاتحة الكتاب وهو بمكة ثم ينزلها بالمدينة ولا يقبل القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة بضع عشرة سنة يصلي بلا

---

(١) انظر البرهان ١ : ١٩٠ .
(٢) تفسير القرطبي ١ : ١١٥ .
(٣) البرهان ١ : ١٩٤ .
(٤) أسباب النزول للواحدي ص ١٧ . وانظر الفتح ٨ : ١ .
(٥) الحجر : ٨٧ .

فاتحة الكتاب .[1]

٢ - سورة القصص :

كلها مكية في قول عبد الله بن الزبير وابن عباس[2] وبه قال الحسن وعطاء وعكرمة. وقال ابن عباس في رواية أخرى وقتادة والضحاك إلاّ آية واحدة فقد نزلت بين مكة والمدينة بالجحفة[3]. وقال عبد الله بن سلام وهي وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم. أخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة فبلغ الجحفة اشتاق إلى مكة فأنزل الله عليه (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد)[4] وقال مقاتل[5] فيها من المدني من قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين)[6] وروى الزهرى القول عن علمائه بأن هذه الآيات المذكورة نزلت في

---

(١) أسباب النزول للواحدى ص ١٧ وانظر: تفسير البغوى ١ : ٣٧ وتفسير القرطبى ١ : ١٥٥ والإتقان ١ : ٣٥.

(٢) الدر المنثور ٦ : ٣٨٩.

(٣) ميقات أهل الشام وكان اسمها مهيعة فأجحف السيل بأهلها فسميت جحفة ، مختار الصحاح للرازى ص ٧٩.

(٤) القصص ٨٥ وانظر: الدر المنثور ٦ : ٤٤٥.

(٥) البرهان ١ : ٢٠١.

(٦) القصص ٥٢-٥٥ انظر: تفسير البغوى ١ : ٤٣٢.

النجاشي وأصحابه[1] وقد أشار ابن الجوزي إلى ضعف قول مقاتل[2] فسورة القصص مكية كما ذكر في بعض أقوال المفسرين ومنهم عطاء واستثنى بعضهم من آياتها. التي سبق بيانها.[3]

٣ - سورة السجدة:

سورة السجدة مكية عند أكثر المفسرين[4] وهي ثلاثون آية.

قال ابن عباس[5] وعطاء[6] والكلبي ومقاتل[7] إلا ثلاث آيات فهي مدنية من قوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ...... إلى آخر ثلاث آيات. وقول آخر إلا خمس آيات هي قوله الله تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون. فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون . أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون)[8]

---

(١) تفسير ابن كثير ٤: ٣٩٤.
(٢) تفسير ابن الجوزي ٦: ٢٠٠.
(٣) تفسير الماوردي ٣: ٢١٥. وانظر: تفسير ابن الجوزي ٦: ٢٠٠ وتفسير القرطبي ١٣: ٢٤٧. وتفسير ابن كثير ٣: ٣٧٩، ٣٩٤ ولباب النقول للسيوطي ص ١٦٦ وتفسير الشوكاني ٤: ١٥٧.
(٤) تفسير الماوردي ٣: ٢٩١.
(٥) تفسير البحر المحيط ٧: ١٩٦، ٢٠٢.
(٦) تفسير البغوي ٤٩٧: ٤ . (٧) تفسير الماوردي ٣: ٢٩١.
(٨) السجدة : ١٦ - ٢٠.

ولقد أخرج النحاس عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال نزلت سورة السجدة بمكة سوى ثلاث آيات (أفمن كان مؤمنا ....) إلى تمام ثلاث آيات[1] وفي قوله تعالى (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) نزلت في على بن أبى طالب رضي الله عنه والوليد بن عقبة بن أبى معيط.[2]

قال الألوسي : واستثنى بعضهم أيضا آيتين آخريين وهما (تتجافى جنوبهم عن المضاجع...) إلى تمام الآيتين (يشير إلى القول الثاني) . واستدل عليه ببعض الروايات في سبب النزول ... واستبعد استثناؤهما لشدة ارتباطهما بما قبلهما.[3] والذى يلاحظ أن الآيات الكريمة المستثناة ملتحمة الترابط ومحكمة الاتصال في السياق . حيث ذكرت أوصاف من قام بعبادة ربه وطاعته فله الجنة ومن خرج عن الطاعة أصبح فاسقا وله النار والعياذ بالله منها . وهذا الوصف يقوى سبب النزول بأن هذه الآيات مدنية فلا وجه لاستبعاد القول الثاني إذا ثبت صحة رواية سبب النزول ولأن ترتيب السور والآيات أمر توقيفي من النبي صلى الله عليه وسلم.

قال السيوطي : سورة السجدة مكية استثنى منها ابن عباس

---

(١) الدر المنثور ٦ : ٥٣٤ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ٢١ : ١٠٧ ، ٩٩ وتفسير ابن كثير ٣ : ٤٦٢ وانظر: أسباب النزول للواحدى ص ٣٦٨ .

(٣) تفسير الألوسي ٢١ : ١١٥ .

قوله قال (أفمن كان مؤمنا .....) إلى تمام الثلاث الآيات وزاد غيره (تتجافى جنوبهم عن المضاجع ...)[1] فأصبحت خمس آيات مدنية. ويؤيده ما روى عن أنس بن مالك أن هذه الآية نزلت في رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء[2] ويؤيده أيضا ما أخرجه البزار[3] وابن مردويه عن بلال قال كنا نجلس في المسجد وناس من الصحابة يصلون بعد المغرب إلى العشاء فنزلت. وأخرج كذلك ابن مردويه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فينا (تتجافى جنوبهم عن المضاجع ....)[4] ويقوى ما روى عن أنس بن مالك وبلال ما أخرجه الترمذي وصححه عن أنس بن مالك أن هذه الآية (تتجافى جنوبهم عن المضاجع ....) نزلت في صلاة العتمة[5] وهي صلاة العشاء. فكان بعض الصحابة لا ينامون حتى يصلوا العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم. وكان بعضهم رضي الله عنهم أجمعين يتنفلون بين المغرب والعشاء فنزلت فيهم. فسورة السجدة مكية استثنى بعضهم ثلاث آيات وفي رواية خمس آيات

---

(١) الإتقان ١ : ٤٥ والدر المنثور ٦ : ٥٤٥ - ٥٥٣.

(٢) تفسير ابن جرير ٢١ : ١٠٠ وانظر الدر المنثور ٦ : ٥٤٦.

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ٧ : ٩٠.

(٤) أسباب النزول للواحدي ص ٢٦٦ وانظر: الإتقان ٣ : ٤٥.

(٥) سنن الترمذي. كتاب التفسير باب تفسير سورة السجدة ، ٥ : ٣٢٣.

مدنية ويؤيد هذا الاستثناء بعض الروايات التي تبين سبب نزولها. فيعتضد قول عطاء وغيره في استثناء الآيات التي ذكرت من سورة السجدة متى ثبت صحة الرواية في سبب نزول هذه الآيات والله أعلم.

٤ - سورة الرحمن :

مختلف فيها. فهي مكية على قول الجمهور كما ذكره ابن الجوزي[١] وصححه القرطبي[٢] وحكاه السيوطي وصوبه[٣] وقول القرطبي بأن سورة الرحمن مكية مستند على ما روى عن عروة بن الزبير قال أول من جهر بالقرآن بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود .... قام عند المقام فقال (بسم الله الرحمن الرحيم. الرحمن علم القرآن)[٤] ويؤيد هذه الرواية ما أخرجه الإمام أحمد[٥] وابن مردويه (بسند حسن)[٦] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وهو يصلي نحو الركن قبل أن يصدع بما يؤمر. والمشركون يسمعون (فبأي آلاء ربكما تكذبان)[٧] فسورة الرحمن

---

(١) تفسير ابن الجوزي ٨ : ١٠٥.
(٢) تفسير القرطبي ١٧ : ١٥١ وانظر مجمع الزوائد للهيثمي ٧ : ١١٧.
(٣) الإتقان ١ : ٣٧.
(٤) تفسير القرطبي ١٧ : ١٥١. الرحمن : ١ - ٢
(٥) في المسند ٦ : ٣٤٩.
(٦) قاله السيوطي في الدر المنثور ٧ : ٦٨٩ وقال في الإتقان "السند جيد" ١ : ٣٨ قال ابن حجر الهيثمي : وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد ٧ : ١١٧
(٧) الدر المنثور ٧ : ٦٨٩. الرحمن : ١٣

مكية . وهو قول أم المؤمنين عائشة بنت الصديق رضي الله عنها وقول عبد الله بن الزبير[1] وعروة بن الزبير[2] وبه قال عطاء والحسن ومقاتل[3] وعكرمة[4] وقال ابن عباس رضي الله عنهما الا آية وهي قوله تعالى (يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن)[5]، [6] فقول عطاء بأن سورة الرحمن مكية متفق مع قول الجمهور.

وسورة الرحمن مدنية عند ابن مسعود وابن عباس ومقاتل في رواية[7] والذى يلاحظ في طباعة المصحف المتداولة أن سورة الرحمن مدنية وهو قول البغوى.[8]

قال الشوكانى : ويمكن الجمع بين القولين بأنه نزل بعضها بمكة وبعضها فى المدينة[9] وهو قول جيد . فيمكن القول بأن سورة الرحمن مدنية باعتبار آخرها ، ومكية باعتبار أولها نزولا . والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

٥ - سورة الواقعة :

قال الأكثرون انها سورة مكية منهم جابر بن عبد الله[10]

---

(١) أخرجه ابن مردويه . الدر المنثور ٧ : ٦٨٩ .
(٢) تفسير الشوكانى ٥ : ١٣٠ .
(٣) تفسير ابن الجوزى ٨ : ١٠٥ .
(٤) تفسير الماوردى ٤ : ١٤٥ .
(٥) تفسير الماوردى ٤ : ١٤٥ . وانظر : تفسير البحر المحيط ٨ : ١٨٧ .
(٦) الآية المستثناة رقم ٢٩ .
(٧) تفسير ابن الجوزى ٨ : ١٠٥ . وانظر تفسير الماوردى ٤ : ١٤٥ .
(٨) تفسير البغوى ٤ : ٢٦٦ .
(٩) تفسير الشوكانى ٥ : ١٣٠ .
(١٠) تفسير الماوردى ٤ : ١٦٣ .

وابن الزبير[1] وعطاء وعكرمة والحسن وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها فقد نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)[2][3] وقال الكلبي إلا أربع آيات وهي (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين)[4] نزلتا في سفره إلى المدينة وقوله تعالى (أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون)[5] نزلتا في سفره إلى مكة.[6]

والقول باستثناء بعض الآيات من سورة الواقعة. لعله يؤيده ما ورد في سبب نزول بعض الآيات. ما أخرجه الإمام مسلم. عن ابن عباس قال : مطر الناس على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم. أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله. وقال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا قال فنزلت هذه الآية (فلا أقسم بمواقع النجوم) حتى بلغ (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون).[7][8]

فسورة الواقعة مكية في أكثر الأقوال ومنهم عطاء وبه قال

---

(١) ولعله عبد الله أو عروة - أخرجه ابن مردويه - الدر المنثور ٨ : ٣.

(٢) تفسير الماوردي ٤ : ١٦٣.

(٣) الواقعة : ٨٣.

(٤) آية رقم ٣٩ ، ٤٠.

(٥) آية رقم ٨١ ، ٨٢.

(٦) تفسير القرطبي ١٧ : ١٩٤ وانظر تفسير الشوكاني ٥ : ٤٦ وتفسير الألوسي ٢٧ : ١٢٨ ومجمع الزوائد ٧ : ١١٨.

(٧) الآيات الكريمة من رقم ٧٥ - ٨٢.

(٨) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب (كفر من قال مطرنا بالنوء) ١ : ٨٣ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٢ : ١٩٨ ح ١٢٨٨٢ وأخرجه ابن عساكر: الدر المنثور ٧ : ٢٩ وانظر الإتقان ١ : ٤٨.

البغوى[1] وأبو حيان[2] وابن كثير.[3]

٦ - سورة المجادلة :

مدنية عند الأكثرين[4] ومنهم ابن الزبير وعبد الله ابن عباس[5] وبه قال مجاهد والحسن وعكرمة. وورد عن عطاء أنه قال العشر الأول منها مدني والباقي مكي[6] وقال الكلبي وابن السائب: نزلت جميعها بالمدينة غير قوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)[7] نزلت بمكة.[8] وبه قال البغوى[9] وابن كثير.[10]

---

(١) تفسير البغوى ٤ : ٢٧٩.
(٢) البحر المحيط ٨ : ٢٠٢.
(٣) تفسير ابن كثير ٤ : ٢٨١.

(٤) تفسير الماوردى ٤ : ١٩٨.
(٥) أخرجه ابن مردويه - الدر المنثور ٨ : ٣.
(٦) تفسير الماوردى ٤ : ١٩٨ وتفسير ابن الجوزى ٨ : ١٨٠. وانظر تفسير البحر المحيط ٨ : ٢٣٢.
(٧) آية رقم ٧.
(٨) تفسير القرطبي ١٧ : ٢٦٩ وانظر تفسير الشوكاني ٥ : ١٨١ وتفسير الآلوسي ٢٨ : ٢.
(٩) تفسير البغوى ٤ : ٣٠٢.
(١٠) تفسير ابن كثير ٤ : ٣١٨.

والمتمعن في سورة المجادلة يلاحظ فيها بيانا للأحكام وتفصيلا لها . وأن آيات سورة المجادلة يغلب عليها الطابع المدني والله سبحانه أعلم .

٧ - سورة المطففين :

مختلف فيها قيل مكية وقيل مدنية. فهي مكية في قول ابن عباس وابن الزبير[1] وابن مسعود . وبه قال مقاتل ويحيى بن سلام وفي رواية أخرى قال ابن عباس هي آخر ما نزل بمكة وبه قال عطاء ومجاهد[2] وقال الحسن وعكرمة في رواية أخرى بأنها سورة مدنية وفي رواية أخرى لمقاتل قال هي أول سورة نزلت بالمدينة وفيها آية مكية وهي قوله تعالى (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) .[3]

وفي رواية أخرى قال ابن عباس وقتادة سورة المطففين مكية إلا ثماني آيات فهي مدنية وهي (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وإذا مروا بهم يتغامزون. وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين. وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون.

---

(١) الدر المنثور ٨ : ٤٤١ .

(٢) تفسير الماوردي ٤ : ٤١٨ وتفسير ابن الجوزي ٩ : ٥٠ وانظر البرهان ١ : ١٩٤ وتفسير القرطبي ١٩ : ٢٦٩ .

(٣) آية رقم ١٣ .

وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) .[١]

والذى يؤكد استثناء بعض الآيات من سورة المطففين بأنها مدنية ما ورد فيه سبب نزول خاص. وهو: ما أخرجه ابن جرير الطبرى بسنده عن ابن عباس قال: (لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل)[٢] وقد أشار ابن حجر[٣] والسيوطي[٤] إلى صحة سنده إلى ابن عباس كما أخرجه ابن ماجة[٥] وغيره. وفي رواية عن الكلبي وجابر بن زيد وابن السائب وغيره أن سورة المطففين نزلت بين مكة والمدينة.[٦]

والقول بأن سورة المطففين سورة مكية باستثناء أولها لثبوت سبب نزول خاص. يؤيده قول ابن مسعود والمصاحف المتداولة ذكرت بأن سورة المطففين آخر سورة نزلت بمكة وهو قول عطاء والله أعلم.

---

(١) من آية رقم ٢٩ إلى نهاية السورة.

(٢) تفسير ابن جرير ٣٠ : ٩١ .

(٣) الفتح ٨ : ٦٩٥ .

(٤) لباب النقول للسيوطي ص ٢٢٨ .

(٥) سنن ابن ماجة × كتاب التجارات باب التوقي في الكيل والوزن ٢ : ٧٤٨

(٦) تفسير الماوردى ٤ : ٤١٨ وانظر تفسير الشوكاني ٥ : ٣٩٤ وتفسير الألوسي ٣٠ : ٦٧ .

٨ - سورة التين :

مكية في قول الجمهور[1] منهم جابر بن عبد الله وابن عباس وعبد الله بن الزبير[2] وبه قال عطاء وعكرمة. وفي رواية عن ابن عباس وقتادة. هي مدنية.[3]

قال الألوسي : ويوافق قول الجمهور ويؤيده إشارة الحضور في قوله تعالى (وهذا البلد الأمين)[4] فإن المراد به مكة بإجماع المفسرين.[5] وتوجد فيها علامات قصر الآيات أيضا .

٩ - سورة الإخلاص :

فيها قولان. فهي مكية في قول ابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله وهو قول الحسن وعطاء وعكرمة[6] ومدنية في قول الضحاك والسدى وقتادة ورواية عن ابن عباس.[7]

قال السيوطي : وجمع بعضهم بينهما بتكرار نزولها[8]

---

(١) تفسير الماوردى ٤ : ٤٧٨.
(٢) الدر المنثور ٨ : ٥٥٣.
(٣) تفسير الماوردى ٤ : ٤٧٨ وانظر: تفسير ابن الجوزى ٩ : ١٦٨ وتفسير القرطبى ٢٠ : ١١٠ وتفسير ابن كثير ٤ : ٥٢٦. (٤) آية رقم ٣.
(٥) تفسير الألوسى ٢٠ : ١٧٣ وانظر : تفسير الشوكانى ٥ : ٤٦٤.
(٦) تفسير الماوردى ٤ : ٥٤٤.
(٧) تفسير الماوردى ٤ : ٥٤٤ وتفسير ابن الجوزى ٩ : ٢٦٤ وتفسير القرطبى ٢٠ : ٢٤٤ وانظر: تفسير ابن كثير ٤ : ٥٦٥ وتفسير الشوكاني ٥ : ٥١٣.
(٨) الإتقان ١ : ٤١.

ومما يرجح القول بأن سورة الإخلاص مكية ماروى في سبب نزولها .

فقد أخرج الإمام أحمد[١] والترمذى[٢][٣]

والحاكم عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن المشركين قالوا يامحمد (صلى الله عليه وسلم) انسب لنا ربك فأنزل الله عزوجل (قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد لم يخرجاه ووافقه الذهبي وقال (صحيح)[٤] ومن الملاحظ أن المصاحف المتداولة ذكرت بأن سورة الإخلاص مكية وهو قول عطاء وقد ذكر الألوسي القول بأن سورة الإخلاص مكية بالاتفاق.[٥]

وفي هذا القدركفاية في الاستدلال على قول عطاء في المكي والمدني وعلمه به وهذا من منهج عطاء في التفسير.

---

(١) في المسند ٥ : ١٣٤ .

(٢) جامع الترمذى كتاب التفسير باب ومن سورة الإخلاص ٩ : ٢٩٩ .

(٣) لباب النقول للسيوطى ص ٢٣٨ وانظر: أسباب النزول للواحدى ص ٥١١ .

(٤) المستدرك كتاب التفسير. تفسير سورة الإخلاص ٢ : ٥٤٠ .

(٥) تفسير الألوسي ٣٠ : ٢٦٦ .

المبحث الثالث

من أقوال علماء في القراءات

لمحة سريعة عن علم القراءات :

حفظ الله سبحانه وتعالى كتابه العزيز من التبديل والتحريف . ولقد كان الاعتماد في نقل القرآن الكريم على الحفظ في الصدور والسطور . تواترا عن النبي صلى الله عليه وسلم كما أنزل . ولما خص الله سبحانه وتعالى بحفظه من أهله . أقام له أئمة تجردوا لتعلمه والعناية به ، ومن رحمة الله بالأمة أنه سبحانه أقرهم على قراءات مختلفة بشروط محدودة .(١)

والقراءات : علم بكيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة(٢) وطريق معرفة هذا العلم التلقي والأخذ بالسماع والمشافهة ثقة عن ثقة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

فضل علم القراءات :

علم القراءات من أفضل العلوم لأن موضوعه كلمات القرآن حيث يبحث فيه كيفية أحوال النطق بكلمات القرآن وضبط

---

(١) القراءات القرآنية ص ١٢٥ بتصرف .

(٢) منجد المقرئين لابن الجزري ص ١٧٣ .

أوجه القراءات . والعالم بالقراءات تكون له صلة وثقى بالقرآن . ويصبح من أهل القرآن . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[1] وعلم القراءات من علوم القرآن . ومن أهم فوائد علم القراءات :

١) التيسير على الأمة الإسلامية .[2]

٢) الوقوف على الجانب الإعجازي . حيث فيه نهاية البلاغة وغاية الاختصار وجمال الإعجاز وعظيم البرهان ووضوح الدلالة . إذ مع كثرة الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض . بل كله يصدق بعضه بعضا ويبين بعضه بعضا . ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد . وماذاك إلا آية بالغة وبرهان قاطع على صدق رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .[3]

٣) دليل لاستنباط الفقهاء . ودلالة على ثروة اللغة العربية بألفاظها ومعانيها .[4]

---

(١) صحيح البخاري . كتاب فضائل القرآن باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه . ٦ : ١٠٨ وانظر : مقدمة النشر في القراءات العشر لابن الجزري .

(٢) الإبانة عن معاني القراءات لمكي ص ٥٩ .

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ١ : ٥٢ .

(٤) انظر : مقدمة اتحاف فضلاء البشر ص ٥

تاريخ مختصر من علم القراءات:

لما نزل جبريل بالقرآن الكريم وأقرأه النبى صلى الله عليه وسلم. ثم أقرأ النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه. ولما حدث اختلاف الصحابة فى القراءة احتكموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصوب النبى صلى الله عليه وسلم كلاً من المُختلفَيْن. وحَسَّن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما [1] وأخبر بأنهما كذلك أنزلت عن عروة بن الزبير أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن عبد القارى حدثاه أنهما سمعا عمر ابن الخطاب يقول: (سمعت هشام ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت أساوره [2] فى الصلاة. فتصبرت حتى سلم فلببته [3] بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ؟ قال أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: كذبت. فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن نزل على سبعة أحرف ١: ٥٦٠ وانظر الفتح ٩: ٢٤

(٢) أى أعجل عليه وآخذه بقوة قبل انتهاء صلاته.

(٣) أى جمعت عليه ثيابه عند لبته لئلا ينفلت منى. أى (أحكم توثيقه بثيابه لئلا يهرب منه).

اقـرأ ياهشـام. فقـرأ عليه القـراءة التي سمعته يقـرأ. فقال رسـول الله صلى الله عليه وسلم كذلك أنزلت. ثم قال اقـرأ ياعمـر. فقرأت القراءة التي أقـرأني فقال رسول الله كذلك أنزلت. ان هذا القـرآن أنـزل على سبعـة أحـرف فـاقـرأوا ماتيسـر منـه.[1]

---

(١) صحيح البخاري. كتاب فضائل القرآن. باب أنزل القرآن على سبعة أحرف. ٦: ١٠٠

القراء من الصحابة رضي الله عنهم :

من أعلام الصحابة الذين أتقنوا القرآن الكريم . الخلفاء الأربعة وأبي بن كعب وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري[1] وزيد بن ثابت[2] رضي الله عنهم أجمعين .

أعلام القراء من التابعين :

تلقى التابعون القرآن الكريم عن الصحابة رضي الله عنهم . ومن أعلام التابعين في المدينة معاذ بن الحارث[3] وسعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج . وغيرهم .

وفي مكة : عطاء وعبيد بن عمير ، ومجاهد بن جبير ، وطاووس بن كيسان ، وعكرمة مولى ابن عباس .

وفي الكوفة : علقمة بن قيس ، ومسروق بن الأجدع ، وإبراهيم النخعي .

---

(١) قال له النبي صلى الله عليه وسلم : (لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود) صحيح البخاري . باب حسن الصوت بالقرآن . ٦ : ٩١٢ .

(٢) صحيح البخاري . باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ٦ : ١٠٢ .

(٣) هو معاذ بن الحارث المازني النجاري المدني القاري . أقامه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيمن أقام في رمضان ليصلي التراويح . قيل له صحبة . قتل يوم الحرة سنة ثلاث وستين هجرية وله تسع وستون سنة . تهذيب التهذيب ١٠ : ١٨٨ .

وفي البصرة : أبو العالية ، وقتادة ، وعامر بن قيس. وفي الشام : المغيرة بن أبي شهاب المخزومي ، وخليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء.

وقد أخذت القراءات عن التابعين وأتباعهم ، ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءات أتم عناية حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل اليهم ويؤخذ عنهم.

وأراد الناس في العصر الرابع أن يقتصروا من القراءات التي توافق المصحف على مايسهل حفظه ، وتنضبط القراءة به. فنظروا الى امام مشهور بالثقة والأمانة في النقل وحسن الدين وكمال العلم. قد طال عمره واشتهر أمره بالثقة وأجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل وثقته فيما قرأ وروى. وعلمه بما يقرأ. فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب اليهم بأن فردوا من كل مصر وجّه إليه عثمان مصحفاً إماماً هذه صفته ، فكان أبو عمرو من أهل البصرة وحمزة وعاصم من أهل الكوفة .... (١)

وأول من اقتصر على هؤلاء القراء أبو بكر بن مجاهد قبل سنة ثلاثمائة أو في نحوها.

قال ابن الجزري : (...رضي الله عن أئمة القراءات المهرة خصوصا القراء العشرة الذين كل منهم تجرد لكتاب الله فجوده وحرره ورتله كما أنزل وعمل به وتدبره وزينه بصوته وتغنى به وحبره. ورحم الله السادة المشايخ الذين جمعوا في اختلاف حروفه ورواياته المبسوطة والمختصرة .... وبعد فان الانسان لا يشرف الا بما يعرف ولا يفضل الا بما يعقل ولا ينجب الا بمن يصحب. ولما كان القرآن العظيم أعظم

---

(١) الابانة عن معاني القراءات ص ٦٣ - ٦٧. والنشر في القراءات العشر ١ : ٨. وللتوسع انظر : كتاب معرفة القراء الكبار للذهبي.

كتاب أنزل كان المنزل عليه أفضل نبي وكانت أمته من العرب والعجم أفضل الأمم وكانت حملته أشرف هذه الأمة وقراؤه ومقرئوه أفضل هذه الملة . . . .(١)

القــــراء العشـــرة :

١) نافع بن عبد الرحيم بن أبي نعيم إمام أهل المدينة في القراءة ولد سنة ٧٠ – ١٦٩ هـ.(٢) أصله من أصفهان ، وهو من علماء الطبقة الرابعة ، وكان شديد سواد اللون ، كان صاحب دعابة وطيب أخلاق قرأ على سبعين من التابعين ، منهم يزيد بن القعقاع وعبد الرحمن بن هرمز ، ومن تلاميذه الإمام مالك بن أنس

٢) عبد الله بن كثير العطار الداري فارسي الأصل إمام أهل مكة في القراءة لم ينازعه فيها منازع ولد سنة ٤٥ – ١٢٠ هـ.(٣) من علماء الطبقة الثالثة من شيوخ ابن كثير عبد الله بن السائب المخزومي ومجاهد بن جبر المكي ، ومن تلاميذه البزي وقنبل .

٣) ابن عامر الدمشقي . عبد الله أبو عمران اليحصبي إمام أهل الشام في القراءة ولد سنة ٨ – ١١٨ هـ.(٤) من التابعين ومن علماء الطبقة الثالثة ، ولد بضيعة يقال لها "رحاب" ومن شيوخه المغيرة بن أبي شهاب ومن تلاميذه هشام بن عمار الدمشقي

٤) أبو عمرو زبان بن العلاء التميمي المازني البصري إمام أهل البصرة . ولد بمكة سنة ٦٨ وتوفي بالكوفة سنة ١٥٤ هـ ،(٥) ومن شيوخه يزيد بن القعقاع ويزيد بن رومان ، ومن تلاميذه الدوري والسوسي .

٥) عاصم بن أبي النجود الكوفي . أبو بكر مولى بني أسد توفي سنة ١٢٧ هـ.(٦) من التابعين ومن علماء الطبقة الثالثة ، رحل الناس إليه للقراءة كان يجمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، من شيوخه عبد الله بن حبيب ومن تلاميذه شعبة ، حفص

---

(١) مقدمة النشر في القراءات العشر . ١:١

(٢) معرفة القراء الكبار ١:١٠٧ .

(٣) معرفة القراء الكبار ١:٨٦ .

(٤) معرفة القراء الكبار ١:٨٢ .

(٥) معرفة القراء الكبار ١:١٠٠ .

(٦) معرفة القراء الكبار ١:٨٨ .

٦) حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمارة الكوفي التيمي بالولاء.

ولد سنة ٨٠ — ١٥٦ هـ.(١) وهو من علماء الطبقة الرابعة ومن شيوخه أبو حمزة حمران بن أعين، ومن تلاميذه خلف بن هشام البزار، خلاد بن خالد الصيرفي

٧) الكسائي: أبو الحسن علي بن حمزة فارسي الأصل أسدي بالولاء. ولد سنة ١١٩ — ١٨٩ هـ. من علماء الطبقة الرابعة، كان من أعلم الناس بالنحو، ومن شيوخه حمزة بن حبيب الزيات، ومن تلاميذه حفص الدوري.

وبقية العشرة الذين أضافهم ابن الجزري:(٢)

٨) أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي القارئ. ت ١٣٠ هـ.(٣)
أحد علماء الطبقة الثالثة، كان إماما كبير القدر، انتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة، ومن شيوخه عبد الله بن عياش، وعبد الله بن عباس، وأبو هريرة، ومن تلاميذه نافع، وأبو عمرو بن العلاء

٩) يعقوب بن إسحاق بن زيد بن عبد الله بن أبي إسحاق أبو محمد مولى الحضرميين ولد سنة ١١٧ — ٢٠٥ هـ.
كان إمام جامع البصرة سنين، ومن شيوخه أبو المنذر سلام بن سليمان المزني، ومن تلاميذه رويس وروح

١٠) خلف بن هشام البزاز. ولد سنة ١٥٠ — ٢٢٩ هـ.(٤)
حفظ القرآن وهو ابن عشر سنين، ومن شيوخه سليم بن عيسى، ومن تلاميذه إسحاق بن إبراهيم الوراق.

وقراءة هؤلاء القراء العشرة(٥) تقبل بشروط ثلاثة:

١ - صحة السند.

٢ - موافقة رسم المصحف.

٣ - موافقة اللغة العربية.(٦)

---

(١) معرفة القراء الكبار ١: ١١١.
(٢) معرفة القراء الكبار ١: ١٢٠.
(٣) معرفة القراء الكبار ١: ٧٢.
(٤) تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة لابن الجزري ص ١٣.
(٥) انظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشرة للبنا ص ٧.
و(مقدمة) حجة القراءات، أبو زرعة تحقيق: سعيد الأفغاني.
(٦) الفتح ٩: ٢٣، ٣٢. ومقدمة النشر لابن الجزري ١: ٩.

وهذه القراءات العشر أجمع العلماء على جواز القراءة بها [1] قال ابن الجزري : [2] واستقرت جملة الطرق عن الأئمة العشرة [3] إلى تسعمائة وثمانين طريقا وهي أصح ما يوجد اليوم في الدنيا وأعلاه .

ولم نذكر فيها إلا من ثبتت عدالته عندنا أو عند من تقدمنا من أئمتنا . وتحقق اللقاء لمن أخذ عنه وصحت معاصرته وهو السبب الأعظم في ترك كثير من القراءات لأنها مخالفة لشروط القراءة الصحيحة فاعتبرت من القراءات الشاذة وتحمل على أنها قراءة تفسيرية . [4]

وبقية القراء الأربعة عشر :

١) ابن محيصن . محمد بن عبد الرحمن السهمي بالولاء المكي المتوفى سنة ١٢٣ هـ . مقرئ أهل مكة مع ابن كثير . ثقة أعلم قراء مكة بالعربية وأقواهم عليها .

٢) اليزيدي . يحيى بن المبارك الإمام أبو محمد العدوي بالولاء البصري . نحوي مقرئ ثقة علامة كبير في النحو والعربية والقراءة .

---

(١) القراءات القرآنية ، د . عبد الهادي الفضلي ص ٨١ .

(٢) النشر في القراءات العشر ١ : ١٩٠ ، ١٩٢ .

(٣) وقد أطلق بعض العلماء لفظ (الحجة) على القراءات السبع مثل ابن خالويه وأبي زرعة وذلك قبل إضافة ابن الجزري بقية العشرة من القراء .

(٤) الفتح ٣ : ٥٩٥ ، ٩ : ٢٣ .

٣) الحسن البصرى . أبو سعيد بن يسار (٢١ - ١١٠ هـ) إمام زمانه علما وعملا .

٤) الأعمش . سليمان بن مهران أبو محمد مولى بنى أسد ٦٠ - ١٤٨ هـ . مقرئ له نوادر .[1]

قال الإمام البغوى :

" إن الناس كما أنهم متعبدون باتباع أحكام القرآن وحفظ حدوده فهم متعبدون بتلاوته وحفظ حروفه على سنن خط المصحف الإمام الذى اتفقت عليه الصحابة وأن لا يجاوزوا فيما يوافق الخط أعني ماقرأ به القراء المعروفون الذين خلفوا الصحابة والتابعين واتفقت الأمة على اختيارهم ".[2]

ثم نقطت وشكلت حروف المصحف الشريف زيادة فى دقة ضبط القراءة وصيانة له من التصحيف والتحريف . ولشدة الاهتمام والحرص على النطق الصحيح الموافق لقواعد اللغة العربية حتى وصل إلينا كتاب الله عز وجل مقروءا كما أنزل . وتلقى العالم الإسلامى طباعة المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم بالقبول[3] حتى هذه الساعة وهو بين أيدينا اليوم.[4]

---

(١) انظر : مقدمة إتحاف فضلاء البشر . و (مقدمة) حجة القراءات لأبى زرعة تحقيق سعيد الأفغانى .

(٢) تفسير البغوى ١ : ٣٠ .

(٣) القراءات القرآنية . د . عبد الهادى الفضلى ص ١٣٥ .

(٤) ولقد تم افتتاح كلية خاصة للدراسات القرآنية وعلومها وإنشاء مجمع خاص لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة فى عهد الدولة السعودية .

علم عطاء بالقراءات :

وردت الرواية عن عطاء في القراءات ، فقد قرأ عطاء على ابن عباس وابن عباس قرأ على أبى بن كعب وقرأ أُبَيّ على النبى صلى الله عليه وسلم . وقرأ عطاء بن أبى رباح على أبى هريرة وروى عنه القراءات وعرض أبو عمرو[١] القراءة على عطاء بن أبى رباح[٢] وإليك بعض الأمثلة فيما ورد عن عطاء فى القراءات .

المثال الأول :

يقول الله تعالى

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً)[٣] قرأ أكثر القراء (حُسْناً) بضم الحاء المهملة وسكون السين . وقرأ عطاء وعيسى بن عمر (حُسُناً) بضم الحاء والسين[٤] قال الماوردى :

---

(١) له ترجمة ص ٨٨ من الرسالة

(٢) غاية النهاية لابن الجزرى ١ : ١٣٢ . كتاب الإقناع فى القراءات السبع ، أحمد بن على ١ : ١٠١ ، ١٠٢ . والنشر فى القراءات العشر ١ : ١٣٢ .

(٣) البقرة : ٨٣ .

(٤) تفسير ابن عطية ١ : ٢٧٨ . حجة القراءات لأبي زرعة ص١٠٢

وبالرفع (أي بقراءة الضم) أي قولوا لجميع الناس (حُسْناً) بمعنى خالقوا الناس بخلق حسن.[1]

قال أبو حيان: "وأما من قرأ (حُسُناً) بضمتين فضمة السين اتباع لضمة الحاء[2] وهي لغة أهل الحجاز[3] وتقرأ (حُسْناً) بضم الحاء وسكون السين وهي قراءة نافع وابن كثير المكي وأبو جعفر المدني وأبو عمر البصري وعبد الله بن عامر وابن عمار الشامي وعاصم بن أبي النجود.

وتقرأ (حَسَناً) بفتح الحاء والسين وهي قراءة زيد بن ثابت وابن مسعود والكسائي ويعقوب الحضرمي وخلف وحمزة.

فكلتا القراءتين (حُسْناً) و (حَسَناً) صحيحة ثابتة[4] يحتج بهما جائزة من ناحية اللغة.

ووجه القراءة بضم الحاء وسكون السين (حُسْناً) يكون في الآية الكريمة أمر بكل معاني الحُسْن. فالحُسْن يجمع والحَسَن يتبعض. وعلى هذا يكون المعنى. قولوا للناس الحُسْن في الأشياء كلها فما يجمع أولى مما يتبعض.

---

(١) تفسير الماوردي ١: ١٣٣.
(٢) تفسير البحر المحيط ١: ٢٨٥.
(٣) تفسير الألوسي ١: ٣٠٩.
(٤) الكشف عن وجوه القراءات، مكي بن أبي طالب ١: ٢٥٠، ٢: ٢٧١. وانظر: حجة القراءات لأبي زرعة ص ١٠٣. وأثر القراءات في علوم العربية، د. محمد سالم ٢: ١٩٥.

(وهذا المعنى على قول ((أن الحُسْن هو الاسم العام الجامع جميع معانى الحُسْن . والحَسَن هو البعض من معانى الحُسْن . ولذلك قال جل ثناؤه إذ أوصى بالوالدين "ووصينا الإنسان بوالديه حُسْناً"))[1] يعنى بذلك أنه أوصاه فيهما بجميع معانى الحُسْن).[2]

فيتعين هذا المعنى فى حق الوالدين بالقول والفعل . فالإحسان إليهما بالصلة والإطعام والقول الحَسَن بمعنى أن يكون فى خدمتهما وطلب رضاهما ويحسن إليهما بكل معانى الإحسان[3] قال أبو حيان : وأما قراءة الجمهور (حُسْناً) فظاهره على حذف مضاف أي ذا حسن . اما على الوصف لإفراط حُسْنِه[4] وهذا التعليل أقوى .

فالقراءة (حُسْناً) بضم الحاء وسكون السين أمر بجميع معانى الحُسْن . ووجه القراءة (حَسَناً) بفتح الحاء والسين . وصف للقول الذى كف عن ذكره لدلالة وصفة عليه . كأن تأويله (وقولوا للناس قولاً حَسَناً) فترك (القول) واقتصر على نعته[5] فيكون المعنى أمر بالحسن أو ببعض منه أى

---

(١) العنكبوت : ٨ .
(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ١ : ٣٩١ .
(٣) تفسير البحر المحيط ١ : ٢٨٤ بتصرف .
(٤) البحر المحيط ١ : ٢٨١ ، ٢٨٥ .
(٥) حجة القراءات لأبى زرعة ص ١٠٣ .

(أمر في سائر الناس ببعض الذي أمر به في والديه. يعني بذلك بعض معاني الحُسْن)[1] فقد يكتفي بالكلمة الطيبة في الإحسان إلى الناس لأن القول سهل في العطاء. ولأن القول متعلق بالناس عموما إذ لا ضرر على الإنسان في الإحسان إلى الناس بالقول الطيب إذا افتقر من المال وهذا أضعف الإحسان.[2]

وقراءة فتح الحاء والسين اختارها ابن جرير الطبري رحمه الله.[3] إلا أن قراءة الجمهور (حُسْناً) أمر بكل معاني الحسن مع الناس جميعا[4] وهذا الأفضل. وحكى الأخفش (حُسْنَى) بغير تنوين على وزن فُعْلَى نحو الفضلى والكبرى. وهي قراءة أبي طلحة بن مصرف: قال ابن عطية:

"وقرأ قوم (حُسْنَى) على وزن فُعْلَى. ورده سيبويه (أي هذا الوجه من القراءة) لأن أفعل وفعلى لا تجيء إلا معرفة وبه قال النحاس.[5]

إلا أن يزال عن (حُسْنى) معنى التفضيل وتبقى مصدراً كالعقبى. فيكون معنى (حُسْنى) (حَسَنَة) أي قولوا للناس مقالة (حَسَنَة).[6] فذلك جائز وهو وجه القراءة بها

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ١: ٣٩١.
(٢) تفسير البحر المحيط ١: ٥٨٤ بتصرف.
(٣) تفسير ابن جرير الطبري ١: ٣٩١.
(٤) تفسير ابن الجوزي ١: ١٠٩. وانظر: تفسير الفخر الرازي ١: ١٦٧. وتفسير الشوكاني ١: ١٠٩.
(٥) تفسير ابن عطية ١: ٢٨٧. وانظر: تفسير القرطبي ٢: ١٦. وتفسير البحر المحيط ١: ٢٨١، ٢٨٦.
(٦) تفسير البحر المحيط ١: ٢٨١، ٢٨٦.

قـال أبو حيـان :[1]

"وإن وجد تخريج لوجه القراءة (حُسْنى) من ناحية اللغة . فقد وافق ابن جرير الطبرى سيبويه فى رد هذه القراءة (حُسْنى) فقال : وأما من قرأ (حُسْنى) فإنه مخالف قراءة أهل الإسلام وهى مع ذلك خارجة من المعروف من كلام العرب[2] وقرأ الجحدرى (إِحْسَاناً) على أنه مصدر (أَحْسَن) الذى همزته للصيرورة كما تقول (أَعْشَبَت الأرض إِعْشَاباً) أى صارت ذا عشب فهو حينئذ نعت لمصدر محذوف.[3]

وهذه القراءة وغيرها من قرأ (حُسْنى) وإن صحت لغة إلا أنها مخالفة للقراءات العشر . وتحمل على أنها قراءة تفسيرية وكذلك قراءة عطاء وعيسى بن عمر (حُسُناً) بضم الحاء والسين . وهى لغة أهل الحجاز كما سبق ذكره .

المثـال الثـانى :

قال الله تعالى : (مَانَنْسَخ مِن آيَةٍ أَوْنُنسِهَا نَأْتِ

---

(١) البحر المحيط ١ : ٢٨١ ، ٢٨٥ . وانظر : تفسير الفخر الرازى ٣ : ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ١ : ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٣) تفسير البحر المحيط ١ : ٢٨٦ . وانظر تفسير الألوسى ١ : ٣٠٩ .

بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير).[١]

فى قوله تعالى (أَوْ نُنْسِهَا) .

أخرج أبو عبيد عن مجاهد وعطاء أنهما قرآها (أو نَنْسَأْهَا)[٢] بفتح نون المضارعة وأخرى بعدها ساكنة وسين مفتوحة وهمزة بعدها ساكنة[٣] وهى قراءة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وابن عباس فى رواية . وقرأ بها عبيد بن عمير[٤] وابن كثير وأبو عمرو بن العلاء[٥] وغيرهم .

وفى رواية أخرى قرأها عطاء (أو نُنْسِئْهَا) بياء مهموزة مكان الألف.[٦] وهى قراءة بمعنى التأخير . (نؤخر نسخ لفظها أي نتركه في آخر أم الكتاب فلا يكون .[٧] وهذا قول عطاء[٨] وهو بنحو قول شيخه ابن عباس قال : (كان القرآن

---

(١) البقرة : ١٠٦ .
(٢) الناسخ والمنسوخ لأبى عبيد ص ٩ . وكتاب المصاحف ص ٩٦ . وانظر تفسير ابن جرير الطبرى ١ : ١٧٧ .
(٣) تفسير ابن عطية ١ : ٣٢٠ . وتفسير البحر المحيط ١ : ٣٤١ .
(٤) سبقت له ترجمة ص ٨٦ من الرسالة
(٥) الناسخ والمنسوخ لأبى عبيد ص ١٠ . والكشف عن وجوه القراءات لمكى ص ٢٥٨ . والنشر فى القراءات لابن الجزرى ٢ : ٢٢٠ .
(٦) الناسخ والمنسوخ لعبد القاهر البغدادى ص ٥٩ .
(٧) تفسير القرطبي ٢ : ٦٧، وأشار المحقق إلى أنها في نسخة أخرى " فلا تكن نسخا " .
(٨) تفسير القرطبى ٢ : ٦٧ . وانظر الناسخ والمنسوخ لأبى عبيد ص ٦ - ٩ . والبحر المحيط ١ : ٣٤٤ .

ينزل فيثبت الله منه مايشاء وينسخ منه مايشاء وينسي نبيه مايشاء وعنده أم الكتاب)[١].

والأصل في قراءة (أَوْ نَنْسَأْها) من (النَسْأ) وهو التأخير. وَالنَّسِيءُ اسم وضع موضع المصدر وهو عبارة عن التأخير في الوقت[٢] ومنه سمي بيع الأجل نسيئة.[٣]

(وَالنَّسِيءُ) هو الذى كانت تفعله العرب وهو تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر. يدل عليه قول الله تعالى : (إنما النَّسِيءُ زِيادةٌ في الكفر)[٤] ،[٥] وَالنَسَأُ بمعنى التأخير يدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من سره أن يبسط له في رزقه أَوْ يُنْسَأَ له في أثره فليصل رحمه).[٦] ،[٧]

ويكون النَسَأُ على هذا التأويل (ما أخره الله عز وجل

---

(١) الناسخ والمنسوخ لعبد القاهر البغدادى ص ٦١.
(٢) المرجع السابق ص ٦٠ باختصار.
(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٦٠. وانظر: مفردات غريب القرآن للأصفهاني ص ٤٩٢. وتفسير الفخر للرازى ٣: ٢٣٦.
(٤) التوبة: ٣٧.
(٥) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ٦١. وانظر: أحكام القرآن لابن العربي ٢: ٩٤١ — ٩٤٤.
(٦) صحيح البخارى. كتاب البيوع. باب من أحب البسط في الرزق. ٣: ٨
(٧) انظر: الفتح ٨: ١٦٧.

وتركه فى أم الكتاب فلم ينزله) .[1]

وقال مكى بن أبى طالب:

يكون تأخير النسخ على وجهين . أحدهما أن يؤخر التنزيل للآية فلا ينزل من اللوح المحفوظ. والثانى أن ينزل القرآن فيتلى ويعمل به ثم يؤخر فينسخ العمل به دون اللفظ أو ينسخ العمل به واللفظ أو ينسخ اللفظ ويبقى العمل .[2]

وقرأ الجمهور (ماننسخ من آية أو نُنْسِهَا) بضم النون الأولى وسكون الثانية وكسر السين وترك الهمز .[3] وهو من النسيان وضده الذكر. يدل عليه قول الله تعالى : (سنقرئك فلا تَنْسَى)[4] وهى قراءة أبى بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وسعد بن أبى وقاص ، وسعيد بن المسيب ، وقتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس واختارها أبو عبيد .[5]

وكلتا هاتين القراءتين صحيحتان يحتج بهما ومنها قراءة عطاء والقراءات الأخرى تفسيرية . وترجع إلى معنى النسيان .

---

(١) الناسخ والمنسوخ لأبى عبيد ص ١٠ . وانظر: القراءات وأثرها فى علوم العربية د . محمد سالم ١: ٤٩٥ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٥٨ . والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٥٨ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات لمكى ١ : ٢٥٨ .

(٤) الأعلى : ٦ .

(٥) الناسخ والمنسوخ لأبى عبيد ص ١١ . والناسخ والمنسوخ لعبد القاهر البغدادى ص ٥٧ . وانظر: الكشف عن وجوه القراءات لمكى ١ : ٢٥٨ . والبحر المحيط ١ : ٣٤٣ .

ووجه التأويل فى القراءتين بمعنى النسأ والنسيان

قال ابن عطية: "النسيان فى كلام العرب يجيء فى الأغلب ضد الذكر. وقد يجيء بمعنى الترك"[1] قلت والترك والتأخير من النسيان.

المثال الثالث:

قال الله تعالى: (إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومَنْ تطَوَّعَ خيرا فإن الله شاكر عليم)[2].

وقال الله تعالى: (فمَنْ تطَوَّعَ خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون)[3]. أخرج ابن جرير الطبرى عن عطاء أنه قرأ قوله تعالى: (تَطَوَّعَ) بالتاء خفيفة[4] أى (غير مشددة) فى قوله تعالى (ومَنْ تطَوَّعَ) وفى قوله (فمَنْ تطَوَّعَ)[5].

وقرأ عيسى بن عمر، ويحيى بن ثابت، وحمزة، والكسائى، وخلف (يَطَّوَّعْ) بالياء مع تشديد الطاء وسكون العين. وأصل

---

(١) تفسير ابن عطية ١: ٢٢٠. وانظر تفسير البغوى ١: ١٠٤. وتفسير ابن كثير ١: ١٥٠.

(٢) البقرة: ١٥٨.

(٣) البقرة: ١٨٤.

(٤) تفسير ابن جرير الطبرى ٢: ١٤٢.

(٥) حجة القراءات لأبي زرعة ص١١٨

هذه القراءة (يَتَطَوَّعَ)[1].

وقرأ بها يعقوب في الموضع الأول (وَمَنْ تَطَوَّعَ) ووافقه زيد ورويس.[2]

والحجة في هذه القراءة أن حروف الجزاء وضعت لما يستقبل من الأزمنة في سنن العربية. وأن الماضي إذا تكلم به بعد أحرف الجزاء فإن المراد منه الاستقبال نحو قول القائل (مَنْ أَكْرَمَنِي أَكْرَمْتُهُ) أي من يكرمني أكرمه.[3]

ويقوي هذه القراءة قراءة عبد الله بن مسعود (وَمَنْ يَتَطَوَّعَ) على محض الاستقبال فأدغمت التاء في الطاء لقرب مخرجها منها. وبقيت الياء ليدل بها على الاستقبال. وقرأ عطاء وابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر (تَطَوَّعَ) كما في رسم المصحف بالتاء المثناة وتخفيف الطاء وفتح العين فعلا ماضيا.

لأن الفعل الماضي أخف من المستقبل ولا إدغام ولا تشديد ولأن لفظ الماضي يقوم مقام المستقبل في الشرط. كما قال الله تعالى: (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم

---

(١) انظر: أثر القراءات في علوم العربية د. محمد سالم ١: ٥٢٧.
(٢) تفسير البحر المحيط ١: ٤٥٨.
(٣) حجة القراءات لأبي زرعة ص ١١٨. وانظر: حجة القراءات لابن خالويه ص ٩٠. والكشف عن وجوه القراءات لمكي ١: ٢٦٩.

أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون) .[1]

وهى قراءة أهل الحرمين وهى اختيار أبى حاتم وأبى عبيد[2] وهذه القراءة أعم ← إذ تحتمل معنيين[3] أى الماضى والمستقبل .

والذى يلاحظ من وجه القراءتين تقرير مبدأ قبول التطوع فى المستقبل ودلالة على ثبوت الأجر والثواب على ماضى من التطوع .

وقراءة عطاء ومن معه من القراءة الصحيحة التى يحتج بها وهى موافقة لرسم المصحف كما ذكره . والذى يلاحظ فى قوله تعالى : (فَمَنْ تَطَوَّعَ خيرا فهو خير له) وقوله تعالى (وَمَنْ تَطَوَّعَ خيراً فإن الله شاكر عليم) عند ذكر التطوع فى الموضعين تذييل وتعقيب حسن . فالذى يتطوع هو فى حقيقة الأمر علم حقيقة العلم . لأنه أيقن بمضاعفة الأجر والثواب على زيادة الطاعات . وأن الله سبحانه وتعالى يشكر العبد على هذا التطوع .

---

(١) هود : ١٥ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٢٦٩ . وانظر : إتحاف فضلاء البشر ، لأحمد البنا ص ١٥٠ .

(٣) الكشف عن وجوه القراءات لمكى ١ : ٢٧٠ . وانظر ما يأتى : تحبير التحرير فى قراءات الأئمة العشرة ، لابن الجزرى ص ٩١ والإقناع فى القراءات السبع ، أبو جعفر ٢ : ٦٠٥ . وتفسير ابن جرير الطبرى ٢ : ٥١ .

قال القرطبى : التطوع هو ما يأتيه المؤمن من قبل نفسه فمن أتى بشئ من النوافل فإن الله يشكره وشكر الله للعبد إثابته على الطاعة [١] وخرجت الآية (فإن الله شاكر عليم) مخرج التلطف للعباد مظاهرة فى الإحسان إليهم.[٢]

والتطوع هو الطريق الموصل إلى محبة الله سبحانه وتعالى وهو مقياس القرب والبعد من الله تعالى . والتطوع المذكور هنا هو المعنى المقصود فى الحديث الصحيح (.... مازال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه ...) .[٣]

فالتطوع هو غير المفروض من العبادة وهو شامل لجميع نوافل الطاعات.[٤]

المثال الرابع :

• قال الله تعالى : (.... وانظر إلى العظام كيف نُنشِزُهَا ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) .[٥]

---

(١) تفسير القرطبى ٢ : ١٨٣ .
(٢) تفسير الخازن بهامش البغوى ١ : ١٣٣ .
(٣) صحيح البخارى . كتاب الرقاق . باب التواضع. ٧ : ١٩٠ .
(٤) تفسير الخازن ١ : ١٣٢ بتصرف. وانظر: تفسير البحر المحيط ١ : ٤٥٨ .
(٥) البقرة : ٢٥٩ .

أخرج ابن المنذر عن عطاء أنه قرأ (نُنْشِرُهَا) بضم الأولى وكسر الشين وراء مضمومة [1] وكذلك قرأ مجاهد وعكرمة وقتادة ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وأبو حيوة [2] والأعرج وابن محيصن [3] والجحدري والأعمش وابن يعمر وغيرهم. [4]

و حجة هذه القراءة أنها من النشور، وهو الإحياء . قال الله تعالى : (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) . [5] ويؤيده قول الله تعالى : (ثم إذا شاء أنشره) [6] ومنه يقال البعث والنشور. [7]

وقرأ الجمهور (نُنْشِزُهَا) كما في رسم المصحف. وقرأ بها : أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وأبو العالية ، وابن عامر ، وعاصم ، وحمزة ، والكسائي ، وخلف وغيرهم. [8]

---

(١) الدر المنثور ٢ : ٣١٠ . وانظر: الكشف عن وجوه القراءات لمكي ١ : ٣٠٩ .
(٢) تفسير ابن الجوزي ١ : ٣١٢ .
(٣) شريح بن يزيد الحضرمي أبو حيوة المؤذن المقرئ . وذكره ابن حبان في الثقات . مات سنة ثلاث ومائتين . تهذيب التهذيب ٤ : ٣٣١ .
(٤) سبق له ترجمة ص٢٢٤ من الرسالة
(٥) الكشف عن وجوه القراءات لمكي ١ : ٣١١ . والحجة في القراءات لابن خالويه ص ١٠٠ . وانظر: الحجة في القراءات لأبي زرعة ص١٤٤ . وانظر: القراءات وأثرها في علوم العربية ، د . محمد سالم ١ : ٤٩٧ - ٥٠٠ .
(٦) البقرة: ١١٧ .
(٧) عبس : ٢٢ .
(٨) تفسير ابن كثير ٤ : ٤٧٢ . وانظر: تفسير القرطبي ١٩ : ٢١٩ .
(٩) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص ٢٣١ . وتفسير ابن عطية ٢ : ٢٩٧ .
وإتحاف فضلاء البشر ص ١٦٢ .

وحجة هذه القراءة: من الإنشاز وهو الرفع أي كيف نرفعها من الأرض فنردها إلى أماكنها من الجسد. يؤيده قول الله تعالى: (وإذا قيل انْشُزُواْ فَانْشُزُواْ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير).[١] ومنه نشوز المرأة وهي المرتفعة عن موافقة زوجها.[٢]

وكلتا القراءتين صحيحتان يحتج بهما ومنها قراءة عطاء (نُنْشِرُهَا).[٣]

المثال الخامس:

قال الله تعالى: (وإن كان ذو عُسْرةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيسَرَةٍ وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون).[٤] في قوله تعالى (فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ) قرأ عطاء[٥] ومجاهد وأبو رجاء[٦] والحسن والضحاك وقتادة وغيرهم. (فَنَظْرَةٌ) بسكون الظاء. وهي مصدر من نظرة وهي لغة تميمية[٧]

---

(١) المجادلة: ١١.
(٢) الكشف عن وجوه القراءات لمكي ١: ٣١٠.
(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٣: ٤٤.
(٤) البقرة: ٢٨٠.
(٥) الكشف والبيان للثعلبي. مخطوط. ١: ٢٥٩
(٦) اسمه عمران بن تيم العطاردي. تابعي كبير. عرض القرآن على ابن عباس وتلقنه من أبي موسى الأشعري. روى عنه أبو الأشهب العطاردي. ت ١٠٥ هـ. طبقات القراء ١: ٦٠٤.
(٧) تفسير ابن عطية ٢: ٣٥٥. وتفسير البحر المحيط ٢: ٣٤٠.

وتُحمل قراءة عطاء وغيره على أنها قراءة تفسيرية جائزة من ناحية اللغة . وقرأ عطاء ومجاهد وحميد[1] والحسن وغيرهم (مَيْسُرَةٍ) بضم السين والضم لغة هذيل[2] وبها قرأ نافع . وقال ابن الجوزي : وتابعه زيد عن يعقوب على ضم السين . إلا أنه زاد فكسر الراء وقلب التاء هاء ووصلها بياء (بِمَيْسُرِهِ) .[3]

وتحمل هذه القراءة أيضا على أنها قراءة تفسيرية . وإن جازت من ناحية اللغة إلا أنها ليست من القراءات العشر الصحيحة .

وقراءة الضم (مَيْسُرَةٍ) فهي قراءة صحيحة إلا أن قراءة الجمهور بفتح السين (مَيْسَرَةٍ) .[4]

وقرأ عطاء ومجاهد : (فَنَاظِرْهُ) على الأمر . على وزن فاعِلْه . والهاء ضمير الغريم وقد أجازها الزجاج لغة . فقال : هي من أسماء المصادر كقوله تعالى (ليس لوقعتها كَاذِبَةٌ)[5]

---

(١) هو حميد بن قيس الأعرج أبو صفوان . أخذ القراءة عن مجاهد ورواها عنه عمرو وسفيان بن عيينة وسواهما . ت ١٣٠ هـ . الطبقات الكبرى ٥ : ٤٨٦ . والجرح والتعديل ١ : ٢٢٧ .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات لمكي ١ : ٣١٩ . النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٣٦

(٣) تفسير ابن الجوزي ١ : ٣٣٤ .

(٤) الكشف عن وجوه القراءات لمكي ١ : ٣١٩ . النشر في القراءات العشر ٢ : ٢٣٦

(٥) الواقعة : ٢ .

وكقوله تعالى : (تظن أن يفعل بها فَاقِرَةٌ)[1] وكقوله تعالى (يعلم خَائِنَةَ الأعيُنِ)[2] ، [3] . وقرأ أيضا : عطاء ومجاهد (مَيْسُرِهِ) بضم السين وكسر الراء والهاء ضمير الغريم أي (فَنَاظِرَةٌ إلى مَيْسُرِهِ) .[4]

وقرأ عبد الله بن مسعود (فَنَاظِرُوه إلى مَيْسُورِهِ) على وزن مفعول مضاف إلى ضمير الغريم .[5]

وقرأ أيضا : (مَيْسُرِ هِي)[6] ولعل المعنى المراد من هذه القراءة بأن صاحب الدين ينظر إلى يُسْرِه وعسر الدين . كما ذكر هذه القراءة ابن جني في القراءات الشاذة .[7]

وتحمل قراءة ابن مسعود وعطاء ومجاهد وغيرهم على معنى من قال على صاحب الدين أن ينظر إلى يُسْرِه وَعُسْرِ الدين فينتظر ويستوفي دينه في حالة يسر الدين أو يسامحه فإن هذا العمل خير له وصدقة على المعسر .

ويشهد لهذا المعنى الحديث الصحيح عن قتادة (... قال

---

(١) القيامة : ٢٥ .
(٢) غافر : ١٩ .
(٣) تفسير ابن عطية ٢ : ٣٥٥ .
(٤) تفسير ابن عطية ٢ : ٣٥٥ .
(٥) تفسير البحر المحيط ٢ : ٣٤٠ .
(٦) تفسير القرطبي ٣ : ٣٧٤ .
(٧) المحتسب ، لابن جني ص ١٤٣ . وانظر : تفسير القرطبي ٣ : ٣٧٣ .

فإنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سره أن ينجيه الله من كُرَب[1] يوم القيامة فلينفس[2] عن مُعْسِرٍ أو يضع عنه[3] قال ابن عطية :

في قوله تعالى (وأن تصدقوا خير لكم . .) ندب الله تعالى بهذه الألفاظ إلى الصدقة على المعسر وجعل ذلك خيرا من إنْظَارِه . قاله السدى وابن زيد والضحاك وجمهور الناس[4] فقراءة عطاء وغيره قراءة تفسيرية[5]

المثال السادس :

قال الله تعالى : (وَلاَ يُضَارَّ كاتبٌ ولا شهيد)[6] . في قوله تعالى (وَلاَ يُضَارِّ) قرأها عطاء بكسر الراء[7] (وَلاَ يُضَارِّ) والأصل فيهما (وَلاَ يضَارِرْ) أدغمت الراء في الراء لأنهما من جنس واحد وحركت إلى الفتح وموضعها جزم . لأن الفتح أخف الحركات[8] ولتجانس الألف والفتحة قبلها .[9]

---

(١) كرب . بضم الكاف وفتح الراء . جمع كربة .
(٢) ومعنى ينفس أي يمد ويؤخر المطالبة بعد اد الدين . وقيل يفرج عنه .
(٣) صحيح مسلم كتاب المساقاة . باب فضل إنظار المعسر ٣ : ١١٩٤ . وانظر : صحيح البخاري . كتاب البيوع . باب من أنظر معسرا . ٣ : ١٠ .
(٤) تفسير ابن عطية ٢ : ٣٥٧ . وانظر : تفسير الفخر الرازي ٧ : ١٠١ ، ١٠٢ .
(٥) انظر : القراءات وأثرها في علوم العربية ، د . محمد سالم ١ : ١٣٦ .
(٦) البقرة : ٢٨٢ .
(٧) أحكام القرآن للجصاص ١ : ٥٢٢ .
(٨) تفسير ابن جرير الطبري ٣ : ١٣٤ .
(٩) إملاء ما من به الرحمن للعكبري ص ٩٧ .

وفك الفعل هى لغة أهل الحجاز (وَلاَ يُضَارِر) والإدغام لغة تميم (وَلاَ يُضَارَّ)[1] وبكسر الراء قرأ أيضا (وَلاَ يُضَارِّ) عبد الله بن مسعود في رواية وبها قرأ الحسن وقتادة وفي رواية عن عكرمة.[2]

وفي رواية قرأ عمر بن الخطاب وابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن إسحاق أن الراء الأولى مكسورة (وَلاَ يُضَارِرْ).

وفي رواية أيضا قرأ عمر بن الخطاب وابن مسعود وابن عباس ومجاهد بفتح الراء الأولى (وَلاَ يُضَارَرْ).[3]

وقرأ الباقون بالفتح و التشديد[4] كما هو في رسم المصحف (وَلاَ يُضَارَّ).

وبالنظر في القراءتين يلاحظ أنهما تحملان معنيين كلاهما صحيح. فقراءة الفتح فيها معنى نهي صاحب الحق عن مضارة الكاتب والشهيد. والقراءة الأخرى بالكسر فيها نهي الكاتب والشهيد عن مضارة صاحب الحق.[5]

قال الفخر الرازي: واعلم أن كلا الوجهين جائز في اللغة.

---

(١) تفسير ابن عطية ٢ : ٣٧٢.
(٢) أحكام القرآن للجصاص ١ : ٥٢٢.
(٣) تفسير ابن عطية ٢ : ٣٧٣. والدر المنثور ٢ : ١٢٢.
(٤) النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص ٩٦.
(٥) أحكام القرآن للجصاص ١ : ٥٢٢.

وإنما احتمل الوجهين بسبب الإدغام الواقع في (وَلاَ يُضَارَّ) .

١ - أن يكون أصله (وَلاَ يُضَارِر) بكسر الراء الأولى فيكون الكاتب والشهيد هما الفاعلان للضرر .

٢ - أن يكون أصله (وَلاَ يُضَارَر) بفتح الراء الأولى فيكون هما المفعول بهما الضرر . ونظيره قوله تعالى : (لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا) .(١) ، (٢)

فقراءة الفتح (وَلاَ يضارَر) فيها صاحب الحق منهي عن مضارة الكاتب والشهيد بأن يشغلهما عن حوائجهما ويلح عليهما بالاشتغال في كتابته وشهادته مع وجود غيرهما . يغني عنهما أو لا يعطي الكاتب حقه من الجُعْل أو يُحَمِّلَ الشهيد والكاتب مؤونة مجيئهما من بلدهما . والمضارة من الضرر ووجوه المضارة لا تنحصر .(٣)

وقراءة عطاء ومن معه بالكسر (وَلاَ يُضَارِ) فيها نهي الكاتب والشهيد كل واحد منهما عن مضارة صاحب الحق الذي طلب الكتابة أو الشهادة .

---

(١) البقرة : ٢٣٣ .
(٢) تفسير الفخر الرازي ٧ : ١١٨ ، ١٢٠ . وانظر: أثر القراءات في علوم العربية . د . محمد سالم ٢ : ١٨١ — ١٩٩ .
(٣) أحكام القرآن للجصاص ٥٢٢ . والبحر المحيط ٢ : ٣٥٣ بتصرف وانظر: تفسير الخازن ١ : ٢٠٩ .

وتكون المضارة بأن الكاتب مالم يُمِلّ صاحب الحق أو يكتب شيئا غير المطلوب أى يغش ويدلس فى الكتابة أو يمتنع الكاتب والشهيد عن الكتابة والشهادة وليس موجوداً غيرهما فعليهما أداؤها . وترك مضارة الطالب لأنه تعين عليهما إقامة الشهادة والكتابة على وجهها . والتى تحفظ بها الحقوق[1] خاصة إذا طلب للحضور من قد سبق له أداء الشهادة أو كان كاتبا لها . وهذه القراءة من وجوه الإعجاز حيث تحمل معنيين أو أكثر .

وقراءة عطاء بكسر الراء (وَلاَ يُضَارِ) قراءة صحيحة وهى قراءة ابن مسعود فى رواية .

والأمر بالكتابة والإشهاد للندب والاستحباب عند جمهور الفقهاء.[2]

المثال السابع :

قال الله تعالى : (إنما ذلكم الشيطان يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين) .[3]

---

(١) أحكام القرآن لابن العربى ١ : ٢٥٩ . وتفسير ابن جرير الطبرى ٣ : ١٣٤ . وانظر تفسير القرطبى ٣ : ٣٩٩، ٤٠٥ . وتفسير الآلوسى ٣ : ٦١ .

(٢) تفسير ابن الجوزى ١ : ٣٤٠ . وتفسير ابن كثير ١ : ٣٣٥ ، ٣٣٦ .

(٣) آل عمران : ١٧٥ .

قرأ ابن مسعود وابن عباس وعطاء وعكرمة وإبراهيم النخعي (يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ)[1] قال ابن عطية: فهذه قراءة ظهر فيها المفعولان. وفسرت قراءة الجمهور[2].

وقرأ أبي بن كعب وإبراهيم النخعي في رواية (يُخَوِّفُكُمْ بِأَوْلِيَائِهِ) وبه قال الفراء ومثل ذلك قوله (لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ)[3] معناه لِيُنْذِرَكُمْ بيوم التلاق وقوله (لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا)[4] المعنى: لِيُنْذِرَكُمْ بأساً شديداً. البأس لا ينذر وإنما ينذر به[5] وقراءة عطاء وغيره (يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ) مخالفة لقراءة الجمهور وهي (يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ) كما في رسم المصحف.

وإنما تحمل قراءة عطاء وغيره على أنها قراءة تفسيرية واعتبرها ابن جني من القراءات الشاذة[6]. وقول الله تعالى (إنما ذلكم الشيطان يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين).

في الآية الكريمة دلالة على أن المؤمن لا يخاف ولا يخشى

---

(١) كتاب المصاحف ص ٨٨. والمحتسب لابن جني ١: ١٧٧. وتفسير ابن عطية ٣: ٣٠٠. وانظر: الكشاف للزمخشري ١: ١٢٣. والدر المنثور ٢: ٣٩١.

(٢) تفسير ابن عطية ٣: ٣٠٠.

(٣) غافر: ١٥.

(٤) الكهف: ٢.

(٥) معاني القرآن للفراء ٢: ٢٤٨. وانظر: تفسير البغوي ١: ٣٧٦. وتفسير البحر المحيط ٣: ١٢٠.

(٦) المحتسب ١: ١٧٧

إلا اللـه وحده وهـذا هـو الإخـلاص الذى أمـر اللـه بـه عبـاده ، ورضيـه منهـم . فإذا أخلصوا لـه الخـوف وجميع العبادات أعطاهم مايرجـون وأمنهم مخـاوف الدنيـا والآخـرة ، والمؤمـن [١] بيـن الخـوف والرجـاء .

(فالشيطـان يخـوف المؤمنين من جنده وأوليائه ويعظـم شأنهم لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف وينهوهم عن منكر) . [٢]

ومن كيد الشيطـان أيضـا الوسوسة [٣] ولكن يبعد سلطانه على المسلم بالتعوذ بالله منه على الدوام والتحصن بقـراءة سورتى المعوذتين . [٤] قال الله تعالى : (فإذا قرأت القـرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إنه ليس له سلطان علـى الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) . [٥]

المثـال الثامـن :

- قال الله تعالى : (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلَامَ لست مؤمنا) . [٦]

---

(١) فتح المجيد . عبد الرحمن آل الشيخ ص ٣٠٢ .
(٢) فتح المجيد . مستفيداً من كلام ابن القيم ص ٣٠٢ .
(٣) انظر : دقائق التفسير ٦ : ٤٩٩ .
(٤) انظر : للتوسع : تفسير ابن القيم ص ٥٣٥ ، ٦٣١ .
(٥) النحـل : ٩٨ – ٩٩ .
(٦) النسـاء : ٩٤ .

قال عطاء : قرأ ابن عباس (السلام بالألف[1] وهي قراءة ابن جبير وقتادة وابن كثير والكسائي وابى عمرو وعاصم ويعقوب وغيرهم وهي قراءة الأكثرين واختارها مكى .[2]

والحجة لمن قرأ السلام أنه كان رجل في غنمة له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه وأخذوا غنيمته لأنهم ظنوا أنه فعل ذلك خوفا منهم . فنهاهم الله عن ذلك وطلب منهم التثبت في الأمر قبل إصدار الحكم والشروع في العمل .[3]

وقرئ بفتح السين واللام بدون ألف ((السَّلَمْ)) قرأ بها نافع وابن عامر وحمزة وخلف وأبو جعفر . وهي بمعنى المسالمة والاستسلام والانقياد والطاعة وهذه قراءة يحتج بها .[4]

قال الإمام البخارى :

السَّلَم والسَّلام والسِّلْمُ واحد[5] وقال ابن عطية : ولهذه القراءات الثلاث معنى متقارب .[6]

---

(١) الفتح ٨ : ٢٥٨ . (٢) الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٣٩٥ والمبسوط في القراءات العشر للأصبهاني ص ١٥٨ .

(٣) انظر : الفتح : حيث ذكر بعض روايات القصة ٨ : ٢٥٨ . والدر المنثور ٥ : ٦٣٢ .

(٤) الفتح ٨ : ٢٥٨ . وانظر : الكشف عن وجوه القراءات ١ : ٣٩٥ . وأثر القراءات في علوم العربية . د . محمد سالم ١ : ٥٨٢ .

(٥) صحيح البخارى . كتاب التفسير . باب (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلَامَ لست مؤمنا) . ٥ : ١٨٢ .

(٦) تفسير ابن عطية ٤ : ٢١٨ .

وقراءة ابن عباس وغيره (السَّلَامَ) أنه أراد التحية (السَّلَامُ عليكم ورحمة الله ....) وهي قراءة صحيحة يحتج بها كما في رسم المصحف.[1]

ولعل عطاء قرأ بقراءة شيخه (السلام) حيث لم يظهر لي قراءة لعطاء تخالف القراءة التي رواها عن ابن عباس والله أعلم.

المثال التاسع :

قال الله تعالى : (الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم).[2]

قال الثعلبي : قرأ عطاء والأعرج (جَهْدَهُمْ) بفتح الجيم[3] ومعنى قوله (جُهْدَهمْ) أي طاقتهم ووسعهم في الصدقة. وقيل بالفتح (الجَهْدُ) ما فيه مشقة. وبالضم (الجُهْدُ) الوسع والطاقة. وقيل (الجَهْدُ) في العمل

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات لمكي ١: ٣٩٥. وانظر: حجة القراءات لابن زرعة ص ٢٠٩. والحجة في القراءات لابن خالويه ص ١٢٦. والإقناع في القراءات السبع ٢: ٦٣١.

(٢) التوبة : ٧٩.

(٣) تفسير الثعلبي. مخطوط. ٣: ٧٧ ورقة ب

و (الجُهْـدُ) الشـئ القليـل فـى القـوت والمعيشـة وقيـل غير ذلك.[1]

قال ابن جرير الطبرى :

(الجَهـد) فيه لغتان بالضـم (الجُهْدُ) لغـة أهـل الحجاز وبالفتـح (الجَهْـدُ) لغـة نجـد . وعلى الضـم قـراءة الأمصار وذلك هـو الاختيـار عندنا لإجماع الحجـة مـن القـراء عليه .

وأمـا أهـل العـلم بكلام العـرب فإنهـم يقولـون إنهما مفتوحـة ومضمومـة بمعـنى واحـد .[2]

وقـراءة عطـاء جـائزة مـن ناحيـة اللغـة وهـى لغـة أهـل نجـد وهـي علـى معـنى المشـقة في العـمل كما ذكـر.

المثـال العاشـر:

قال الله تعـالى : (وهـو الـذى أرسل الريـاح بُشْـراً بـين يـدى رحمتـه وأنزلنـا مـن السمـاء مـاء طهـوراً) .[3]

أخـرج عبـد بن حميـد عن عطـاء أنـه قـرأ (بُشْراً) بالبـاء

---

(١) الفتح ٨ : ٣٢١ . وانظر: مفردات غريب القرآن للراغب ص ١٠١ . وانظر: مشارق الأنوار لليحصبي ١ : ١٦١ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ١٠ : ١٩٨ . وانظر: تفسير الماوردى ٢ : ١٥٣ . وتفسير القرطبى ٨ : ٢١٥ . وتفسير البحر المحيط ٥ : ٧٥ . وتفسير الفخر الرازى ١٦ : ١٤٥ . وتفسير ابن عطية ٨ : ٢٤٠ . وتفسير ابن الجوزى ٣ : ٤٧٧ .

(٣) الفرقـان : ٤٨ .

ورفع الباء بنون فيهما خفيفة[1] (بشرا) وبنحوها قرأ نافع وابن كثير وعمرو وأبو جعفر ويعقوب (نشرا) بضم النون والشين جمع نشور.

وقرأ الحسن البصري وابن عامر وغيره (نشرا) بضم النون وسكون الشين. وقرأ ابراهيم النخعي وسروق وغيره (نشرا) بفتح النون والشين ، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (نشرا) بفتح النون وسكون الشين.[2]

والرياح النشور - بمعنى ناشر. وناشر بمعنى محيى.[3] وهذه القراءات متقاربة. وهي بمعنى أن الرياح تهب من كل جانب فتجمع السحاب وتنشره هنا وهناك وتستدره بالمطر الذى بسببه تكون حياة الأرض والنبات وغيره ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى (والناشرات نشرا)[4] وقوله تعالى (اذا شاء أنشره).[5]

وقرأ عاصم (بشرا) بالباء واسكان السين. أخذ من البشارة يدل عليه قول الله تعالى : (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات)[6] وذلك أن الرياح تبشر بقدوم المطر. وصور القراءات التى ذكرت لاتخرج عن معنى أن الرياح تنشر السحاب أو تبشر بقدوم المطر. والمعنيان صحيحان.

---

(١) الدر المنثور ٦ : ٣٦٣.
(٢) النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ٣ : ٢٦٩.
(٣) الحجة في القراءات لأبى زرعة ص ٢٨٥. والكشف عن وجوه القراءات لمكى ١ : ٤٦٥. وانظر: تفسير ابن الجوزى ٣ : ٢١٨.
(٤) المرسلات : ٣. وانظر تفسير البغوى ١ : ١٣٦.
(٥) عبس : ٢٢. وانظر القراءات: أثرها في علوم العربية ١ : ٥٤٤.
(٦) الروم: ٤٦.

وقراءة عطاء (بُشْراً) قريبة من قراءة عاصم الصحيحة وهي التي في رسم المصحف.

وبهذه الأمثلة اتضح قول عطاء في القراءات وعلمه بها

المبحث الرابع

من أقوال علماء في النسخ

من القواعد الأصولية التي يعنى عليها المفسر تفسيره معرفة الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة وذلك للاهتداء إلى الصحيح من الأحكام والتقدم من المتأخر في النزول من الآيات الكريمة ومعرفة بعض حِكَم الله في تربية الخلق وسياسة البشر.[١]

تعريف النسخ :

- النسخ في اللغة : يأتي بمعنى الإزالة والنقل والتبديل والتحويل.[٢]

- والنسخ في الاصطلاح : رفع حكم شرعي بدليل شرعي

ويتوجه النسخ إلى الأحكام وأما أصول العبادات والمعاملات ومدلول الأخبار المحضة فلا نسخ فيها.[٣]

قال ابن الجوزي : اتفق جمهور علماء الأمم على جواز النسخ عقلا وشرعا وانعقد إجماع علماء الأمة على أن في القرآن منسوخا . قال الله تعالى (ما ننسخ من آية أوْ نُنسِهَا نَأْتِ بخير منها أوْ مِثْلِهَا).[٤][٥]

---

(١) مناهل العرفان ٢ : ٧٢، ١٠٧ وانظر البرهان ٢ : ٣٢.

(٢) مجمل اللغة ٣ : ٨٦٦. وانظر : مفردات غريب القرآن - للراغب ص ٤٩.

(٣) مناهل العرفان ٢ : ٧٢ . وانظر كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس ص ٦ . والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي بن أبي طالب ص ٧٤.

(٤) البقرة : ١٠٦.

(٥) نواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٧٨.

أقسام النسخ في القرآن ثلاثة:

١) ما نسخ لفظه وحكمه:

مثاله ما روى عن عائشة أنها قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن.[1]

قال النووى:

ومعناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدا حتى أنه صلى الله عليه وسلم توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنا متلوا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده، فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى[2] وأنه قد نسخ لفظه وحكمه.

٢) ما نسخ لفظه وبقى حكمه مثل (والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة).[3]

٣) ما نسخ حكمه وبقي لفظه. مثل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة)[4]

---

(١) انظر مشكل الآثار للطحاوى ٣: ٦ والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكي ص ٥٠.

(٢) انظر شرح النووى لصحيح مسلم ١٠: ٢٩.

(٣) نواسخ القرآن لابن الجوزي ص ١١٥

(٤) المجادلة: ١٢.

هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون). (١) (٢)

وأذكر فيما يلي بعض أقوال عطاء في النسخ في القرآن :

المثال الأول :

قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر . وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين . فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ...) (٣)

أخرج ابن جرير الطبري عن ابن أبي ليلى قال : دخلت على عطاء وهو يأكل في شهر رمضان فقال إني شيخ كبير إنّ الصوم نزل ، فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم مسكينا حتى نزلت هذه الآية (فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا

---

(١) المجادلة : ١٣ . وانظر : كتاب الجهاد لابن المبارك ص ١٩١ .

(٢) نواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٧٣ - ١٢٣ . وانظر : مقدمة شرح صحيح مسلم للنووي ١ : ٣٥ . والبرهان ٢ : ٣٢ . وأحكام القرآن للجصاص ١ : ٥٨ . والناسخ والمنسوخ لابن عبيد . والأحكام في أصول الأحكام للآمدي ٣ : ١١١ ، ٢٠٠ .

(٣) البقرة : ١٨٣ - ١٨٥ .

أو على سفر فعدة من أيام أخر) فوجب الصوم على كل أحد إلا مريض أو مسافر أو شيخ كبير مثلي يفتدى[1] ويوضح هذه الرواية ما رواه ابن جريج قال قلت لعطاء ما قوله (وعلى الذين يطيقونه) قال بلغنا أن الكبير إذا لم يستطع الصوم يفتدي من كل يوم من رمضان بمُد لكل (ي) مسكين. قلت الكبير الذى لا يستطيع الصوم أو الذى لا يستطيعه إلا بالجهد . قال بل الكبير الذى يستطيعه بجهد ولا بشيء فأما من استطاع بجهد فليصمه ولا عذر له في تركه.[2]

في الرواية الأولى . لم يصرح عطاء بالنسخ، ولكن قول عطاء (فوجب الصوم على كل أحد إلا مريض أو مسافر أو شيخ كبير يفتدى) قد يحمل على نسخ الخيار بين الصوم أو الفطر مع الفدية.

وروى مجاهد وعطاء عن ابن عباس في قوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه) قال يكلفونه (فدية طعام مسكين) واحد قال فهذه آية منسوخة ولا يرخص فيها إلا للكبير الذى لا يطيق الصيام أو مريض يعلم أنه لا يشفى .[4]

وروى عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قال هم الذين يتكلفونه ولا يطيقونه

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ٢ : ١٣٤ .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف. في كتاب الصوم باب الشيخ الكبير ٤ :٢٢١

(٣) تفسير ابن جرير الطبرى ٢ : ١٣٩ .

(٤) المرجع السابق ٢ : ١٣٨ .

الشيخ والشيخة وهو قول علي رضي الله عنه.[1]

وفي قوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) ذهب أكثر العلماء على أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) وروى هذا القول عن جماعة منهم معاذ بن جبل وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم وعلقمة بن قيس[2] والحسن وعكرمة وقتادة والنخعي وعامر الشعبي وعبيدة والأعمش والزهري و آخرين.[3]

وقول عطاء (إن الصوم نزل فكان من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم) أشار الى ما كان في بدء الإسلام[4] حيث كان التخيير بين الصوم أو الإفطار مع الفدية. ثم نسخ هذا الحكم. (فقد روى أنه لما نزل رمضان[5] شق عليهم فكان من أطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم ممن يطيقه. ورخص لهم في ذلك[6] ويوضح هذا القول ما روى عن عامر الشعبي قال لما نزلت (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) أفطر الأغنياء وأطعموا وحصل الصوم على الفقراء فأنزل الله (فمن

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٢: ١٣٩.

(٢) تفسير ابن الجوزي ١: ١٨٦.

(٣) تفسير ابن جرير الطبري ٢: ١٣٢. ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص ١٧٤.

(٤) فرض صوم شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة. وصام رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع رمضانات إجماعا
أحكام الاعتكاف د. أبو سريع محمد ص ٢٥.

(٥) أى لما نزل فرض الصيام.

(٦) الفتح ٨: ١٨٠.

شهد منكم الشهر فليصمه)فصام الناس جميعا [1] ويؤيد هذه الرواية ما أخرجه الإمام البخارى بسنده عن سلمة بن الأكوع قال : لما نزلت (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كان من أراد أن يفطر ويفتدى حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها [2] (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) [3] ومما يدل على النسخ أنه كرر ذكر المسافر والمريض وذلك بإباحة الفطر لهما والصوم في أيام أخر (ولولا تجديد الفرض فيه وتحديده، وتأكيده، ما كان لتكرار ذلك فائدة مقصودة [4] قال ابن جرير والطبرى :

(... وكان الجميع من أهل الإسلام مجمعين على أن من كان مطيقا صوم شهر رمضان فغير جائز له الإفطار والإفداء منه بطعام مسكين وكان معلوما أن الآية منسوخة .. وبطل الخيار والفدية [5] قال ابن حجر:

اتفقت الأخبار على أن قوله (وعلى الذين يطيقونه) منسوخ [6] واتفق الفقهاء. ومنهم عطاء على أن صيام شهر رمضان فرض

---

(١) أخرجه ابن حميد - وابن المنذر - الدر المنثور ١ : ٤٣٢ .
(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير باب قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه ٥ : ١٥٥ .
(٣) الدر المنثور ١ : ٤٣١ .
(٤) أحكام القرآن لابن العربى ١ : ٨٠ .
(٥) تفسير ابن جرير ٢ : ١٤٠ .
(٦) الفتح ٤ : ١٨٨ .

على المسلم المطيق.[١]

---

(١) وأما من لا يطيق الصوم. فقد أبيح له الفطر في شهر رمضان. إذا كان من أهل الأعذار الشرعية. ومنهم. المسافر والمريض والحائض والنفساء وعليهم القضاء والحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما فلهما الفطر وعليهما القضاء فحسب. وإن خافتا على ولديهما أفطرتا وعليهما القضاء وإطعام عن كل يوم مسكينا[أ] وهذا يروى عن ابن عمر ومجاهد وهو المشهور من مذهب الشافعي وهو قول الحنابلة.

وقال عطاء: عليهما القضاء دون الكفارة. وهو قول سعيد ابن جبير والضحاك والحسن وبه قال إبراهيم النخعي والزهرى. وهو قول المزني وأبي حنيفة وأهل الظاهر وربيعة الرأى. وبه قال أبو عبيد وأبو ثور واختاره ابن المنذر.[ب]

وقال ابن عباس: إذا خافتا على أولادهما أفطرتا وأطعمتا عن كل يوم مسكينا ولا قضاء عليهما وبه قال ابن عمر وسعيد بن جبير وقتادة في رواية[ج] وهو قول الشافعي. ومن عجز عن الصوم لكبر سنه والمريض الذى لا يرجى برؤه يفطران ويطعمان عن كل يوم مسكينا فإن عجزا عن الإطعام فلا شئ عليهما.[د]

(أ) نصف صاع من بر أو من غالب قوت أهل البلد وهو ما يزن ٦٨٨ غراما تقريبا. الفقه الإسلامي ٢ : ٦٨١.

(ب) تفسير القرطبي ٢ : ٢٨٩. وانظر الناسخ والمنسوخ - لعبد القاهر البغدادى ص ١٨٠.

(ج) الناسخ والمنسوخ لعبد القاهر البغدادى ص ١٨١. وتفسير القرطبي ٢ : ٢٨٩. والفتح ٨ : ١٧٩.

(د) المغني لابن قدامة ٣ : ١٤٩-١٥٢. وانظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص ٥٦ والفقه الإسلامي د. وهبة الزحيلي ٢ : ٦٤٦ـ٦٨٨

وفي قوله تعالى (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) قراءة لابن عباس ومن وافقه أخرج الإمام البخارى بسنده عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ (وعلى الذين يُطَوَّقونه فدية طعام مسكين) قال ابن عباس ليست بمنسوخة. هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً) .[1]

وفي هذه الرواية لا يخالف ابن عباس القول بأن حكم التخيير قد نسخ . وقرأ عطاء بقراءة شيخه وأخذ بتأويله للآية .

أخرج عبد الرزاق الصنعاني[2] وابن جرير الطبرى عن عطاء أنه كان يقرؤها (يُطَوَّقُونَهُ)[3] بفتح الطاء مخففة وتشديد الواو مبنيا للمفعول وهي قراءة أبى بكر الصديق[4] وابن مسعود[5] وسعيد ابن جبير ومجاهد . وقرأت أم المؤمنين عائشة (يَطَّوَّقُونَهُ) بفتح الياء وتشديد الطاء مفتوحة وهي قراءة عكرمة وطاووس وعمر بن دينار[6] قال القرطبي : إنما هي قراءة على التفسير[7] بمعنى

---

(١) صحيح البخارى كتاب التفسير باب قوله (أياما معدودات فمن كان منكم مريضا ....) . ٥ : ١٥٥ .

(٢) في تفسيره ١ : ٧٠ .

(٣) تفسير ابن الطبرى ٢ : ١٣٨ .

(٤) تفسير ابن الجوزى ١ : ١٨٦ .

(٥) الفتح ٨ : ١٨٠ .

(٦) تفسير ابن عطية ٢ : ٧٧ . وانظر: تفسير القرطبى ٢ : ٢٨٦ ، ٢٨٩ والدر المنثور ١ : ٤٣٢ .

(٧) تفسير القرطبى ٢ : ٢٨٧ .

يكلفونه إطاقته كالطوق في أعناقهم[1] أى يتوجه إليهم التكليف بالصوم وهم لا يستطيعون صومه ولا يقدرون عليه فيفطرون ويطعمون عن كل يوم مسكيناً ويحمل قوله تعالى (وأن تصوموا خير لكم) أن الصوم خير لكم من الإفطار مع الفدية[2] قال القرطبي : يحتمل النسخ بمعنى التخصيص[3] فكثيرا ما يطلق المتقدمون النسخ بمعناه.[4] ولا داعي للاحتمال مع قول أكثر العلماء بالنسخ. إلا أن نسخ التخيير بين الصوم أو الإفطار مع الفدية متفق عليه عند الفقهاء[5] وتأويل ابن عباس للآية بالفدية للمطيق إذا عجز عن الصوم وهو الشيخ الكبير والشيخة تأويل مقبول. وقد أخذ عطاء بقول شيخه. ووجوب الفدية[6] على من لا يستطيع الصوم

---

(١) ذكر أبو حيان في البحر المحيط. في قوله (يطيقونه) ست قراءات انظر ٢ : ٣٥. والمحتسب لابن جنى ١ : ١١٨.

(٢) تفسير ابن جرير الطبرى ٢ : ١٣٢. وتفسير الشوكانى ١ : ١٨٠.

(٣) التخصيص هو قصر العام على بعض أفراده. دراسات الأحكام والنسخ محمد حمزة ص ١٢٦. وانظر: الفرق بين التخصيص والنسخ في الإحكام في أصول الأحكام للآمدى ٢ : ١٢٤. والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه لمكى بن أبى طالب ص ٧٤. ومقدمة جامع التفاسير للراغب الأصفهانى ص ٨٢.

(٤) تفسير القرطبي ٢ : ٢٨٨.

(٥) حيث أصبح الصوم فرضا على المسلم المطيق وقد ذكر هذا آنفا وانظر: أحكام القرآن للجصاص ١ : ٨٣. ونيل الأوطار للشوكانى ٤ : ٢٦٣.

(٦) وقال جماعة من السلف منهم مالك وأبو ثور وداود أن جميع الإطعام منسوخ. وليس على كبير إذا لم يطق طعام وقال قتادة: كانت الرخصة لكبير يقدر على الصوم ثم نسخ فيه وبقي فيمن لا يطيق. نيل الأوطار للشوكانى ٤ : ٢٥٩. وانظر: تفسير ابن جرير الطبرى ٢ : ١٣٢.

ولا يطيقه من أهل الأعذار الشرعية[1] من نص الآية الكريمة (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) كما فسره ابن عباس وغيره من السلف.[2]

فقد أخرج أبو عبيد عن عطاء أنه سمع أبا هريرة في هذا المسجد . مسجد مكة. يفتي أن من أدركه الكبر فلم يستطع صيام رمضان فعليه لكل يوم مد من قمح) بمعنى أنه يفطر ويطعم[3] وهو قول قيس بن السائب[4] وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعلي رضي الله عنه وابن عمر والضحاك وسعيد بن جبير وأنس ابن مالك وأبي العالية ومجاهد وسعيد بن المسيب[5] وقال أبو عبيد وهذا قول سفيان وأهل العراق وأهل الحجاز ومكة.[6]

---

(١) انظر: الأعذار المبيحة للفطر في الفقه الإسلامي د . وهبة الزحيلي ٢ : ١٤١.

(٢) تفسير ابن كثير ١ : ٢١٣.

(٣) الناسخ والمنسوخ - لأبي عبيد ص ٥٨ . وقد أشار المحقق . محمد المديفر. إلى ضعف بعض رجال السند وأخرجه أيضا الدارقطني في سننه باب الإفطار لكبر أو رضاع ص ٢٠٨ وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى كتاب الصوم باب الشيخ الكبير لا يطيق الصوم.....) ٤ : ٢٧١ وذكره القرطبي في تفسيره ٢ : ٢٨٩. وانظر: تلخيص الجبير لابن حجر ٢ : ٢١٢.

(٤) قيس بن السائب. أبو عويمر بن عائذ بن عمران بن مخزوم. كان شريك النبي صلى الله عليه وسلم في الجاهلية الإصابة ٣ : ٢٤٨.

(٥) تفسير ابن جرير ٢ : ١٣٢، ١٤٢. والناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص ٥٤ ، ٦٨ . وانظر: أحكام القرآن للجصاص ص ١٧٨.

(٦) الناسخ والمنسوخ ص ٥٨.

وقول عطاء (بلغنا أن الكبير إذا لم يستطع الصوم يفتدى من كل يوم بمسكين. يؤيده فتوى أبي هريرة رضي الله عنه. وقول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعلى رضي الله عنه وشيخه ابن عباس ... وغيرهم.

المثال الثاني :

قال الله تعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول[1] غير إخراج فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم)[2] حكم هذه الآية منسوخ بقوله سبحانه وتعالى (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير)[3].

عن ابن جريج عن عطاء في قوله تعالى (وصية لأزواجهم) قال كانت المرأة في الجاهلية تعطى سكنى سنة من يوم توفي زوجها. فنسختها أربعة أشهر وعشرا.[4]

---

(١) أي إذا مر على الزوج المتوفى سنة كاملة.

(٢) البقرة: ٢٤٠.

(٣) البقرة: ٢٣٤.

(٤) نواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٢١٣ ، ٢١٥.

وأخرج ابن جرير الطبري عن عطاء في قوله تعالى ذكره (غير إخراج) قال إن شاءت اعتدت عند أهله وسكنت في وصيتها[1] وإن شاءت خرجت لقوله تعالى (فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن) .

وقال عطاء : ثم جاء الميراث بنسخ السكنى تعتد حيث شاءت ولا سكنى لها .[2] وقول عطاء مثله مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : للمتوفى زوجها نفقتها وسكناها في الدار سنة فنسختها آية الميراث[3] فجعل لهن الربع والثمن مما ترك الزوج .[4]

---

(١) أي إن شاءت اعتدت عند أهل الميت وسكنت في بيت زوجها المتوفى عنها .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٢ : ٥٨٠ ، ٥٨٢ . وانظر : أحكام القرآن للجصاص ١ : ٤١٤ - ٤١٨ . والناسخ والمنسوخ . عبد القاهر البغدادي ص ١٨٩ .

(٣) وهي قوله تعالى (ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم) النساء : ١٢ .

(٤) الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص ١٣٠ . وتفسير ابن جرير الطبري ١ : ٥٨٠ - ٥٨٢ .

انظر للتوسع :

ـ صحيح البخاري كتاب الطلاق باب (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا ...) ٦ : ١٨٧ . الدر المنثور ١ : ٦٩١ .

ـ السنن الكبرى للبيهقي كتاب العدد باب عدة الوفاة ٧ : ٤٢٧ .

وكان الحكم في ابتداء الإسلام أنه إذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث إخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها حق لها في مال زوجها تلك السنة. وليس لها من الميراث شيء ولكنها تكون مخيرة فإن شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكن وإن شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقه ولا سكن وكان يجب على الرجل أن يوصى بذلك لها. ثم إن الله تعالى ذكره. نسخ الوصية بالنفقة والسكن بآية الميراث فجعل لها الشارع الربع إذا لم يوجد ولد لزوجها والثمن مع وجود الولد[1] وقال ابن أبى حاتم: وهذا القول مروى عن ابن عباس وعن أبى موسى الأشعرى وابن الزبير ومجاهد وزيد بن أسلم والسدى ومقاتل بن حيان والربيع ابن أنس[2] وهو قول جمهور المفسرين[3] ونقل القرطبى عن القاضي عياض إجماع الفقهاء على أن آية العدة بالحول منسوخة[4] وعلى هذا قول عطاء متفق مع الجمهور وقول عطاء (جاء الميراث بنسخ السكن تعتد حيث شاءت ولا سكن لها) أى جعل الله لها

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ٢: ٥٨٢. عون المعبود ٦: ٣٩٩-٤١٠ بتصرف. وانظر: أحكام القرآن للجصاص ١: ٤١٤.

(٢) تفسير ابن كثير ١: ٢٩٦.

(٣) نواسخ القرآن لابن الجوزى ص ٢١٣، ٢١٥. وتفسير القرطبى ٣: ١٧٤. وانظر: تفسير الشوكانى ١: ٢٥٩.

(٤) تفسير القرطبى ٣: ٢٢٦ - ٢٢٧. وإيضاح لناسخ القرآن لمكى ابن أبى طالب ص ١٥٤. وانظر: الفتح ٩: ٤٩٣.

القسمة في الميراث وهو الربع إذا لم يوجد الولد والثمن مع وجوده ونسخ السكن والنفقة[١] مقابل هذا الميراث . قال ابن كثير: وقول عطاء ومن تابعه على أن ذلك منسوخ بآية الميراث إن اراد مازاد على الأربعة أشهر والعشر فسلم. وإن أراد أن سكن الأربعة أشهر وعشر لا تجب في تركة الميت فهذا محل خلاف بين الأئمة[٢] لأن المتوفى عنها زوجها لم يذكر في القرآن سكناها[٣] في مدة العدة أربعة أشهر وعشر إلا أنه في السنة ورد حديث عن النبي قوله صلى الله عليه وسلم " اسكني في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله " أخرج أحمد وأصحاب السنن والإمام البغوى في شرح السنة[٤] عن ابن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب أن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي أخت أبي سعيد الخدرى أخبرته أنها جاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله أن ترجع إلى أهلها في بني خدرة[٥] فإن زوجها خرج في

---

(١) نفقة المتوفى عنها زوجها على نفسها ونفقة المطلقة على زوجها إذا كان طلاقها رجعيا ـ أحكام القرآن للجصاص ١ : ٤١٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ١ : ٢٩٧ . وانظر: تفسير القرطبي ٣ : ١٩٦ . وشرح السنة للبغوى ٦ : ٣٠٢ .

(٣) أحكام القرآن الكيا الهرّاسي . ١ : ١٩٦ . وانظر: أحكام القرآن لابن العربي ١ : ٢٠٧ .

(٤) كتاب العدة باب سكن المتوفى عنها ٩ : ٣٠٠ .

(٥) أي قبيلة وجماعة أبي سعيد الخدرى .

طلب أَعْضُدٍ له أَبْقَوا حتى كانوا بطرف القدوم[1] لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أرجع إلى أهلي فإن زوجي لم يتركني في منزل يملكه ولا نفقة فقالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم فانصرفت حتى إذا كنت في الحجرة أو في المسجد دعاني أو أمر بي رسول الله فَدُعِيتُ له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " كيف قلت " قالت فرددت عليه القصة التي ذكرت من شأن زوجي " فقال (امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله) قالت فاعتددت أربعة أشهر وعشرا. قالت فلما كان عثمان أرسل إلى فسألني عن ذلك فأخبرته فاتبعه وقضى به[2] قال الإمام البغوي في شرح السنة:

---

(١) قال ابن الأثير: بالتخفيف والتشديد: موضع على ستة أميال من المدينة - النهاية في غريب الحديث ٤: ٢٧.

(٢) وأخرجه أحمد في المسند ٦: ٢٧٠.

وأخرجه أبو داود في السنن كتاب النكاح باب المتوفى عنها تنتقل ٦ : ٤٠٥.

وأخرجه الترمذي في الجامع كتاب الطلاق باب ما جاء أين تعتد المتوفى عنها زوجها وقال هذا حديث حسن صحيح ٢ : ٥٠٨ - رقم الحديث ١٢٠٤.

وأخرجه النسائي في السنن في كتاب الطلاق باب مقام المتوفى عنها زوجها في بيتها حتى تحل ٦: ١٩٩.

وأخرجه ابن ماجة في السنن في كتاب الطلاق: باب ماجاء أين تعتد المتوفى عنها زوجها. وكذلك أخرجه الحاكم في المستدرك وأقره الذهبي على التصحيح ٢: ٢٠٨.

وقد أشار محقق شرح السنة إلى أغلب كتب السنة التي أخرجت هذا الحديث ٩: ٣٠١.

اختلفوا في السكن للمعتدة عن الوفاة. وللشافعي قولان: أحدهما لا سكن لها بل تعتد حيث شاءت وهو قول علي رضي الله عنه وجابر بن عبد الله وأم المؤمنين عائشة بنت الصديق. وابن عباس وهو قول عطاء وبه قال عطاء الخرساني وجابر بن زيد والحسن وإليه ذهب أبو حنيفة والظاهرية واختاره المزني لأن النبي صلى الله عليه وسلم أذنه لفريعة أن ترجع إلى أهلها. وقوله صلى الله عليه وسلم لها آخرا (امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله) بني على الاستحباب)[1] وهذا قول جيد وتعليل قوي والقول الثاني: لها السكن وهو قول عمر وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وإليه ذهب مالك وأحمد. وقالوا إذنه لفريعة أولا صار منسوخا بقوله آخرا ((امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله)) وفيه دليل على جواز نسخ الحكم قبل الفعل.[2]

فقول عطاء (بنسخ السكن وتعتد حيث شاءت ولا سكن لها) مبني على حمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لفريعة

---

(١) ويلاحظ إذنه أولا صلى الله عليه وسلم لفريعة بالعدة في بيت أهلها لتعين صلاح شأنها وللأسباب التي ذكرتها وهي أن زوجها لا يملك دارا ولم يترك لها مالا للنفقة وربما بقاؤها يلزمها دفع إيجار للسكن ويضاف إلى هذا إذا كانت منفردة في بيت زوجها المتوفى عنها وخافت على نفسها من الفتنة. للتوسع انظر: زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٤: ٤١٦.

(٢) شرح السنة للبغوي ٩: ٣٠٢. وانظر: أحكام القرآن للجصاص ١: ٤١٩.

((اسكني في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله)) على الاستحباب[1] والرواية التي عند الحاكم بلفظ (اسكني في البيت الذي أتاك فيه نعي زوجك)[2] لا تفيد بأن لفريضة السكن في بيت زوجها المتوفى عنها.

وقد نقل ابن حجر عن ابن عبد البر قوله : لم يختلف العلماء أن العدة بالحول نسخت إلى أربعة أشهر وعشر . وإنما اختلفوا في قوله (غير إخراج) فالجمهور على أنه نسخ أيضاً[3] وعلى هذا يكون قول عطاء (ولا سكن لها) مع قول الجمهور. ويلاحظ أن الآية الناسخة متقدمة في الترتيب على الآية المنسوخة وقد أجاب العلماء بأن ترتيب الآيات أمر توقيفي والعبرة بنزول الآية المتأخرة المتضمنة للحكم هي الناسخة للحكم المتقدم والله سبحانه وتعالى أعلم.

المثال الثالث :

في هذا المثال نذكر بعض أقوال العلماء حول آيات الجهاد .

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية الدعوة يعرض عن أعداء الإسلام ويصبر على أذاهم ويصفح عنهم ويهجرهم .

---

(١) أي العدة في بيت زوجها المتوفى عنها وليس عليها مشقة في سكناها في داره .

(٢) المستدرك للحاكم وصححه ووافقه الذهبي عليه ٢ : ٢٠٨ .

(٣) الفتح ٩ : ٤٩٣ .

وذهب بعض المفسرين إلى أن مسالمة وموادعة الكفار والعفو والصفح عنهم . نسخ بآية السيف[1] وهي قوله تعالى (فإذا انسلخ[2] الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد)[3] .

قال عطاء في قوله تعالى : (ياأيها النبي جاهد الكفار . . .) نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح .[4]

---

(١) قيل إن هذه الآية الكريمة نسخت مائة وأربع عشرة آية في ثمان وأربعين سورة ذكرت في كتاب الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس ص ٢٦٧ . وانظر الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص ١٩٤ .

٢) (انسلخ) أي خرج . وسلخت الشهر إذا صرت في أواخر أيامه بمعنى خرجت منه تفسير القرطبي ٨ : ٧٢ . والأشهر الحرم فيها أربعة أقوال :

الأول : أنها الأشهر الحرم المعلومة : رجب . وذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

الثاني : أنها شوال من سنة تسع إلى آخر المحرم .

الثالث : أنها أربعة أشهر من يوم النحر من سنة تسع .

الرابع : أنها تمام تسعة أشهر كانت بقيت من عهدهم بنـاء على أن المراد بالمشركين الذين عاهدوا ثم لم ينقضوا . والقول الأول ضعفه ابن العربي وقال سائر الأقوال محتملة وقال إلا أن الصحيح عندنا أربعة أشهر من يوم النحر وهو الوقت الذي كان فيه الإعلان بالبراءة من المشركين ـ أحكام القرآن لابن العربي ٢ : ٩٠١ .

٣) التوبة : ٥ .

٤) تفسير البغوي ٢ : ٣١١ . والايضاح لناسخ القرآن لمكي ص ١٠٨ (و١٩٥ ، و٢٤٧ و٢٥٩ .

على القول بنسخ والعفو والصفح [1] لا يصح موادعة الكفار ومهادنتهم وعقد الصلح معهم اذا كان الأحظ للاسلام المصالحة.

قال الله تعالى (لست عليهم بمسيطر) [3] قوله تعالى (وما أنت عليهم بجبار) [4] وقول الله تعالى (فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين) [5] وقول الله تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) [6].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآيات المذكورة: نسخ هذا كله بآية السيف. وبنحوه قال مجاهد وعكرمة وقتادة [7] والحسن والضحاك

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ٩: ١١.
(٢) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزى ص ٢٠٨ ، ٢٢٨ ، ٣٥٦ . والايضاح للناسخ القرآن لمكى ص ١٠٨ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٧.
(٣) الغاشية: ٢٢.
(٤) سورة ق : ٤٥.
(٥) المائدة: ١٣.
(٦) الجاثية: ١٤. وانظر الفتح ٦: ٢٧٦.
(٧) الايضاح لناسخ القرآن لمكى ص ١٠٩ ، ٢٨٥. وانظر: تفسير القرطبى ٧: ٣٤٧.

والسدى وزيد بن أسلم وعطاء والخرساني وابن زيد[١] وقال الحسن ابن الفضل : نسخت هذه الآية كل آية في القرآن فيها الإعراض والصبر على أذى الأعداء.[٢]

وأخرج ابن أبي حاتم عن الضحاك قال كل آية في كتاب الله فيها ميثاق بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين وكل عهد ومدة نسختها سورة براءة[٣] يعني آية السيف المذكورة آنفا .

وذهب أكثر العلماء الى أن النسخ لم تتحقق شروطه حيث أمكن الجمع والتوفيق ولا حاجة إلى أن يقال إن الموادعة والمصالحة مع المشركين وغيرهم منسوخة بآية السيف. وعلى هذا يكون قول عطاء وغيره خلاف قول أكثر الفقهاء وقول جماعة من المفسرين[٤] قال ابن جرير الطبري : في قوله تعالى (خذ العفو)[٥] لا دلالة عندنا على أنه منسوخ فلا يحكم على الآية بأنها منسوخة لما

---

(١) تفسير القرطبي ٧ : ٣٤٧. وتفسير ابن كثير ٢ : ٢٦٠-٣٢٢. وانظر: الناسخ والمنسوخ لأبي عبيد ص ١٩٠. والفتح ٨ : ٣٠٦.

(٢) تفسير القرطبي ٨ : ٧٣. وانظر تفسير الخازن ٢ : ٢٠٦. وتفسير الألوسي ١٠ : ٥٠ - ١٢٨.

(٣) الدر المنثور ٤ : ١٢٢. وانظر: تفسير البغوى ٢ : ٢١١. وتفسير ابن الجوزى ٧ : ٢٩٥. وتفسير ابن كثير ٢ : ٣٢٢.

(٤) نواسخ القرآن لابن الجوزى ص ١٣٦ - ١٣٨. وزاد السير فى علم التفسير للمؤلف نفسه ١ : ١٣٢. وانظر: أحكام القرآن للجصاص ١ : ٢٥٦. وأحكام القرآن لابن العربى ٢ : ٨٧٦ - ٤ : ١٧٠١.

(٥) الأعراف: ١٩٩.

قد بينا ذلك في نظائره في غير موضع من كتبنا[1] قال الإمام الشافعي في أحكام القرآن فرض الله عزوجل قتال غير أهل الكتاب حتى يسلموا . وأهل الكتاب حتى يعطوا الجزية وقال في قول الله تعالى (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)[2] فهذا فرض على المسلمين ما أطاقوه فإذا عجزوا عنه فإنما كلفوا منه ما أطاقوه. فلا بأس أن يكفوا عن قتال الفريقين من المشركين وأن يهادنوهم فقد عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح مع قريش بالحديبية. ولما قوى أهل الإسلام أنزل الله تعالى (براءة من الله ورسوله)[3] عند مرجعه من تبوك فلم يجز أن يستأنف مدة[4] بعد نزول الآية وبالمسلمين قوة إلى أكثر من أربعة أشهر[5] ونقل ابن حجر عن الإمام الشافعي قوله: إذا ضعف المسلمون عن قتال المشركين جازت لهم مهادنتهم على غير شيء يعطونهم لأن القتل للمسلمين شهادة وإن الإسلام أعز من أن يُعطَى المشركون على أن يكفوا عنهم إلا في حالة مخافة اصطلام[6] المسلمين لكثرة العدو ولأن ذلك من معاني الضرورات وكذلك إذا أسر رجل مسلم فلم يطلق إلا بفدية جاز[7] وإلى هذا

---

(١) تفسير ابن جرير ٩ : ١٥٥ . وانظر: كتاب الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٢٩ . وأحكام القرآن لابن العربي ٢ : ٨٧٦ .

(٢) البقرة: ٢٨٦ . (٣) التوبة : ١

(٤) أي يعقد صلحا إلى مدة محدودة.

(٥) أحكام القرآن للشافعي ٢ : ٥٩ - ٦٢ باختصار.

(٦) أي استئصالهم وإبادتهم لسان العرب ١٢ : ٣٤٠ .

(٧) الفتح ٦ : ٢٧٦ ، ٥ : ٣٠٤ .

ذهب الامام البخاري. وترجم له في كتابه بعنوان باب الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره وقوله تعالى (ان جنحوا للسلم فاجنح لها)[1] وفي نص هذه الآية الكريمة أمر الله سبحانه وتعالى نبيه أن يجنح الى الصلح ان مالوا هم اليه وابتدؤوه بذلك.

قال ابن جرير الطبري: وان مالوا الى مسالمتك ومتاركتك الحرب. اما بالدخول في الاسلام. واما باعطاء الجزية واما بموادعة. ونحو ذلك من أسباب السلم (فاجنح لها) يقول: فمل اليها وابذل لهم ما مالوا اليه من ذلك وأسلكه...[2]

وقال ابن العربي رحمه الله: اذا كان المسلمون على عزة وقوة ومنعة فلا صلح وان كان للمسلمين مصلحة في الصلح لانتفاع يجلب به أو ضر يندفع فلا بأس أن يبتدئ المسلمون به اذا احتاجوا اليه وأن يجيبوا اذا دعوا اليه وقد صالح النبي صلى الله عليه وسلم أهل خيبر على شروط نقضوها فنقض صلحهم ووادع أهل نجران وهادن قريشا لعشرة أعوام نقضوا عهده.

ومازالت الخلفاء والصحابة على هذه السبيل عامة[3] قال ابن الجوزي: في قوله تعالى (فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله

---

(١) الأنفال: ٦١.

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ١٠: ٣٣. وانظر الايضاح لناسخ القرآن لمكي ص ١٠٨، ١٩٥، ٢٤٧، ٢٥٩، ٢٦٧.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٢: ٨٧٦ - ٤: ١٧٠٠.

بأمره)[1] ان هذه الآية ليست بمنسوخة الا أنه لم يأمر بالعفو مطلقا وانما أمر به الى غاية وبين الغاية لقوله (حتى يأتي الله بأمره) وما بعد الغاية يكون حكمه مخالفا لما قبله وما هذا سبيله لا يكون أحدهما ناسخا للآخر. بل يكون قد انقضت مدته بغاية والآخر محتاج الى حكم آخر. وقد ذهب الى هذا القول جماعة من المفسرين والفقهاء وهو القول الصحيح .[2]

قال ابن قيم الجوزية: في هديه (صلى الله عليه وسلم) الأمان والصلح ومعاملة رسل الكفار وأخذ الجزية ومعاملة أهل الكتاب والمنافقين. واجارة من جاءه من الكفار حتى يسمع كلام ورده الى مأمنه ووفاؤه بالعهد وبراءته من الغدر. . . .

ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة صالح يهود المدينة[3] وكتب بينه وبينهم كتاب أمن .[4] وقال ابن حجر في الآية الكريمة ان الأمر بالصلح مقيد بما اذا كان الأحظ للاسلام المصالحة. أما اذا كان الاسلام ظاهرا على الكفر لم تظهر المصلحة.[5]

وذهب الفقهاء الى أن عقد الموادعة مع الكفار الأصل

---

(١) البقرة : ١٠٩ .
(٢) الناسخ والمنسوخ لابن الجوزي ص ١٣٧ - ١٣٨ . وزاد المسير للمؤلف نفسه ١ : ١٣٢ . وانظر: الايضاح لناسخ القرآن لمكي ص ١٠٨ . وتفسير القرطبي ٨ : ٣٩ .
(٣) وكانوا ثلاث طوائف حول المدينة: بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة. زاد المعاد ٢ : ١٨٥ .
(٤) زاد المعاد لابن قيم الجوزية ٢ : ١٨٣ - ١٨٥ - ٢٩٠ .
(٥) الفتح : ٦ : ٢٧٦ .

فيه الجواز ويتوقف صحته على شرطين :

١) تحقيق الضرورة والمصلحة .

٢) أن لا يكون مؤبدا .[1]

قال محمد الصادق عرجون يرحمه الله : ..... ومع ذلك كله فا الله تعالى يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالعفو عنهم والصفح عن سوء مكرهم به وكيدهم له . ولأصحابه ودينه ودعوته .

لأن العفو عن المسيء عند القدرة عليه والتمكن من مجازاته على اساءته احسان . ورسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاحسان وأحق به .

وهذا الفهم لآية العفو والصفح من سورة المائدة (فاعف عنهم وأصفح ان الله يحب المحسنين)[2] ... لم يبق مجال للقول بالنسخ كما هو مذهب حذاق العلماء .[3]

وعلى هذا يكون قول عطاء وغيره بنسخ العفو والصفح خلاف أكثر الفقهاء وجماعة من المفسرين .

وبهذه الأمثلة اتضح بعض من قول عطاء في النسخ وعلمه به وهذا من منهج عطاء في التفسير . وبالله التوفيق .

---

(١) انظر : دار الحرب ودار الاسلام ـ عابد السفياني ص ٦٠ (نقلا عن :
ـ المجموع شرح المهذب ١٨ : ٢٢١ .
ـ نهاية المحتاج ٨ : ١٠٦ - ١٠٨ .
ـ المغني لابن قدامة ٩ : ٢٩٦ - ٢٩٧ . والفتح ٦ : ٢٧٦ .
وانظر : عون المعبود ٩ : ٥١٥ .

(٢) المائدة : ١٣ .

(٣) الموسوعة في سماحة الاسلام ص (٩٢١ ، ٩٣١) .

المبحث الخامس

أقوال علماء في الحروف المقطعة

تمهيد :

بدأ الله سبحانه وتعالى بعض سور القرآن الكريم .

بحروف مقطعة وهي :

١ - سورة البقرة : الم .

٢ - سورة آل عمران : الم .

٣ - سورة الأعراف : المص .

٤ - سورة يونس : الر .

٥ - سورة هود : الر .

٦ - سورة يوسف : الر .

٧ - سورة الرعد : المر .

٨ - سورة إبراهيم : الر .

٩ - سورة الحجر : الر .

١٠ - سورة مريم : كهيعص .

١١ - سورة طه : طه .

١٢ - سورة الشعراء : طسم .

١٣ - سورة النمل : طس .

١٤ - سورة القصص : طسم .

١٥ - سورة العنكبوت : الم .

١٦ - سورة الروم : الم .

١٧ - سورة لقمان : الم .

١٨ - سورة السجدة : الم .

١٩ - سورة يس : يس.

٢٠ - سورة ص : ص

٢١ - سورة غافر : حم .

٢٢ - سورة فصلت : حم .

٢٣ - سورة الشورى : حم عسق .

٢٤ - سورة الزخرف : حم .

٢٥ - سورة الدخان : حم .

٢٦ - سورة الجاثية : حم .

٢٧ - سورة الأحقاف : حم .

٢٨ - سورة ق : ق

٢٩ - سورة ن : ن

وهذه الحروف في تسع وعشرين سورة . وجملتها من غير تكرار أربعة عشر حرفا يجمعها قول ((نص حكيم قاطع له سر))[1].

ولقد اختلف العلماء في معنى هذه الحروف وتفسيرها .
وقول أكثر العلماء أن هذا من المتشابه الذي اختص الله بعلمه وذهب قوم إلى أن المراد معلوم وذكروا مايزيد على عشرين وجها .

وقال بعض العلماء جعلت هذه الحروف المقطعة دلالة

---

(١) البرهان : ١ : ١٦٥ .

على عجز العرب بأن يأتوا بمثل هذا القرآن رغم أنه مؤلف من هذه الحروف التي ينطقونها وهم أهل اللسان العربي وأهل الفصاحة والبلاغة ، والأولى والأجدر بهم أن يتدبروا هذا القرآن ويعلموا أنه كلام الله تعالى وليس بقول بشر وهذا قول جيد بعد القول الأول بأن هذه الحروف المقطعة من المتشابه الذى اختص الله بعلمه.[1]

أقوال عطاء في الحروف المقطعة

قال الله تعالى : (المص)[2] قال عطاء : هو ثناء أثنى الله به على نفسه[3] وفي قوله هذا خالف شيخه . فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه : أنا الله أعلم وأفضل[4] وفي رواية أيضا عن ابن عباس في قوله ـ الم ـ أنا الله أعلم . وفي (المص) أنا الله أفضل . وفي ـ الر ـ أنا الله أرى . ويروى عن ابن عباس : "أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى . فمثلا الألف

للتوسع انظر :
(١) البرهان ١ : ١٧٣ . الإتقان ٣ : ٢٤ . تفسير ابن جرير الطبري ١ : ٨٩ . وتفسير الماوردى ١ : ٦٢ . وتفسير البغوى ١ : ٤٤ . وتفسير ابن عطية ١ : ٩٤ . وتفسير ابن الجوزى ١ : ٢٠ . وتفسير الفخر الرازى ٢ : ٣ . وتفسير ابن كثير ١ : ٣٥ .
(٢) أول سورة الأعراف.
(٣) تفسير الثعلبي ، مخطوط ٢ : ٢٢٥ .
(٤) تفسير الماوردى ٢ : ٧ . وتفسير ابن الجوزي ٢ : ١٦٤ وانظر تفسير الخازن بهامشه تفسير النسفي ٢ : ٧٢

من (الله) واللام من (اللطيف) والميم من (مجيد) وقال أبو العالية: إن الألف مفتاح اسمه (الله) واللام مفتاح اسمه (لطيف) والميم مفتاح اسمه (مجيد) والصاد مفتاح اسمه (صادق).[1]

وقال عطاء في (الر)[2] حكم بما حكم الله من الأرزاق والآجال وما شاء[3] وفي (طه) قال ابن عباس: معناها يارجل. وهذا قول عطاء ومجاهد والضحاك وعكرمة وقتادة وهو قول الحسن وسعيد بن جبير في رواية.

وقال ابن مسعود: إن الطاء من (اللطيف) والهاء من (الهادي) وبه قال أبو العالية.

وقال سعيد بن جبير في رواية: إن الطاء افتتاح اسمه (طاهر) و (طيب) والهاء افتتاح اسمه (هادي).[4]

وفي سورة الشورى قال الله تعالى (حم عسق).

قال عطاء:

(ح) حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز من قريش.

(ع) عدو لقريش يقصدهم. (س) سبي يكون فيهم.

(ق) قدرة الله النافذة في خلقه.[5] وقول عطاء هذا خالف

---

(١) تفسير ابن الجوزي ٣: ١٦٥.
(٢) سورة يونس: ١. وانظر: تفسير ابن الجوزي ٤: ٤.
(٣) تفسير الثعلبي - مخطوط ٤: ١٦٣.
(٤) تفسير البغوي ٣: ٢١١. وتفسير ابن الجوزي ٥: ٢٦٩.
(٥) تفسير البغوي ٤: ١١٩. وانظر: تفسير الخازن بهامش النسفي ٤: ٩٠. وتفسير ابن الجوزي ٧: ٢٧١. والدر المنثور ٧: ٣٣٥.

فيه شيخه .

قال ابن عباس: (ح) حلمه . (م) مجده . (ع) علمه .
(س) سناه . (ق) قدرته .

أقسم الله عز وجل بها [١] . وقيل : (العين من (العزيز)
و (السين) من (قدوس) و (القاف) من (قاهر) . [٢]

وفى سورة (ن) قال عطاء وأبو العالية: (ن) هو
افتتاح اسمه : (نور — ونصير — وناصر) . وقال بعضهم
إن النون آخر حروف (الرحمن) وهى رواية عكرمة عن ابن عباس.
وقال محمد بن كعب: أقسم الله بنصرته للمؤمنين . [٣]

وتفسير عطاء وغيره لمعانى الحروف المقطعة قول بالاجتهاد
والاجتهاد منه ما يحتمل الخطأ ومنه ما هو صواب. وهذه الأقوال
فى الحروف المقطعة من الاجتهاد الذى لا دليل عليه . ولم
يرد فى الحروف المقطعة التى فى أوائل بعض سور القرآن
نص تفسيرى عن النبى صلى الله عليه وسلم. وقد سبق خلاصة
أقوال العلماء فى ذلك ، وأن أكثر العلماء على أن هذا من
المتشابه الذى اختص الله بعلمه ، وفيها معنى للتحدى والإعجاز.
فالقرآن مكون من مثل هذه الحروف التى ينطقون بها ، فإذا كان
المشركون يزعمون أن القرآن من كلام البشر. فليأتوا بسورة واحدة

---

(١) تفسير البغوى ٤ : ١١٩ .
(٢) تفسير الخازن ٤ : ٩٠ . وانظر: الدر المنثور ٧ : ٣٣٥ .
(٣) تفسير البغوى ٤ : ١٧٥ . وتفسير ابن الجوزى ٨ : ٣٢٧ . وانظر:
تفسير القرطبى ١٨ : ٢٢٤ . وتفسير الشوكانى ٥ : ٢٦٧ .

من مثله[1] والله سبحانه وتعالى أعلم .

وبهذا القدر اتضح قول عطاء في معنى الحروف المقطعة التي بدأت بها بعض سور القرآن الكريم .

---

(١) للتوسع : انظر : مباحث في علوم القرآن - د . صبحي الصالح ص ٢٣٤ .

المبحث السادس

من أقوال علماء في فضائل السور

السورة في اللغة:

قال ابن فارس: سورة. هي كل منزلة من البناء.[(١)]

قال الفيروزآبادى: والسورة من القرآن منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى.[(٢)]

قال أبو حيان: السورة: منزلة إلى منزلة أخرى.[(٣)]

قال الزركشي: ويحتمل أن تكون السورة بمعنى المرتبة لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيبا مناسبا.[(٤)]

وقال ابن جني: إنما سميت سورة لارتفاع قدرها لأنها كلام الله تعالى[(٥)] وهذا بنحو من قال (إن السورة بمعنى العلو[(٦)] ومنه قوله تعالى (إذ تسوروا المحراب).[(٧)]

ولذا يقال إن السورة مأخوذة من سور المدينة. وذلك

---

(١) مجمل اللغة: باب السين والواو ٣: ٤٧٨.
(٢) القاموس المحيط: باب الراء فصل السين ٢: ٥٣.
(٣) تحفة الأريب ص ١٦٠.
(٤) البرهان ١: ٢٦٣.
(٥) البرهان ١: ٢٦٤. وانظر: كتاب فضائل القرآن لابن كثير ص ١٦٦.
(٦) البرهان ١: ٢٦٣.
(٧) ص: ٢١.

لما فيها من وضع كلمة بجانب كلمة وآية بجانب آية كالسور توضع كل لبنة فيه بجانب لبنة ويقام كل صف منه على صف ولما في السورة من معنى العلو والرفعة المعنوية الشبيهة بعلو السور ورفعته الحسية..[1]

وبناءً على ماسبق يكون معنى السورة (المنزلة والدرجة)[2] فالقارئ يرقى بكل سورة منزلة ويرتفع درجة. يدل عليه ما روى عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرء وارقه ورتل كما كنت ترتل فإن منزلتك في آخر آية تقرأها).[3]

والسورة في الاصطلاح :

قرآن يشتمل على آي ذوات فاتحة وخاتمة[4] وأقلها ثلاث آيات

والآية في اللغة: لها معان منها . العلامة والعبرة[5]

والآية في الاصطلاح : قرآن مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدأ

---

(١) مناهل العرفان ١ : ٣٤٢ .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير الطبري ١ : ٤٦ .
(٣) حديث صحيح أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب فضائل القرآن ، أخبار فضائل القرآن جملة - الذهبي صحيح ١ : ٥٥٣ . وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٢ : ١٩٢ . وبنحو لفظه أخرجه الترمذي - كتاب فضائل القرآن: باب ماجاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر. وقال حديث حسن صحيح ٥ : ١٦٣ . وأخرجه أيضا النسائي وأبو داود وابن حبان: انظر صحيح الجامع الصغير ٦ : ٣٢٩ .

(٤) البرهان ١ : ٢٦٣ .
(٥) القاموس المحيط. باب الواو والياء فصل الهمزة ٤ : ٣٠١ .

ومقطع مندرج في سورة[١] وترتيب سور وآيات القرآن الكريم أمر توقيفي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى هذا الترتيب الذي نراه اليوم بالمصاحف انعقد إجماع الأمة.[٢]

فضائل سور وآي القرآن الكريم

جميع سور وآي القرآن الكريم لها فضل وأجر وثواب بالتعبد بتلاوتها . ويجب العلم بأن ما ورد في فضل بعضه لا يوهم النقص في قدر الآخر[٣] إنما الفضل يعود في الأجر وعظيم الثواب لقارئ هذه السور والآيات لتناولها أمهات المسائل مثل الحديث عن الذات الإلهية والبعث والجزاء وما يتعلق به[٤] وذكر هذا الفضل ليزداد طالب الخير ويستبقه. ومحب الطاعة يلازم على مداومة تلاوته خاصة إذا ثبت الفضل والأجر في قراءة حرف من القرآن الكريم.

عن أيوب بن موسى قال سمعت محمد بن كعب القرظي

---

(١) البرهان ١: ٢٦٦. وانظر: مناهل العرفان ١: ٣٢٢.
(٢) البرهان ١: ٢٦٠ . ومناهل العرفان ١: ٣٢٩.
(٣) لأن القرآن الكريم جملة هو كلام الله تعالى سبحانه.
(٤) الفتح ٨: ١٥٨ - ٩: ٥٤.

يقول " سمعت عبد الله بن مسعود يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف وميم حرف. قال: الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.[1]

ولقد ثبت فضل بعض سور وآيات بعينها في صحيح البخارى مثل أم القرآن والبقرة والكهف والفتح و (قل هو الله أحد) والمعوذتين وآية الكرسى.[2]

كما ورد في معظم كتب السنة فضائل لكثير من سور وآيات القرآن الكريم .

وقد أفرد بعض أئمة الإسلام هذا الموضوع بالتصنيف.[3][4]

---

(١) جامع الترمذى - أبواب فضائل القرآن باب ماجاء في من قرأ حرفا من القرآن. وانظر: تحفة الأحوذى ٨:٢٢٦
وبنحو لفظه أخرج عبد الرزاق في المصنف - كتاب فضائل القرآن باب تعليم القرآن وفضله ٣: ٣٦٥ - ٣٦٧ - ٣٧٤. وأخرجه أيضا الدارمى في السنن ٢: ٤٢٩. والطبرانى والبيهقى. وانظر: المستدرك للحاكم ١: ٥٥٥.

(٢) صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب فضل فاتحة الكتاب. ٦:١٠٢

(٣) مثل كتاب فضائل القرآن للفريابى وفضائل القرآن للنسائى وابن كثير وابن رجب الحنبلى.

(٤) وانظر: تخريج الأحاديث التى وردت في فضل بعض سور وآى القرآن الكريم مثل كتاب فضائل القرآن - محمود شكور محمود الميادينى.

ومن أقوال عطاء في فضل بعض سور القرآن الكريم قوله في فضل فاتحة الكتاب أخرج أبو الشيخ في الثواب عن عطاء قال : اذا أردت حاجة فاقرأ بفاتحة الكتاب حتى تختمها تقضى ان شاء الله[1].

ومن هذا القول يتبين لنا قول عطاء في فضل سورة الفاتحة ، كما وردت السنة الشريفة بذلك[2]، وأجمع على ذلك العلماء .

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ١ : ١٧ .

(٢) انظر : صحيح البخاري ـ كتاب الاجارة باب مايعطى في الرقية على احياء العرب بفاتحة الكتاب ٣ : ٥٣ .

صحيح مسلم : كتاب الصلاة ـ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ١ : ٢٩٥

المبحث السابع

من استنباط عطاء واستدلاله في التفسير

سئل عطاء عن مسألة فقال لا أدري . فقيل له ألا تقول فيها برأيك؟ قال إني أستحيي من الله أن يدان في الأرض برأيي .[1]

يستدل من قول عطاء هذا على ورعه وخوفه من الله تعالى . أن يفتي الناس برأيه الخاص دون استدلال . والمقصود هنا بالرأي الاجتهاد بالعقل فقط .

أما القول المستنبط والقائم على الدليل والمستند إلى برهان من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . فهذا مأمور به لمن كملت فيه أهلية الاجتهاد .

ولقد توفرت شروط المجتهد في عطاء واكتملت أهليته[2] وفي مقدمتها خشية الله تعالى . قال عطاء في قوله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء)[3] من خشي الله فهو العالم[4] وقد كان عطاء شيخ أهل مكة بعد ابن عباس

---

(١) سنن الدارمي ١ : ٤٧ . وتهذيب التهذيب ٧ : ٢٠٢ .

(٢) انظر : مكانة عطاء العلمية ص ١١٢ . وانظر : تقرير الإسناد في تفسير الاجتهاد للسيوطي ص ٣٠ . وإرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد للأمير الصنعاني ص ١٣٣ .

(٣) فاطر : ٢٨ .

(٤) جامع بيان العلم وفضله . لابن عبد البر ص ٣٤٨ .

رضي الله عنهما .

وإليك بعض الأمثلة على استنباط عطاء .

المثال الأول :

قال عطاء : ماكنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة . ولو كانت حبشية حبلى من الزنا لأني لم أسمع أن الله حجب الصلاة إلا عن المشركين . بقول الله تعالى : (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) .[1] ، [2]

وفي رواية استدل عطاء على ذلك بقوله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به . . .)[3] وفي رواية قال : لا أدع الصلاة على من قال لا إله إلا الله .[4]

وقول عطاء هذا قوي لاستدلاله بنص الآية الكريمة وقوله أيضا مبني على فعل النبي صلى الله عليه وسلم . فقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المرأة الغامدية[5] وماعز[6]

---

(١) التوبة : ١١٣ .
(٢) مصنف عبد الرزاق ٣ : ٥٣٤ . وتفسير ابن جرير الطبري ١١:٤٥. وانظر : تفسير ابن عطية ٨ : ٢٨٩ . وأحكام القرآن لابن العربي ٢ : ١٠٢٣ .
(٣) النساء : ١١٦ .
(٤) مصنف عبد الرزاق ٣ : ٥٣٤ .
(٥) انظر : صحيح مسلم . باب حد الزنا ٣ : ١٣١٧ .
(٦) صحيح البخاري . كتاب الحدود باب الرجم في المصلى . ٨ : ٢٢ .

بعد إقامة حد الزنا عليهما .

ومذهب جمهور العلماء[1] من أهل السنة والجماعة الصلاة على سائر المسلمين من أهل الكبائر والمعاصي والمقتولين في الحدود ، ودفنهم في مقابر المسلمين .[2]

فقول عطاء موافق مذهب جمهور العلماء.[3] لأن المسلم لا ييأس من توبة أهل المعاصي والمغفرة لهم والتجاوز عن سيئاتهم لأن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يملك قبول التوبة والعفو عن السيئات . قال الله تعالى : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات)[4] والله سبحانه وتعالى يغفر جميع الذنوب لمن يشاء ماعدا الشرك . قال الله تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) .[5] مع العلم بأن من أقيم عليه الحد فهو كفارة له .

عن عبادة بن الصامت قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال : تبايعوني على أن لا تشركوا بالله ولا تزنوا ولا تسرقوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق

---

(١) انظر : مصنف عبد الرزاق باب الصلاة على ولد الزنا والمرجوم ٣ : ٥٣٣ .
(٢) الفقه الإسلامي وأدلته . د . وهبه الزحيلي ٢ : ٥٣٤ .
(٣) انظر كتاب الإيمان لابن منده . ذكر مايدل على أن من لقي الله بالتوحيد دخل الجنة ١ : ٢١٢ . وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي ١ : ١٧٠ .
(٤) الشورى : ٢٥ .
(٥) النساء : ١١٦ .

فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به فهو كفارته ومن أصاب شيئا من ذلك فستره الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه.(١)

ومع العلم بأن العاصى قد تناله الشفاعة ، فقد أخرج الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته ، وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة فهى نائلة من مات من أمتى ولا يشرك بالله شيئا".(٢)

ومذهب أهل السنة والجماعة أن من مات موحدا دخل الجنة . ومن مات وقد أصاب شيئا من المعاصى فهو فى مشيئة الله تعالى فإن شاء عفا عنه فأدخله الجنة وإن شاء عذبه ثم يدخله الجنة فلا يخلد فى النار

---

(١) صحيح مسلم. كتاب الحدود . باب الحدود كفارة لأهلها ١٣٣٣:١

(٢) صحيح مسلم. كتاب الإيمان . باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم دعوة الشفاعة لأمته ١٨٩ : ١

أحد مات على التوحيد[1] وهذا مذهب أهل الحق[2] والذى قام عليه الدليل من الكتاب والسنة . أن العاصى يدخل الجنة . عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أتانى جبريل فبشرنى أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة . قلت وإن سرق وإن زنى قال وإن سرق وإن زنى .[3]

وهذا الحديث وأمثاله لا يتخذ ذريعة وحجة لارتكاب المعاصى ظنا بأن عدم الشرك سبب كاف فى دخول الجنة . فقد ورد التحذير من عاقبة المعصية . والترغيب فى الطاعة . قال

---

(١) خلافا لطوائف من المبتدعة منهم المرجئة : قالت لا تضر المعصية مع الإيمان . وقال الخوارج بتكفير صاحب الكبيرة ويخلد فى النار (وأن من لا يعتقد معتقدهم يكفر ويباح دمه وماله).[أ]

وقالت المعتزلة : يخلد فى النار إذا كانت معصية كبيرة ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر ولكن يوصف بأنه فاسق .

وقالت الأشعرية : بل هو مؤمن وإن لم يغفر له وعذب فلابد من إخراجه من النار .[ب] وإدخاله الجنة .

(٢) انظر صحيح مسلم ، كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة ١ : ٩٤ . والفتح ١١ : ٣٦٩ . وانظر الملل والنحل للشهرستانى ١ : ٤٥ ، ١٠١ .

(٣) صحيح البخارى . كتاب التوحيد باب كلام الرب مع جبريل ونداء الملائكة ٨ : ١٩٥

(أ) الفتح ١٢ : ٢٨٤ .

(ب) قلت وليس هنا (بد) كما قالت الأشعرية بل يخرج العاصى من النار برحمة الله تعالى وفضله وشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وغيره .

الله تعالى : (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا)[١] وقال الله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا)[٢] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (.... اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم يكن فبكلمة طيبة)[٣] ومع أن العمل بمعاصي الله هو كفران بالنعمة وعرضة لزوالها .[٤]

فأهل الكبائر والمعاصي يصلى عليهم ويدفنون في مقابر المسلمين وأمرهم إلى الله . فهم تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر لهم وعفا عنهم وإن شاء أدخلهم النار وعذبهم بها ثم يخرجون منها بشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والملائكة وصالح المؤمنين . ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله فلا يبقى في النار إلا الكافرون .[٥]

---

(١) النساء : ٦٩ .

(٢) الكهف : ١٠٧ ، ١٠٨ .

(٣) صحيح البخاري . كتاب الأدب . باب طيب الكلام . ٧ : ٧٨ .

(٤) تفسير المعوذتين لابن قيم الجوزية ص ٥٤ .

(٥) صحيح البخاري . كتاب الإيمان . باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال . ١ : ١١ . ومجموع فتاوى ابن تيمية . فصل من أصول أهل السنة . أنهم لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر ٣ : ١٥١ .

فقول عطاء : ماكنت لأدع الصلاة على أحد من أهل القبلة ولو كانت حبشية حبلى من الزنا .... قول مستند على دليل واضح واستنباط قوى .[1] وهنا تجدر الإشارة إلى ترك النبى صلى الله عليه وسلم الصلاة على من عليه دين .

فقد أخرج الإمام البخارى بسنده عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بجنازة ليصلى عليها فقال : هل عليه دين ؟ قالوا لا . فصلى عليه . ثم أتى بجنازة أخرى فقال هل عليه دين ؟ قالوا نعم . قال : فصلوا على صاحبكم . قال أبو قتادة : علىّ دينه يارسول الله فصلى عليه .[2]

واستدل بهذا الحديث على من تكفل عن ميت دينا فليس له أن يرجع وهذا قول الجمهور .[3]

وقول النبى صلى الله عليه وسلم (صلوا على صاحبكم) على سبيل المبالغة فى حفظ حقوق العباد ؛ توقيا من الدين وتحذيرا من غمط الناس وظلمهم وتضييع حقوقهم أوالتقصير فى الأداء والقضاء .[4]

---

(١) انظر : مصنف عبد الرزاق . باب الصلاة على ولد الزنا ٣ : ١١ ، ٣٤ .
(٢) صحيح البخارى . كتاب الكفالة . باب من تكفل عن ميت دينا فليس له أن يرجع . ٣ : ٥٧
(٣) الفتح ٤ : ٤٧٤ . والحديث أخرجه الامام أحمد فى المسند بنحو ألفاظه ٢ : ٢٩٠ ، ٣٨٠ ، ٣٩٩ ، ٤٥٣ . و٣ : ٣٣٠ . و ٥ : ٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣١١ .
(٤) عون المعبود ٩ : ١٩٢ ، ٨ : ١٠٦ . بتصرف

المثـال الثـاني :

قال الله تعالى

(وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد) .[1]

أخرج الطحاوي[2] عن قتادة عن عطاء أن رجلا يقال له يعلى بن أمية أحرم وعليه جبة فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزعها .[3]

قال قتادة : قلت لعطاء إنما كنا نرى أن يشقها فقال عطاء (إن الله لا يحب الفساد)[4] يعني شق الجبة وتمزيقها نوعا من الفساد المنهي عنه . وسبب ذكر شق الجبة لأن الرأس يتغطى عند خلع الجبة أو نزع القميص . والمحرم نهي عن تغطية رأسه .[5]

والفساد في اللغة ضد الصلاح . ويقال للشيء إذا تعذر

---

(١) البقرة : ٢٠٥ .
(٢) في شرح معاني الآثار ٢ : ١٣٩ .
(٣) الحديث متفق عليه أخرجاه بنحو ألفاظه . انظر : صحيح البخاري كتاب الحج . باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب وصحيح مسلم كتاب الحج . باب ما يباح لبسه للمحرم بحج أو عمرة شرح النووي ٨ : ٨٣٧
(٤) ذكره الثعلبي في تفسيره وهو مخطوط . وانظر : تفسير القرطبي ٣ : ١٨ . وتفسير البحر المحيط ٢ : ١١٧ . وأشار إليه ابن حجر في الفتح ٣ : ٤ : ٣٩ .
(٥) انظر : شرح معاني الآثار للطحاوي ٢ : ١٣٨

المقصود منه وزالت منفعته.[1]

قال ابن الجوزي: الفساد: تغير الشيء عما كان من الصلاح. وقد يقال في الشيء مع قيام ذاته ويقال مع انتقاضها. ويقال فيه إذا بطل وزال. ويذكر الفساد في الدين كما يذكر في الذات. فتارة يكون بالعصيان وتارة بالكفر ويذكر الفساد في العبادات والعقود وفي الأقوال إذا كانت غير منتظمة وفي الأفعال إذا لم يعتد بها.[2]

وبقول الله تعالى (والله لا يحب الفساد) استدل علماء على أن إتلاف أي شيء يمكن الانتفاع به والاستفادة منه على وجه شرعي يعتبر إسرافا وتبذيرا ووجها من وجوه الفساد المنهي عنه شرعا (لأن المال حقيقة لله والإنسان مستخلف فيه وإذا منع الإنسان من إتلاف ما يملكه يكون النهي عن إتلاف ما يملكه غيره من باب أولى.

ولهذا من أساء التصرف في ماله (حجر عليه)[3] وإذا تعدى على مال الغير ضمن أو قيم عليه الحد[4].

---

(١) القاموس المحيط. باب الدال. فصل الفاء ١: ٣٢٣.
(٢) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص ٤٦٩.
(٣) الحجر في اللغة التضييق والمنع. وشرعا: منع إنسان من تصرفه في ماله. وهو ضربان: حجر لحق الغير كحجر مفلس. وحجر لحق نفسه كحجر نحو صغير. الروض المربع. منصور البهوتي ص ٢٥٤.
(٤) الفقه الإسلامي وأدلته. د. وهبة الزحيلي ٥: ٥١٥، ٥١٨، ٧٤٠، ٧٤٨. وانظر: نظرية الضمان للمؤلف نفسه.

قال القرطبي :
في قوله تعالى (والله لا يحب الفساد) الآية بعمومها تعم كل فساد في الأرض أو مال أو دين [1] أي في الآية الكريمة دلالة على أن الله سبحانه وتعالى لا يحب الفساد بجميع صوره ولا يأمر به. ومعنى قول عطاء : (بأن من شق ثوبه أو جبته) الذي يمكن الانتفاع به على وجه شرعي يكون وجها من الفساد المنهي عنه شرعا . حتى ولو شق ثوبه أو جبته للإحرام.

وقول عطاء استنباط قوى يدل عليه قول الله تعالى (والله لا يحب الفساد) . وقول الله تعالى (إن الله لا يحب المفسدين) .[2]

وفي نص الحديث (فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن ينزعها) دلالة على أن من أحرم وهو لابس مخيطا من ثوب أو جبة ونحوه ينزعه ولا يلزمه شقه . وهذا قول عطاء وعكرمة وبه قال مالك وأبو حنيفة والشافعي وهو قول الجمهور.[3]

كما يلاحظ أن استنباط عطاء في قوله تعالى (والله لا يحب الفساد) على نحو ما ذكر من إتلاف مال يمكن الانتفاع به سواء كان مالا خاصا به أو كان مالا للغير هو بمعنى إفساد الشيء وتخريبه . وهذا وجه من وجوه الفساد في القرآن وفعله

---

(١) تفسير القرطبي ٣ : ١٧.
(٢) القصص : ٧٧.
(٣) شرح النووي لصحيح مسلم ٨ : ٧٧.

معصية أيضا لا يحبه الله كما استدل عطاء.

وذكر أهل التفسير أن الفساد في القرآن على سبعة أوجه. وهي المعصية، والهلاك، وقحط المطر، والقتل، والخراب، والكفر، والسحر[1]

المثال الثالث:

قال الله تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير)[2]. وقال الله تعالى (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)[3].

قال الأوزاعي: كنت باليمامة[4] وعليها وال يتحسن[5] الناس برجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه منافق وما هو بمؤمن ويأخذ عليهم بالطلاق والعتق[6] أنه يسميه منافقا وما يسميه مؤمنا. فجعلوا له ذلك أي وافقوه على طلبه ظاهرا. قال فلقيت

---

(١) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر لابن الجوزي ص ٤٧٠.
(٢) آل عمران: ٢٨.
(٣) النحل: ١٠٦.
(٤) اليمامة كان اسمها قديما (جوا) فتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد بين اليمامة والبحرين عشرة أيام وهي معدودة من نجد. انظر: معجم البلدان للحموي ٥: ٤٤٢.
(٥) أي يتهم ويطعن في رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(٦) أي يشدد عليهم ويأخذ العهد بأن زوجته طالق وعبده معتق اذا لم يطيعوه الى ما أراد ويوافقوه على رأيه الخاطئ.

عطاء فيما بعد فسألته عن ذلك فقال ما أرى بذلك بأسا يقول الله تعالى (إلا أن تتقوا منهم تقاة)[١] قال ابن عباس رضي الله عنهما : نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة[٢] من دون المؤمنين إلا أن يكونوا عليهم (ظاهرين أولياء)[٣] فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين وذلك قوله (إلا أن تتقوا منهم تقاة)[٤] وعن ابن جريج عن عطاء[٥] عن ابن عباس قال التقاة التكلم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان[٦] ولا يبسط يده فيَقْتُل ولا إلى إثم فإنه لا عذر له[٧] أي لا يقتل ولا يأتي مأثما[٨] (أي في التقية) . وفي رواية أخرى قال ابن عباس: من أكره فتكلم بلسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوه فلا حرج عليه لأن الله سبحانه إنما

---

(١) حلية الأولياء ٣ : ٣١٢ . البداية والنهاية ٩ : ٣٠٨ .

(٢) أي بطانة من غير المسلمين . وأصله من الولوج : وهو أن يتخذ الرجل من المسلمين دخيلا من المشركين ووليا وودا . المعجم الجامع . عبد العزيز السيروان ص ٤٤٩ .

(٣) أي مسيطرين وحاكمين .

(٤) تفسير ابن جرير الطبري ٣ : ٢٢٨ . وتفسير القرطبي ٤ : ٥٧ . وانظر الدر المنثور ٢ : ١٧٦ .

(٥) وفي رواية ابن جرير الطبري (عن ابن جريج عمن حدثه) ولم يذكر اسم عطاء لاحتمال أن يكون رواية ابن جريج عن عطاء الخرساني والله أعلم . تفسير ابن جرير الطبري ٣ : ٢٢٨ .

(٦) تفسير ابن جرير الطبري ٣ : ٢٢٨ .

(٧) السنن الكبرى للبيهقي .كتاب المرتد باب المكره على الردة ٨ : ٢٠٩ .

(٨) تفسير القرطبي ٤ : ١٥٧ .

يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم.[1] وقال جماعة من أهل العلم: إذا خاف المسلم على عرضه ونفسه وماله. وأكره على قول كلمة الكفر جاز له مداراة أهل الكفر والشر والفساد بلسانه اتقاء لشرهم وأذاهم. شرط أن يكون قلبه مطمئنا بالإيمان ولا يأتي محرما وإذا ابتلي وصبر حتى قتل كان أفضل له وأعظم أجرا.[2]

وفتوى عطاء أسسها على قول الله تعالى: (إلا أن تتقوا منهم تقاة) وقوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) وقد حصل من بعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مداراة أهل الظلم والكفر كما ورد في نص الرواية[3] التي استفتى بها الإمام الأوزاعي عطاء.

روى عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقي عن محمد بن

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٤ : ١٨٢. وقد أخرجه الحاكم في المستدرك بنحو ألفاظه عن ابن عباس أيضا وصححه ووافقه الذهبي ٢ : ٢٩١. وانظر السنن الكبرى للبيهقي ٨ : ٢٠٩.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٢ : ٩. وأحكام القرآن لابن العربي ٣ : ١١٧٧. وأحكام القرآن، لعماد الدين بن محمد الطبري ٤ : ٢٤٦.

(٣) للتوسع انظر: حياة الصحابة، لمحمد يوسف الكاندهلوي. باب تحمل الشدائد. حيث ذكر المؤلف بعض القصص وأشار إلى الكتب التي أخرجتها من السنن وغيرها.

عمار بن ياسر عن أبيه قال أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه. فلما أتى الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ماوراءك ؟ قال: شر يارسول الله ماتركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير. قال كيف تجد قلبك ؟ قال مطمئن بالإيمان قال إن عَادُوا فعُد.

قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. وقال الذهبي رجاله رجال صحيح البخاري ومسلم.[1]

وقول الله تعالى: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان) نزلت في عمار بن ياسر.[2] وهو قول أكثر المفسرين.[3]

ويؤيد أيضا قول عطاء قول الله تعالى: (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين).[4]

ويؤيد قول عطاء أيضا: قراءة يعقوب (تَقِيَّة) بفتح التاء وكسر القاف وتشديد الياء المفتوحة على وزن مطية. وكذا

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢: ق ٢ ~~٣٦~~. وتفسير ابن جرير ١٤: ١٨٢. والسنن الكبرى للبيهقي. كتاب المرتد. باب المكره على الردة ٨: ٢٠٨. وانظر تفسير ابن كثير ٢: ٥٨٧. والدر المنثور ٥: ١٦٩ - ١٧٢. والمستدرك للحاكم كتاب التفسير ٢: ٣٥٧.

(٢) أسباب النزول للواحدى ص ٢٨٨.

(٣) تفسير القرطبي ١٠: ١٨٠.

(٤) البقرة: ١٩٥.

رسمت في كل المصاحف...[1] فإذا استطاع المسلم دفع التهلكة عن نفسه بقول كلمة الكفر ظاهرا فلا بأس عليه ولا حرج كما قال عطاء وعليه جمهور أهل العلم.[2]

وبهذا المثال يتضح استنباط عطاء واستدلاله في التفسير.

المثال الرابع :

إن الله سبحانه وتعالى يجيب دعوة الداع إذا دعاه

أخرج ابن أبي حاتم عن عطاء قال : ما من عبد يقول يارب يارب يارب إلا نظر إليه، فذكر للحسن، فقال أما تقرأ القرآن (ربنا إننا سمعنا منادينا ...) إلى قوله (فاستجاب لهم ..).[3]

---

(١) اتحاف فضلاء البشر ١٧٢ . وانظر: أثر القراءات في علوم العربية ، د . محمد سالم ١ : ٥٨٠ .

(٢) تفسير القرطبي ١٠ : ١٨٢ . وتفسير ابن كثير ٢ : ٥٨٨ .

(٣) نص الآيات الكريمة (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار. ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار. ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب).
آل عمران : ١٩١ - ١٩٥ .
الدر المنثور ٢ : ٤١٣ . وانظر حلية الأولياء ٣ : ٢٠٧ . والبداية والنهاية ٦ : ٣٠٧ وتفسير الشوكاني ١ : ٤١٣ .

فأيد الحسن قول عطاء واستشهد لقول عطاء بنص القرآن الكريم ولا يستبعد أن يكون استدلال عطاء بهذه الآية التي تكرر فيها كلمة (ربنا) أكثر من ثلاث مرات والتي فيها إشارة إلى الإلحاح في الدعاء والسؤال والطلب ، وفي نص الآية الكريمة (فاستجاب لهم ربهم ...) تصريح بإجابة الدعاء وحيث ذكرت بفاء التعقيب والترتيب .

كما قال صلى الله عليه وسلم (الظوا[1] بيا ذا الجلال والإكرام)[2] ونظير قول عطاء أيضا قول أبي الدرداء : " يرحم الله المؤمنين مازالوا يقولون ربنا حتى استجيب لهم "[3] وعن أبي جعفر الصادق[4] قال : من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا نَجَّاهُ مما يخاف وأعطاه ما أراد .[5]

وقول العلماء في الآيات الكريمة ثناء من الله تعالى على من يتفكر في ملكوت الله ويعبد الله تعالى في جميع الأوقات والأحوال .

---

(١) الظوا : التزموا التلفظ به في دعائكم — النهاية في غريب الحديث ٤ : ٢٥٢
(٢) أخرجه الامام أحمد في مسنده ٤ : ١٧٧ ، وانظر : صحيح الجامع الصغير ١ : ٣٩٥ .
(٣) تفسير ابن عطية ٣ : ٣٢٢ .
(٤) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أبو عبد الله المدني الصادق . روى عن أبيه وعطاء ونافع والزهري ومالك وغيرهم . وثقه يحيى بن معين وابن حبان ومالك والنسائي . ولد سنة ثمانين وتوفي سنة ١٤٨ هـ . تهذيب التهذيب ٢ : ١٠٣ .
(٥) تفسير القرطبي ٤ : ٣١٨ . وانظر : تفسير الألوسي ٤ : ١٦٧ .

ومن لم يغفل عن ذكر الله تعالى على الدوام وصدق قلبه عمله ولسانه ، وأحسن الظن بربه وتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء خوفا وطمعا وهو صادق فى الطلب والسؤال ، فالله سبحانه وتعالى يجيب دعائه ويحقق له ماينفعه فى الدنيا والآخرة.

فلا يخيب رجاء الداعى بحال من الأحوال ولا يحرم نفعا من دعائه وهو نوع من الاستجابة الموعود بها من الله الغنى الكريم.(١)

وقال الله تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان . .)(٢) وقال الله تعالى (أَمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . . .)(٣) وقال الله تعالى (ادعونى أستجب لكم . . .)(٤).

وعن أبي هريرة مرفوعا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعونى فأستجيب له

---

(١) انظر: شأن الدعاء للحافظ حمد الخطابى ص ١٢.
(٢) البقرة: ١٨٦.
(٣) النمل: ٦٢.
(٤) غافر: ٦٠.

من يسألني فأعطيه من يستغفر فأغفر له).[1] ، [2]

والله سبحانه وتعالى يستجيب الدعاء ولا يضيع عمل عامل من ذكر أو أنثى إذا خلت موانعه وموانع إجابة الدعاء كثيرة لا تخفى على ذوى البصيرة وفى مقدمتها المعاصى ، وأهمها أكل المال الحرام . عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس : إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إنى بما تعملون عليم[3] وقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم[4] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام

---

(١) صحيح البخارى . كتاب التهجد . باب الدعاء والصلاة من آخر الليل . ١٢ /٣٧

(٢) فأكف جميع العالم ممتدة إليه بالطلب والسؤال . ويده سبحانه وتعالى مبسوطة لهم بالعطاء والنوال ويمينه ملأى لا يغيضها نفقة آناء الليل والنهار . وعطاؤه وخيره مبذول للأبرار والفجار له كل كمال ومنه كل خير له الحمد كله وله الثناء كله وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله تباركت أسماؤه وتعالت صفاته لا يتعاظمه خير سُئِله ولا تنقص خزائنه على كثرة عطائه وبذله له صفة الكمال والجلال والجمال ...
شفاء العليل لابن قيم الجوزية ص ٣٦٧ بتصرف .

(٣) المؤمنون : ٥١ .

(٤) البقرة : ١٧٢ .

فأنى يستجاب لذلك.[1]

وقول عطاء: إلا نظر الله إليه أى باجابة دعائه. ونظر الله إلى عبده نظرة عناية وحفظ ولطف وعطف وإحسان وتوفيق للطاعات. وقول عطاء هذا استنباط حسن مبنى على دليل.

ومن الدعاء في الطواف مارواه عطاء عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (... فمن قال اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة[3] وقنا

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الزكاة. باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ٢: ٧٠٢ وانظر أيضا: صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة باب بيان أنه يستجاب للداعى مالم يعجل ٤: ٢٠٩٥.

(٢) انظر تفسير القرطبى ٢: ٤٣٢ . والمستدرك للحاكم ١: ٤٩٨ .

(٣) روى فى تفسير الحسنة فى الدنيا أقوال منها:
قيل: ـ العلم والعبادة فى الدنيا ـ وقيل: الرزق الطيب والعلم النافع ، وقيل: العافية فى الدنيا ، وقيل: الزوجة الصالحة ، وقيل: من أتاه الله الإسلام والقرآن والأهل والمال والولد فقد آتاه فى الدنيا حسنة. قال ابن كثير: الحسنة فى الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوى من عافية ودار رحبة وزوجة حسنة ورزق واسع وعلم نافع وعمل صالح ومركب هنى، وثناء جميل إلى غير ذلك... ١: ٢٤٣ . قلت: قول ابن كثير قول جيد ولعل كل هذه المعانى والأقوال تجمعها (الحياة الطيبة)، ستأتي ص ٥٠٤ من الرسالة. وانظر: تفسير ابن جرير الطبرى ٢: ٣٠٠ . والفتح ١١: ١٩١.

عـذاب النـار قالوا: آمين) [١]، [٢] أخرجه ابن ماجة في السنن. [٣]

---

(١) من الآية الكريمة: (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار). البقرة: ٢٠١.

(٢) طرف من الحديث أخرجه البخاري في صحيحه. كتاب الدعوات. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ربنا آتنا في الدنيا حسنة. الفتح ١١: ١٩١.

(٣) كتاب المناسك. باب فضل الطواف ٢: ٩٨٥ رقم الحديث ٢٩٥٧. ونحو من ألفاظه أيضا: (.... قام رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الأول على المنبر ثم بكى فقال سلوا الله العفو والعافية فإن أحدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية) أخرجه الترمذي في الجامع في أحاديث شتى من أبواب الدعاء. وانظر: تحفة الأحوذي ١٠: ٣.

وفي رواية الحاكم (أ) عن سليم بن عامر قال سمعت أوسط البجلي (ب) على منبر جمعة يقول سمعت أبا بكر الصديق على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال فاختنقته العبرة وبكى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا المنبر يقول عام أول: سلوا الله العافية واليقين في الأولى والآخرة فإنه ما أوتي العبد بعد اليقين خير من العافية.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقد روي بغير هذا اللفظ من حديث ابن عباس. وقد وافق الذهبي على تصحيح الحاكم لهذا الحديث.

(أ) المستدرك. كتاب الدعاء ١: ٥٢٩. وانظر تحفة الأحوذي ١٠: ٣.

(ب) أوسط بن إسماعيل بن أوسط. ويقال أوسط بن عامر. ويقال ابن عمرو البجلي. ويقال أبو عمرو الشيباني الحمصي. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره وسكن دمشق. قال العجلي: ثقة. وذكره ابن حبان في الثقات وابن سعد في الطبقة الأولى من تابعي الشام. توفي سنة ٧٩ هـ. تهذيب التهذيب ١: ٣٨٥.

المثـــال الخامـــس:

أخـــــرج

عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عبد الله بن الوليد الرصافي أنه سأل عطاء عن أخ له كاتب ليس يلي من أمور السلطان شيئا الا أنه يكتب بقلم مايدخل ومايخرج . فإن ترك قلمه صار عليه دين واحتجاج وإن أخذ به كان له فيه غنى . قال يكتب لمن ؟ قال لخالد بن عبد الله القسري[1] قال ألم تسمع إلى ماقاله العبد الصالح (رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين)[2] فلا يهتم بشيء وليرم بقلمه فإن الله سيأتيه برزق .[3]

قال عطاء : فلا يحل لأحد أن يعين ظالما ولا يكتب له ولا يصحبه وإنه إن فعل شيئا من ذلك فقد صار معينا للظالمين .[4]

---

(١) هو خالد بن عبد الله القسرى والي مكة في زمن عبد الملك بن مروان . أول من أدار الصفوف حول الكعبة . وكان عطاء وعمر بن دينار ونظراؤهم من العلماء يرون ذلك ولا ينكرون . انظر: غاية المرام بأخبار سلطة البلد الحرام ١ : ١٩٢ - ١٩٦ . واتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢ : ١١٨ . وأخبار مكة للازرقي ٢ : ٦٦ .

(٢) القصص: ١٧ .

(٣) الدر المنثور ٦ : ٣٩٩ .

(٤) وتفسير القرطبي ١٣: ٢٦٣ .

وتشمل إعانة الظالم إحضار أدوات الكتابة له وأن تبري له قلما .(1)

وذهب البعض إلى التورع عن السير في ظل بيوت الظلمة من أهل المعاصي والكبائر .

وفي هذه الرواية سئل عطاء عن الحكم في عمل الرجل إذا ولي أمر الخزانة أو الشؤون المالية ودلس وغش في الكتابة زيادة ونقصانا له ولغيره . وعاد هذا العمل عليه بالسعة في العيش بما حصل له من المال الحرام . فانتفع ونفع من كتب له .

فأجابه عطاء منكرا هذا الصنيع مستدلا بقول الله تعالى حكاية عن العبد الصالح (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين) . فلا يتعلل المسلم بأنه ترك هذا العمل الحرام فيموت هو وأولاده جوعا . كلا فإن موارد الرزق الحلال كثيرة ، فليتق الله تعالى وليجمل في الطلب فلا يدخل في ماله الكسب الحرام ولا ينتفع بأي درهم منه .

---

(1) تفسير القرطبي ١٣ : ٢٦٣ .

ويؤيد قول عطاء قول الله تعالى (... وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب)[1]. وقول الضحاك: لا أحب أن أعين الظلمة على شيء من أمرهم.[2]

فإذا أنعم الله عز وجل على العبد فَمِنْ شُكْرِ النعم أن لا يعين الظالم على ظلمه والعاصي على معصيته. وإن استطاع دعوته إلى الاستقامة وإصلاحه فَعَل، وإلا وجب الابتعاد عن صحبته. كما يجب على المسلم الاجتناب عن المال الحرام وإن تيسرت له طرقه. لأن المال الحرام ممحوق البركة، وآكِلُه في معصية، بل هو آكل للنار.

وبهذا المثال أيضا يتضح استنباط عطاء واستدلاله في التفسير، وهو استنباط قوي مستند على دليل.

المثال السادس:

أخرج عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال: كان ينهى أن تتطيّب المرأة وتتزين ثم تخرج.[3] قلت: والناكح؟ قال والناكح، ثم قال (ولا تَبَرَّجْنَ) قال له آخر: وتبرج ذلك؟ قال نعم. تخرج كذلك فيسأل عنها من هي.[3]

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر - الدر المنثور ٦: ٤٠٠.

(٣) مصنف عبد الرزاق ٤: ٣٧١.

واستنبط عطاء هذا المعنى من الآية الكريمة : (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .[1] حيث اعتبر خروج المرأة المتزينة المتعطرة نوعا من التبرج[2] المنهي عنه . لأن خروج المرأة من بيتها وهي متعطرة ومتزينة وربما تمايلت في مشيتها وضربت برجلها قال الله تعالى : (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن)[3] فتفتتن أصحاب القلوب المريضة حيث يشكون في أمرها وفي سبب خروجها بهذه الهيئة والصورة . ولعلها بهذا الطيب تريد شيئا ما فربما تتبعها الرجال وسألوا عنها ولاحقوها[4] وهذا من فقه عطاء . حيث اعتبر هذا التصرف تابعا للتبرج المنهي عنه بنص القرآن الكريم .

---

(١) الأحزاب: ٣٣ .

(٢) التبرج : هو إظهار المرأة محاسنها وكشفها عن زينتها وابرازها لمفاتنها . وهو ما يستدعي به شهوة الرجال .

انظر: تحفة الأريب لأبي حيان ص ٦٢ . ومجاز القرآن معمر التيمي ٢ : ١٣٨ . وتفسير غريب القرآن لابن الملقن ص ٣٠٩ . وتفسير ابن الجوزي ٦ : ٣٧٩ .

(٣) النور: ٣١ .

(٤) خاصة إذا كانت المرأة من أسرة ليس لها قيم أو من أسرة غير محافظة . نسأل الله العافية والسلامة .

وهذا السلوك أيضا يعتبر نوعا من الفساد في الأرض بالمعصية .

المثال السابع :

عن معقل بن عبيد الله الجزري[1] قال قلت لعطاء بن أبي رباح : ان هاهنا قوما يزعمون أن الايمان لا يزيد ولا ينقص فقال : (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم)[2]،[3] فما هذا الهدى الذي زادهم ؟ وفي رواية أخرى : فقال : أوليس قد قال الله فيما أنزل (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم)[4] هذا الايمان[5] أي يزيد بنص القرآن الكريم . والهدى هنا هو الايمان وما يتعلق به ، فلما زاد الهدى فمعناه أنه أراد الايمان ، ويلاحظ أن عطاء استدل بنص القرآن الكريم في اجابته للسائل وأثبت أن الايمان يزيد وينقص .

---

(١) هو معقل بن عبيد الجزري أبو عبد الله العبسي مولاهم الحراني . روى عن عطاء وأبي الزبير وعكرمة بن خالد وعمرو بن دينار والزهري وغيرهم . ذكره ابن حبان في الثقات وقال يخطئ ولم يفحش خطؤه فيستحق الترك . وقال ابن عدي هو حسن الحديث . وقال النسائي في الكنى صالح مات سنة ست وستين ومائة . تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٣٤ .

(٢) محمد : ١٧ .

(٣) حلية الأولياء ٣ : ٣١٤ .

(٤) الفتح : ٤ .

(٥) كتاب الايمان لابن تيمية ص ١٩٣ .

المثال الثامن :

أخرج ابن المنذر عن عطاء أنه قيل له : (ان قوما قالوا ان الصلاة والزكاة ليسا من الدين . فقال : أليس يقول الله (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .[١] فالصلاة والزكاة من الدين .[٢]

فهذا استنباط واضح صحيح تدل عليه الآية الكريمة بكل صراحة .

وأن الصلاة والزكاة من الدين[٣] وهذا اعتقاد جمهور

---

(١) البينة : ٥ .
(٢) الدر المنثور ٨ : ٥٨٨ . وانظر : كتاب الايمان لابن تيمية ص ١٩٣ .
(٣) انظر : صحيح البخارى . كتاب الايمان . باب الزكاة من الاسلام . ١ : ١٦

أهل السنة والجماعة ومنهم عطاء.

المثال التاسع :

قوله تعالى : (ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) .(١)

قال عطاء من فوض أمره الى الله عز وجل فهو داخل

---

(٢) الأحزاب : ٣٥ .

فى قوله (إن المسلمين والمسلمات) ومن أقرَّ بأن الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل فى قوله (والمؤمنين والمؤمنات) ومن أطاع الله فى الفرض والرسول فى السنة فهو داخل فى قوله (والقانتين والقانتات) ومن صان قوله من الكذب فهو داخل فى قوله (والصادقين والصادقات) ومَنْ صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية[1] فهو داخل فى قوله (والصابرين والصابرات) ومن صَلَّى فلم يعرف من يمينه وعن شماله فهو داخل فى قوله (والخاشعين والخاشعات) ومن تصدق فى كل أسبوع بدرهم فهو داخل فى قوله (والمتصدقين والمتصدقات) ومن صام فى كل شهر الأيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل فى قوله (والصائمين والصائمات) ومن حفظ فرجه عما لا يحل له فهو داخل فى قوله (والحافظين فروجهم والحافظات) ((ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات)[2])) (أعد الله لهم مغفرة) أى يمحو ذنوبهم (وأجرا عظيما) يعنى الجنة .[3]

وما ذكره عطاء من تفسير الآية الكريمة أمثلة متنوعة

---

(١) أى (المصيبة) . مختار الصحاح للرازى ص ٢٤٨ .

(٢) وروى هذا القول النووى عن عطاء فى الأذكار وأشار إلى نقل الواحدى له . ولعله فى الوسيط . انظر الأذكار ص ٨ .

(٣) تفسير البغوى ٣ : ٥٣٠ . وتفسير الخازن ٣ : ٤٦٧ .

لا غير. فليس بلازم أن يتصدق في كل أسبوع بدرهم مثلا فيمكن أن يزيد على هذا المقدار ويمكن أن يتصدق كل شهر، ويمكن أن يكون كثير الصدقة دون تحديد زمن على النحو الذي أشار إليه عطاء وينطبق على تلك الأمثلة معنى النص الكريم.

وفي جملة هذه الأمثلة اتضح استنباط عطاء واستدلاله في التفسير.